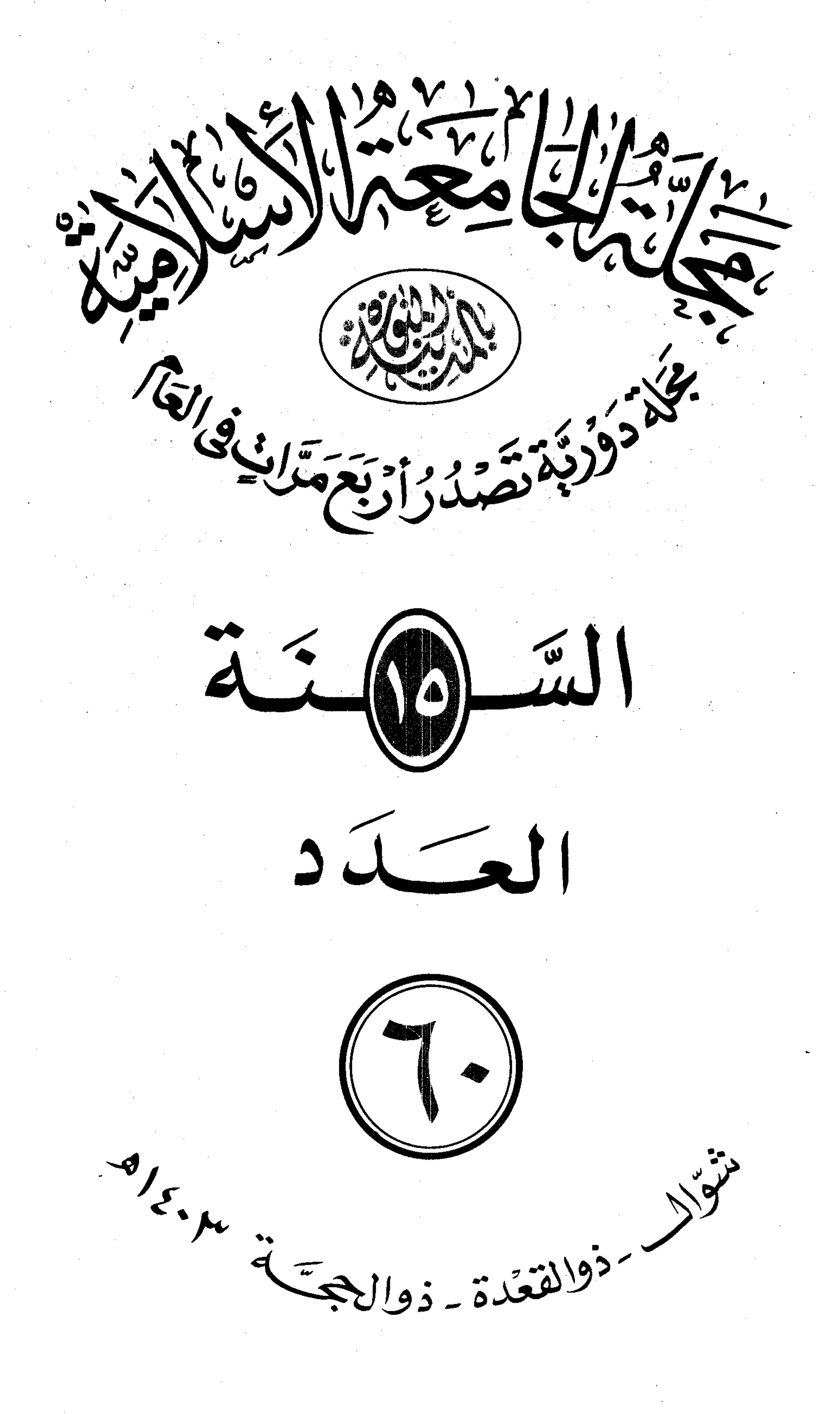
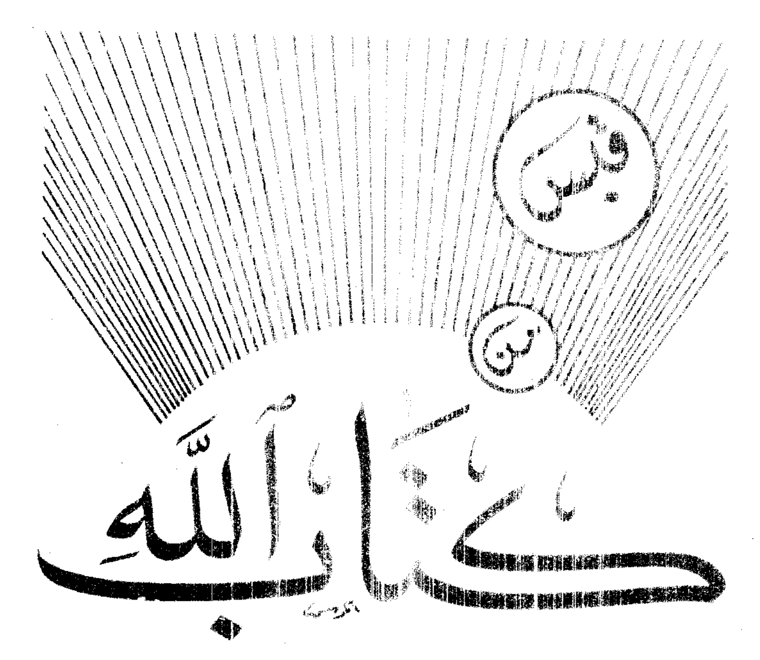

مجلة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة
مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام
السنة ١٥
العدد
٦٠
شوال - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة التحرير





قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ :

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا
خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ
جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ
كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾
لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ
ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟
ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ سورة الحج



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ :

سُئِلَ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ ٱلْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : إِيمَانٌ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ . قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ : قَالَ : ٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ . قِيلَ ثُمَّ مَاذَا ؟ : قَالَ : حَجٌّ مَبْرُورٌ .

« متفق عليه »



القَلْبُ السَّلِيمُ ٱلَّذِى يَنْجُو مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ،
هُوَ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِى قَدْ سَلِمَ لِعُبُودِيَةِ رَبِّهِ حَيَاءً
وَخَوْفًا وَطَمَعًا وَرَجَاءً ، فَفَنِىَ بِحُبِّهِ عَنْ حُبِّ
مَاسِوَاهُ ، وَبِخَوْفِهِ عَنْ خَوْفِ مَاسِوَاهُ ، وَبِرَجَائِهِ
عَنْ رَجَاءِ مَاسِوَاه ، وَسَلِمَ لأَمْرِهِ وَلِرَسُولِهِ
تَصْدِيقًا وَطَاعَةً وَاسْتَسْلَمَ لِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ
فَلَمْ يَتَّهِمْهُ ، وَلَمْ يُنَازِعْهُ ، وَلَمْ يَتَسَخَّطْ لأَقْدَارِهِ
فَأَسْلَمَ لِرَبِّهِ انقِيَادًا وَخُضُوعًا وَذُلًّا وَعُبُودِيَّة
وَسَلَّمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَذْوَاقِهِ ظَاهِرًا
وَبَاطِنًا لِمشكَاةِ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم .

«ابن القيم فى مفتاح دار السَّعادة»

استمتعوا من هذا البيت

للدكتور جمعة على الخولى

أشار القرآن الكريم إلى مكانة البيت الحرام فى أكثر من موضع، منها قوله تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا﴾ .

فهو أول بيت أسس على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، وهو أول بيت وضع للناس للعبادة وإقامة ذكر الله منذ أمر الله إبراهيم أن يرفع قواعده وأن يخصصه للطائفين والعاكفين والركع السجود .

وبكة من أسماء مكة «قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة. فكم من جبار قصد البيت بسوء فأهلكه الله . . وقيل لأن الناس يتباكون فيها أى يزدحمون . . عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله أى مسجد وضع أول : قال المسجد الحرام قلت ثم أى : قال المسجد الأقصى . قلت كم بينهما، قال : أربعون سنة، قلت ثم أى : قال : ثم حيث أدركتك الصلاة فصل فكلها مسجد» .

هذا البيت جعله الله مباركا وجعله هدى للعالمين . وجعله مثابة للناس أى محلا تشتاق إليه النفوس وتحن . . ولا ينصرف عنه منصرف وهو يحس أنه قد قضى منه وطره ولو تردد عليه كل عام . ولعل ذلك استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم فى قوله ﴿**فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون**﴾ .

كما جعل الله هذا البيت أمنا، فهو مثابة الأمن لكل خائف، وليس هذا لمكان آخر فى الأرض . . كان الرجل يلقى فيه قاتل أبيه أو أخيه فلا يعرض له بسوء . . ولذلك قال سبحانه يمنَ على العرب به ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم﴾ وعن ابن

عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة. وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلى ولم يحل لى إلا فى ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده. ولا تلتقط لقطته إلا من عرفها».

ولقد كان النبى ﷺ يحب هذا البيت، ولقد قال وهو يودع مكة فى طريقه إلى المدينة وقت الهجرة «والله إنك لخير أرض الله وأحب البلاد إلى الله ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت».

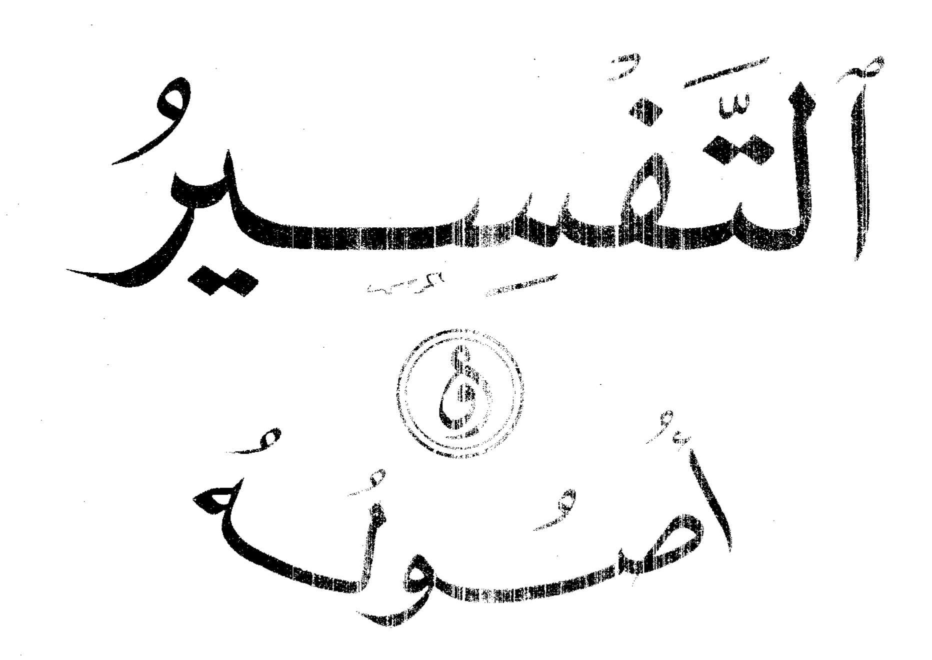
هذا البيت جعل الله الحج إليه فريضة على المسلم المستطيع مرة واحدة فى العمر فقال سبحانه ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل أكل عام يارسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم».

ولقد جاءت النصوص بالتعجيل بهذه الفريضة فإن الانسان لايدرى ما يعرض له.

والحج عبادة جامعة لشتى العبادات ففيه من الصلاة الدعاء والتوجه إلى الله، وفيه من الزكاة الأنفاق وبذل المال، وفيه من الصوم التحمل والجهاد والصبر. وهو فوق ذلك عبادة العمر بحيث إذا أديت كما رسم الشرع خرج صاحبها منها كيوم ولدته أمه..

وقد روى الطبرانى والحاكم عن ابن عمر توجيه النبى ﷺ أمته إلى اغتنام فضل الكعبة المشرفة التى جعلها الله بركة وهدى ورحمة وذلك فى قوله ﷺ «استمتعوا من هذا البيت فإنه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة».

وقد هدمت الكعبة قبل البعثة ثم بنيت، ثم هدمها السيل وبنتها قريش والنبى ﷺ معهم وسنه خمس وثلاثون سنة فى قصة الرداء المشهورة، ولعل الاشارة فى الحديث لهاتين المرتين لأهميتهما وما عداهما كان ترميماً للبيت واستكمالاً لأسباب متانته، أو أن العدد فى الحديث يفيد التكرار لا الحصر، ويوشك أن يهمل الناس أمر الحج فيرفع الله بيته ويستأثر به وينزع البركة السابغة من أهل الأرض الذين أغفلوا نداء ربهم وأهملوا فريضة حجهم، ومن ذلك نعلم تأكد فريضة الحج وعظم ثواب من وفّاها، وشدة العقوبة لمن تركها وتكاسل عنها دون عذر مشروع ﴿**ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين**﴾.


التفسير
و
أصوله

الأمر بإعداد القوة لمواجهة الأعداء

للشيخ أبي بكر الجزائري
رئيس قسم التفسير بالجامعة

قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ، وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ، وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ، لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ . (الآية : ٥٩ : من سورة الأنفال) .

مناسبة الآية لما قبلها :

لما أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين بقتال من كفر من اليهود ممن تكررت منهم الخيانة ونقضُ العهود ، ونهى رسوله ﷺ والمؤمنين أن يظنوا أن الكافرين يُعجزون الله تعالى بأن يُفْلُتُوا من نقمته ويخلصوا من عذابه بأن لا يسلط عليهم رسوله والمؤمنين فيقتلوهم ويامروهم . ولما كان مضمون هذا النهى قد يشيع روح التواكل والقعود عن القتال فى نفوس المؤمنين أمر الله سبحانه وتعالى بإعداد القوة والإنفاق فى سبيل ذلك وواعد عليه بالجزاء الحسن فى الدنيا والآخرة فقال تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ . (الآية) .

وبذلك ظهرت المناسبة قوية بين الآيات السابقة واللاحقة .

الغرض الذى سيقت له الآية الكريمة :

إن الغرض الرئيسى الذى سيقت له هذه الآية الكريمة ، هو الأمر بطرح التواكل ، وإعداد القوّة الكافية لقتال الكفار المحاربين لله ورسوله والمؤمنين ، ولقطع مجرد التفكير فى غزو المسلمين والاعتداء على حدود بلادهم ، وذلك لما يشاهدون من قوة المسلمين المتفوقة عليهم كمّية وكيفا فإن من السنن البشرية أن ضعف العدو يغرى بغزوه وقتاله . كما أن قوة العدوّ تصرف حتى عن مجرد التفكير فى ذلك ، فقد سبق أن قلت : أن السلم المسلح أفضل من السلم المجرد من السلاح . فلولا تعادل القوة الحربية عند المعسكر الشيوعى البلشفى ، والمعسكر الرأسمالى الغربى لكانت الحرب العالمية الرابعة[1] قد أعلنت وأتت على كل شىء من مظاهر هذه الحضارة العفنة الهابطة .

مباحث الألفاظ فى الآيـة :

١ - فى القـراءات : قرىء ومن رُبُــط الخيـل بضم الـراء والبـاء جمع ربـاط ككتـاب وكُتُب. وقرىء ترهّبون بكسر الهاء وتشديدها من رهّبه إذا أوقعه فى الرهب الذى هو الخوف وشدته .

٢ - فى النحـــو : «من قوة» الجـار والمجـرور فى محل نصب على الحـال، وصـاحب الحال إما أن يكون الموصول «ما» فى قوله: ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أو يكون العائد المحذوف أى ما استطعتموه وهو الضمير. وكذا جملة ترهبون فقد يصح إعرابها حالاً، وصاحب الحال الفاعل فى جملة وأعدوا، أى أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل حال كونكم مرهبين به عدو الله وعدوكم .

٣ - فى البلاغــة : التنكير بالتنوين فى لفظ «قوة» للإبهام والعموم وذلك من أجل أن يطلب المسلمون كل أسباب القوة وأنواعها فلا يقصروها على نوع معين كالرماية مثلا، وإن ورد فيها حديث عقبة بن عامر عند مسلم: ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى ألا إن القوة الرمى .

وأمـا التنكـير فى قولـه : من شىء فهـو للتقليـل والتحقـير بمعنى أن أى شىء ينفقـه المسلم فى إعداد العدة للجهاد، أو ينفقه على رحم أو فقير ولو قل كدرهم، أو حَقُر كحبل أو عصا لا يعدم المنفق أجره من الله عز وجل. ومضاعفاً أيضا الحسنة بعشر أمثالها أو بسبعمائة إن كانت نفقة جهاد؛ للآية الكريمة﴿**مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل**﴾. (الآية) .

شـــرح المفردات :

● **أعـدوا :** هيئـوا وأحضروا وأرصدوا .

● **ما استطعتم :** ما قدرتم عليه بعد بَذْلِكم الجُهدَ فيه .

● **من قوة :** من كل أنـواع القـوة المـادية من سلاح وكراع، ومعنوية من إيمان صادق وثقة فى الله تعالى كاملة، ووحدة صف، وطاعة قيادة، وخلق فاضل .

● **ربـاط الخيـل :** الـربـاط قد يكون مصدر رابط يرابط، إذ كل من العدوين يرابط لصـاحبـه وقـد يكون جمع رَبْط ككتب وكتاب، وقد يكون المراد به جماعة الخيل خمساً فأكثر. والخيل اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى، وأيها أفضل فى الجهاد؟ الغالب أن الذكر أفضل .

● **ترهبون :** تخوفون بإيقاع الرهب فى النفوس .

● **عدو الله وعدوكم :** العدو لفظ يطلق على المفرد والمثنى والجمع مذكراً ومؤنثا .

عدو الله الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وعدو المؤمنين هو عدوّ الله، وإنما ذكر من باب التهيج والإثارة للمسلمين حتى يُعدوا العدة ويُوطّنوا أنفسهم للقتال .

● **من دونهم** : من غيرهم أى من غير كفار قريش واليهود .

● **لا تعلمونهم** : أى لا تعرفون من هم من أعدائكم غير الظاهرين لكم كالمنافقين .

● **الله يعلمهم** : لأنه تعالى بكل شىء عليم، وفى إخباره تعالى بعلمه بهم ما يبعث المؤمنين على الجد فى الإعداد والتحرز واليقظة كما فيه ما يشير إلى كفاية الله تعالى عباده المؤمنين كيد أعدائهم متى عملوا بطاعته .

● **وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم** : هذه الجملة شرطية وجوابها : يوف إليكم أداة الشرط هى «ما» وجملة الشرط «تنفقوا»، و«من شىء فى **سبيل الله**» متعلق بتنفقوا وجواب الشرط «يُوفَّ»، وسبيل الله هنا هو الإعداد للجهاد، ويوف يؤده إليكم أجره وافيا غير منقوص .

● **وأنتم لا تظلمون** : هذه جملة حالية ومعناها أن أجوركم التى استوجبتموها بالإنفاق فى سبيل الله سوف توفونها كاملة حال كونكم غير مظلومين لخوف عدوكم ورهبته منكم فلا يظلمكم باعتداءٍ عليكم . ولا منقوص الأجر والمثوبة ولا محرومين منهما لأن الله وعدكم ووعده تعالى حق وصدق .

معنى الآية الكريمة :

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين الموجودين ساعة نزول هذه الآية ومن يأتى من بعدهم إلى أن يقاتلوا الكفار ويأمرهم بإعداد القوة أى بإحضارها وإرصادها لقتال عدوّ الله وعدوهم وإرهابه بذلك، والقوة المأمور بإعدادها تكون حسيّة كأنواع السلاح المختلفة، وآلات الحرب المتنوعة، وتكون معنوية كالإيمان القوى والثقة فى نصر الله تعالى، ووحدة الصف وطاعة القيادة، مع طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ من الثبات عند اللقاء وذكر الله تعالى بالقلب واللسان .

كما يخبرهم تعالى بأن ذلك الإعداد للقوة من شأنه أن يرهب أعداءهم، وينزل الرعب فى قلوبهم فلا يفكرون فى غزوهم ولا قتالهم، وسواء فى ذلك العدو الظاهر لهم المعروف عندهم، أو العدو الذى لا يعلمونه والله يعلمه كالمنافقين المتربصين أو المجوس الحاقدين، أو اليهود الحاسدين .

ولما كان إعداد القوة المطلوبة المبذول لها كلُّ ما فى استطاعة الأمة وقدرتها يتوقف فى الجملة على المال إذ به يتم صنع السلاح أو شراؤه، والمال لا مصدر له إلا جيوب المؤمنين

وصناديقهم، وقد أنفقوا فعلا وجمعوا المال وأعدوا به القوة الواجبة الإعداد، أخبرهم تعالى بأنهم ما ينفقون من شيء فى سبيل الله لإعداد القوة أولغيرها من سائر طرق الخير وسبل البر مما يرفع من شأن أمة الإسلام ويكملها ويسعدها فى الدنيا والآخرة يوفيهم أجره مضاعفاً. الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. والحال أنهم لا يظلمون بحرمانهم من أجر إنفاقهم، ولا ينقصه بل يوفونه كاملا مضاعفاً.

ما فى الآية من أحكام :

اشتملت الآية على الأحكام الفقهية التالية :-

١ - وجوب **إعداد القوة** لقتال العدو أو إرهابه.

٢ - وجوب **إنفاق المال** لذلك. لتوقف القوة على المال.

٣ - وجوب **تعلّم فنون الحرب** المختلفة وتعليمها لأفراد الأمة.

٤ - وجوب **صنع السلاح** وتطويره بحسب أحوال الأمم والشعوب.

٥ - وجوب **الوحدة** وجمع الكلمة ونصب الإمام وطاعته.

إذ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا يتم جهاد ولا إعداد له إلا بها ذكر.

وهذه الواجبات كفائية إذا وجدت فى الأمة وقام بها بعضها سقط هذا الواجب عن باقى الأمة.

هداية الآية :

قد اشتملت هذه الآية الكريمة على أنواع من الهدايات منها :-

١ - **أمة الإسلام** : أمة واحدة تتكافؤ دماؤها، ويسعى بذمتها أدناها، وهى يَدُ واحدة على من سواها، دل على ذلك صيغة الجمع التى خاطبها الله تعالى بها فى قوله : وأعدوا، ترهبون، وما تنفقوا، يوف إليكم، وأنتم لا تظلمون.

٢ - **السلام المسلّح** : إذ الأمر بإعداد القوة أمر بما يُرهب العدو ويخيفه وبذلك هو إما ان يسلم أو يستسلم بدفع الجزية، أو يعاهد، ولا حرب ولا قتال مع كل ذلك وإنما هو السلم والسلام.

٣ - فى قوله تعالى : **ومن رباط الخيل**، وتفسير النبى ﷺ بالرمّى كما فى حديث عقبة ابن عامر عند مسلم : ألا إن القوة الرمى قالها ثلاثا عَلَم من أعلام النُّبوّة المحمدية إذْ تحضير الدبابات والطائرات، قاذفات القنابل والصواريخ هى اليوم أنكى سلاح وأقواه أثراً فى الحروب وقد أُشير إليه فى الآية والحديث الشريف بصراحة ووضوح.

٤ - **فى وعد الله تعالى المنفقين بتوفية أجورهم** كاملة غير منقوصة ما يساعد المؤمن على الإنفاق والبذل والعطاء فى سبيل الله تعالى، وبذلك تقوى أمة الإسلام وتعز.


الحديث
أصوله



فضل أهل الحديث

٢

شهادة العدول الصادقين لهم بأنهم على الصراط المستقيم والمنهج الواضح المبين

للدكتور ربيع بن هادي مدخلي
أستاذ مساعد بالدراسات العليا

شهادة ابن قتيبة :

ألف فقيه الأدباء وأديب الفقهاء الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ كتابا سماه «تأويل مختلف الحديث دفاعاً عن سنة رسول الله ﷺ وعن حملتها وناقليها وحفاظها أهل الحديث» .

قال فى مطلع الكتاب : (أما بعد) أسعدك الله تعالى بطاعته وحاطك بكلاءته ووفقك للحق برحمته وجعلك من أهله فإنك كتبت إلىَّ تُعْلمنى ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم وإسهابهم فى الكتب بذمَهم ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل وتقطعت العصم وتعادى المسلمون واكفر بعضهم بعضا وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث ثم ذكر الخوارج وما تعلقت به من الأحاديث فى تأييد مذهبها والمرجئة وما تعلقت به كذلك والمفوضة وما تعلقت به من الأحاديث والرافضة وما تعلقت به من الأحاديث فى ضلالتها وتكفيرها الصحابة ومفضلوا الفقر وما تعلقت به ، ثم ذكر طعون الزنادقة فى أهل الحديث .

ثم قال : **«باب ذكر أصحاب الكلام وأصحاب الرأى» فقال** : وقد تدبرت رحمك الله ـ مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون ويفتنون الناس بما يأتون ويبصرون القذى فى عيون الناس وعيونهم تُطْرَف على الأجذاع ويتهمون غيرهم فى النقل ولا يتهمون آراءهم فى التأويل . ومعانى الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والآنية ولَوْ ردّوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج . ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة وحب الاتباع واعتقاد الإخوان بالمقالات . والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضاً . ولو ظهر لهم من يدعى النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء أو من

يدعى الـربـوبيـة لوجـد على ذلـك إتباعاً واشياعاً . وقد كان يجب ـ مع ما يدعونه من معرفة القيـاس وإعـداد الآت النظـر ـ أن لا يختلفوا كما لا يختلف الحُسَّابُ والمُسَّاح والمهندسون لأن آلتهم لا تدل إلا على عدد واحد وإلا على شكل واحد وكما لا يختلف حذاق الأطباء فى الماء ونبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد، فما بالهم أكثر الناس اختلافاً لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد فى الدين .

ثم ذكر تضارب الآراء واختلاف الأهواء والاتجاهات بين زعماء أهل الكلام وانتقدهم أشد النقد ثم قال ذكر أصحاب الحديث .

فأما أصحاب الحديث، فإنهم التمسوا الحق من وجهته وتتبعوه من مظانه وتقربوا من الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله ﷺ وطلبهم لآثاره وإخباره براً وبحراً وشرقا وغربا يرحل الواحد منهم راجلا مقويا فى طلب الخبر الواحد أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشـافهـة ثم لا يزالـوا فى التنقـير عن الأخبـار والبحث لها حتى فهمـوا صحيحهـا وسقيمهـا ونـاسخهـا ومنسـوخهـا وعرفوا من خالفها من الفقهاء إلى الرأى فنبهوا على ذلك حتى نجم الحق بعد أن كان عافيا وبسق بعد ان كان دارسا واجتمع بعد أن كان متفرقا وأنقاد للسنن من كان عنها معرضا وتنبه لها من كان عنها غافلا، وحُكِمَ بقول رسول الله ﷺ بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان، وإن كان فيه خلاف على رسول الله ﷺ وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف وطلبهم الغـرائب. وفى الغـريب الداء. ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقـا. بل جمعـوا الغث والسمـين والصحيـح والسقيم ليميـزوا بينهما ويدلوا عليهما وقد فعلوا ذلك. ثم ذكر طائفة من الأحاديث الموضوعة وذكر نقد المحدثين لها وتزييفهم اياها وفضح واضيعها .

رحمه الله وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

شهادة الإمام ابن حبـان :

قال الإمام الحافظ أبوحاتم محمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن سعيد التميمى المتوفى سنة ٣٥٤ فى مقدمة صحيحه «انظر الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (١/ ٢٠ـ٢٣) .

بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهلـه :ـ

ثم اختـار طائفـة لصفـوتـه وهداهم للزوم طاعته من اتباع سبل الأبرار فى لزوم السنن والآثـار فزين قلوبهم بالإيمان وأنطق ألسنتهم بالبيـان من كشف أعـلام دينه وأتباع سنن نبيه بالدّؤُب فى الرحل والأسفار وفراق الأهل والأوطار فى جمع السنن ورفض الأهواء والتفقه فيها

بترك الآراء فتجرد القوم للحديث وطلبوه ورحلوا فيه وكتبوه وسألوا عنه وذاكروا به ونشروه وتفقهوا فيه وأصلوه وفرعوا عليه وبذلوه وبينوا المرسل من المتصل والموقوف من المنفصل والناسخ من المنسوخ والمحكم من المفسوخ والمفسر من المجمل والمستعمل من المهمل والمختصر من المتقصىّ والملزوق من المتفصىّ والعموم من الخصوص والدليل من المنصوص والمباح من المزجور والغريب من المشهور والغرض من الإرشاد والحتم من الايعاد والعدول من المجروحين والضعفاء من المتروكين وكيفية المعمول من المجهول وما حرف عن المخزول وقلب من المنحول من مخايل التدليس وما فيه التلبيس حتى حفظ الله بهم الدين على المسلمين وصانه من ثلب القادحين، جعلهم عند التنازع أئمة الهدى وفى النوازل مصابيح الدجى، فهم ورثة الأنبياء ومأنس الأصفياء .

ثم بعد الشهادة لرسول الله بالرسالة والبلاغ المبين والجهاد وآثار ذلك قال: وإن فى لزوم سنته تمام السلامة وجماع الكرامة لا تطفأ سرجها ولا تدحض حججها من لزمها عصم ومن خالفها ندم إذ هى الحصن الحصين من تمسك به ساد ومن رام خلافه باد، فالمتعلقون به أهل السعادة فى الآجل والمغبوطون بين الأنام فى العاجل. وقال: (١/١٠٥) وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التى تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ ثم ذكر حديث العرباض بن سارية وفيه «فإنه من يعش منكم فسيرى إختلافا كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» .

ثم قال : فى قوله ﷺ : «فعليكم بسنتى» عند ذكره الإختلاف الذى يكون فى أمته بيان واضح أن من واظب على السنن وقال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرقة الناجية فى القيامة جعلنا الله منهم بمنة .

ثم قال فى : (١/١٠٧) ذكر البيان بأن من أحب الله عز وجل وصفيه ﷺ بإيثار أمرهما وابتغاء مرضاتهما على رضا سواهما يكون فى الجنة مع المصطفى ﷺ .

ثم قال فى : (١/١٥١) كتاب العلم ذكر إثبات النصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة .

ثم أورد حديث معاوية بن قرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتى منصورين لا يضرهم خذلان من خذلهم حتى تقوم الساعة» .

شهـادة الإمام الرامهرمزى :

وقال الإمام أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى المتوفى سنة ٣٦٠ فى مقدمة كتابه «المحدث الفاصل» (ص: ١-٤) :

اعـترضت طائفـة ممن يشنأ الحـديث ويبغض أهله ، فقـالوا بنقص أصحاب الحديث والإزراء بهم وأسـرفـوا فى ذمهم والتقـول عليهم وقـد شرف الله الحـديث وفضل أهله وأعلى منـزلتـه وحكمـه على كل نحلة وقـدمـه على كل علم ورفع من ذكر من حمله وعنى به ، فهم بيضـة الـدين ومنـار الحجـة وكيف لا يستـوجبـون الفضيلة ولا يستحقون الرتبة الرفيعة وهم الـذين حفظـوا على الأمـة هذا الـدين واخـبروا عن أنبـاء التنـزيل وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ومحكمـه ومتشـابهـه ومـا عظمـه الله عز وجـل به من شأن الـرسـول ﷺ فنقلوا شرائعه ودونوا مشـاهـده وصنفـوا أعـلامـه ودلائله وحققـوا منـاقب عترته ومآثر آبائه وعشيرته وجاءوا بسير الأنبيـاء ومقـامـات الأوليـاء وأخبـار الشهداء والصديقين وعبروا عن جميع فعل النبى ﷺ فى سفـره وحضـره وظعنـه واقـامتـه وسائر احواله من منام ويقظه واشارة وتصريح وصمت ونطق ونهوض وقعود ومأكل ومشرب وملبس ومركب وما كان سبيله فى حال الرضا والسخط والإنكار والقبـول حتى القـلامـة من ظفـره ما كان يصنع بها ، والنخاعة من فيه أين كان وجهتها ، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله ، وعند كل موقف ومشهد يشهده تعظيما له ﷺ ومعرفة بأقـدار ما ذكـر عنـه وأسنـد إليه ، فمن عرف للإسلام حقه وأوجب للرسول حرمته . اكبر ان يحتقر من عظم الله شأنه وأعلى مكانه واظهر حجته وأبان فضيلته ولم يرتق بطبيعته إلى حزب الرسول وأتباع الوحى وأوعية الدين ، ونقلة الأحكام والقرآن ، الذين ذكرهم الله عز وجل فى التنزيل فقال: ﴿**والذين اتبعوهم بإحسان**﴾ .

فإنـك إذا أردت التـوصـل إلى معـرفـة هذا القـرن لم يذكـرهم لك إلا راوى الحديث متحقق به أو داخل فى حيز أهله ومن سوى ذلك فربك بهم أعلم .

ثم ذكر كلاما لبعض الحاقدين على أهل الحديث وبين باعث هذا الحقد ثم رد عليه ثم وجه نصيحة لطلاب الحديث فقال :

فتمسكـوا ـ جبركم الله ـ بحـديث نبيكم ﷺ وتبينـوا معـانِيَـهُ وتفقهوا به وتأدبوا بآدابه ودعـوا ما تعـيرون به من تتبـع الطـرق وتكثـير الاسـانيـد وتطلب شواذ الاحاديث وما دلسه المجـانـين وتبلبـل فيـه المغفلون واجتهِـدوا فى أن توفوه حقه من التهذيب والضبط والتقويم ، لتشرفـوا به فى المشـاهد وتنطلق السنتكم فى المجالس ولا تحفلوا بمن يعترض عليكم حسداً على ما آتـاكم الله من فضله ، فإن الحـديث ذكـر لا يحبـه إلا الذاكرون ونسب لا يجهل بكل

مكان وكفى بالمحدث شرفا ان يكون اسمه مقرونا باسم النبى ﷺ وذكْرُه متصلا بذكره وذكر أهل بيته وأصحابه .

ولـذلـك قيـل لبعض الأشـراف : نراك تشتهى أن تحدث فقال : أولا أحب أن يجتمع اسمى واسم النبى ﷺ فى سطر واحد. وحسبك جمالا عصبة منهم على بن الحسين بن على رضى الله عنهم ، ومن يليه من ذريته وأهل بيت النبى ﷺ وأبناء المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسـان وأهـل الـزهـادة والعبـادة والفقهاء وأكثر الخلفاء ومن لا يدركه الإحصاء من العلماء والنبلاء والفضلاء والأشراف ذوى الأخطار فكيف بمن يسميهم الحشوية الرعاع ويزعم أنهم أغثار وحملة أسفار والله المستعان .

شـــهادة الحـاكم :

وقال الإمام الحافظ أبوعبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٥ فى مقدمة كتابه : «معرفة علوم الحديث» (ص : ١-٤) :

الحمـد الله ذى المن والإحسـان والقدرة والسلطان الذى أنشأ الخلق بربوبيته وجنسهم بمشيئتـه واصطفى منهم طائفـة إصفيـاء وجعلهم بررة أتقيـاء فهم خواص عباده وأوتاد بلاده يصـرف عنهم البـلايـا ويخصهم بالخـيرات والعطايا ، فهم القائمون بإظهار دينه والمتمسكون بسنن نبيه وأشهد أن لا إله إلا الله الذى زجر عن اتخاذ الأولياء دون كتابه واتباع الخلق دون نبيـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم وأن محمـداً عبده المصطفى ورسوله المجتبىٰ بلغ عنه رسالته فصلى الله عليه آمراً وناهياً ومبيحاً وزاجراً وعلى آله الطيبين .

أمـا بعـد - فإنى لما رأيت البـدع فى زماننا كثرت ومعرفة الناس بأصول السنن قلت مع إمعانهم فى كتابة الأخبار وكثرة طلبها على الإهمال والإغفال دعانى ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث مما يحتاج إليه طلبة الأخبار المواظبون على كتابة الآثار .

حدثنـا أبـو العباس محمد بن يعقوب ، ثنا إبراهيم بن مرزوق البصرى بمصر، حدثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال : سمعت إبى يحدث عن النبى ﷺ قال : «لا يزال ناس من أمتى منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة .

سمعت أبا عبد الله محمد بن على بن عبد الحميد الآدمى بمكة يقول سمعت موسى ابن هارون يقـول سمعت أحمـد بن حنبـل يقول وسئل عن معنى هذا الحديث فقال : «إن لم تكن هذه الطائفة المنصورة أصحاب الحديث، فلا أدرى من هم؟ . قال أبو عبد الله : وفى مثل هذا قيل من أمرَّ السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحق . فلقد أحسن أحمد بن حنبل فى

تفسير هذا الخبر إن الطائفة المنصورة التى يرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث .

ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين واتبعوا آثار السلف الماضين ودفعوا أهل البدع والمخالفين بسنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله اجمعين من قوم آثروا قطع المفاوز والقفار على التنعم فى الدمن والأوطان وتنعموا بالبؤس فى الأسفار مع مساكنة العلم والإخبار وقنعوا عند جمع الأحاديث والآثار بوجود الكسر والأطمار قد تركوا الالحاد الذى تتوق إليه النفوس الشهوانية وتوابع ذلك من البدع والأهواء والمقاييس والآراء والزيغ جعلوا المساجد بيوتهم وأساطينها تكاهم وبواريها فرشهم .

حدثنا أبو الحسن على بن محمد بن عقبة الشيباني بالكوفة ثنا محمد بن الحسين بن أبى الحسين ثنا عمر بن حفص بن غياث قال : سمعت أبى وقيل له : ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه . قال : هم خير أهل الدنيا .

وحدثنى أبو بكر محمد بن جعفر المزكي . ثنا أبو بكر محمد بن إسحاق . قال : سمعت على بن خشرم يقول : سمعت أبا بكر بن عياش يقول : إنى لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير الناس يقيم أحدهم ببابى وقد كتب عنى فلو شاء أن يرجع ويقول : حدثنى أبو بكر جميع حديثه فعل ولكنهم لا يكذبون .

قال أبو عبد الله : ولقد صدقا جميعا أن أصحاب الحديث خير الناس وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدنيا بأسرها وراءهم وجعلوا غذاءهم الكتابة وسمرهم المعارضة واستر واحهم المذاكرة وخلوتهم المداد ونومهم السهاد واصطلاءهم الضياء وتوسدهم الحصى فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بؤس فعقولهم بلذاذة السنة غامرة، قلوبهم بالرضاء فى الأحوال عامرة تعلم السنن سرورهم ومجالس العلم حبورهم وأهل السنة قاطبة إخوانهم وأهل الالحاد والبدع بأسرها أعداؤهم .

سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلى ببغداد يقول سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذى يقول :

كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذى عند أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن : يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبى قتيلة بمكة أصحاب الحديث . فقال : أصحاب الحديث قوم سوء . فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال : زنديق زنديق زنديق ودخل البيت .

سمعت أبا على الحسين بن على الحافظ يقول : سمعت جعفر بن سنان الواسطى يقول: سمعت أحمد بن سنان القطان يقول: «ليس فى الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث» وإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه. قال أبو عبد الله وعلى هذا عهدنا فى أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية . . . اهـ .

أقول هذه الكراهية والبغضاء والحقد الأرعن مازال أهل البدع والزيغ يتوارثونه جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا فأشد أعدائهم هم أهل الحديث والسنة والتوحيد، والحديث بقال الله قال رسول الله خصوصا فيما يتعلق بتوحيد الله ورد البدع أشد عليهم من وقع السهام وقرع السيوف وصوت القنابل والمدافع .

شهادة الخطيب البغدادى :

وألف الإمام الكبير أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى المتوفى سنة **٤٦٣** كتابا اسماه «شرف أصحاب الحديث» :

قال فى مقدمته : بعد أن ذكر أقوال العلماء فى ذم الرأى من (ص: **٣-٥**) فلو أن صاحب الرأى المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم وطلب سنن رسول رب العالمين واقتفى آثار الفقهاء المحدثين لوجد فى ذلك ما يغنيه عما سواه واكتفي بالأثر عن رأيه الذى رآه لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد وبيان ما جاء من الوعد والوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين والإخبار عن صفة الجنة والنار. من صنوف العجائب وعظيم الآيات وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسبحين .

إلى أن يقول : وقد جعل الله أهله أركان الشريعة وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله فى خليقته والواسطة بين النبى وأمته والمجتهدون فى حفظ ملته أنوارهم زاهرة وفضائلهم سائرة وآياتهم باهرة ومذاهبهم ظاهرة وحججهم قاهرة وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه وتستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث فإن الكتاب عدتهم والسنة حجتهم والرسول فئتهم وإليه نسبتهم لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء يقبل منهم ما رووا عن الرسول وهم المأمونون عليه العدول، حفظة الدين وخزنته واوعية العلم وحملته، إذا اختلف فى الحديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، منهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد فى قبيلته، مخصوص بفضيلته، وقارىء متقن وخطيب محسن وهم الجمهور العظيم وسبيلهم السبيل المستقيم وكل مبتدع باعتقادهم

يتظاهر وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر من كادهم قصمه الله ومن عاندهم خذله الله لا يضرهم من خذلهم ولا يفلح من اعتزلهم المحتاط لدينه إلى ارشادهم فقير وبصر الناظر بالشر إليهم حسير وان الله على نصرهم لقدير ثم ساق إسناده إلى على بن المدينى . قال : فى حديث النبى ﷺ «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» .

قال (اى ابن المدينى) : «هم أهل الحديث» والذين يتعاهدون مذاهب الرسول ويذبون عن العلم ولولاهم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأى شيئاً من السنن فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين فشأنهم حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار، وركوب البرارى والبحار فى اقتباس ما شرع الرسول المصطفى . لا يعرجون عنه إلى رأى ولا هوى، قبلوا شريعته قولا وفعلا وحرسوا سنته حفظا ونقلا، حتى بينوا بذلك أصلها وكانوا أحق بها وأهلها، فكم من ملحد يروم ان يخلط فى الشريعة ما ليس منها، والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها، فهم الحفاظ لأركانها، والقوامون بأمرها وشأنها إذا صُدِفَ عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون **﴿أولئك حزب الله الا إن حزب الله هم المفلحون﴾** .

ثم قال فى ص ٦ : قال الخطيب : قد ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة فى كتابه المؤلف فى تأويل مختلف الحديث ما يتعلق به أهل البدع من الطعن على أصحاب الحديث ثم ذكر من فساد ما تعلقوا به ما فيه مقنع لمن وفقه الله لرشده، ورزقه السداد فى قصده وأنا أذكر فى هذا الكتاب إن شاء الله ما روى عن رسول الله ﷺ فى الحث على التبليغ عنه وفضل النقل لما سمع منه، ثم ما روى عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء الخالفين فى شرف أصحاب الحديث وفضلهم وعلو مرتبتهم ومحاسنهم المذكورة ومعالمهم المأثورة . نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بمحبتهم ويحيينا على سنتهم ويميتنا على ملتهم ويحشرنا فى زمرتهم انه بنا خبير بصير وهو على كل شىء قدير. ثم أورد حديث «نظر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه» من طرق إلى زيد بن ثابت وجبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهم ـ ثم روى باسناده إلى سفيان بن عيينة أنه قال : ما من أحد يطلب الحديث إلا فى وجهه نضرة لقول النبى ﷺ «نظر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه» (ص : ١٠ـ١١) . ثم أورد روايات فى وصية النبى ﷺ باكرام أصحاب الحديث (ص : ١١ـ١٢) . ثم أورد حديث بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء من طريق أبى هريرة وعبد الله بن مسعود ثم قال عقبه : «قال عبدان هم أصحاب الحديث الأوائل» (ص : ١٣) . ثم أورد حديث : «ستفترق أمتى

على نيف وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة» ثم روى باسناده إلى الإمام أحمد بن حنبل أنه قال :

يعنى فى الفرقة الناجية : ان لم يكونوا أصحاب الحديث فلا ادرى من هم؟ (ص : ١٣) . ثم ذكر قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتى على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» من حديث معاوية بن قرة وعمران بن حصين . ثم قال : يزيد بن هارون إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدرى من هم؟ وروى باسناده إلى عبد الله بن المبارك أنه قال : هم عندى أصحاب الحديث ثم روى أيضا باسناده إلى أحمد بن حنبل وأحمد بن سنان وعلى ابن المدينى أنهم قالوا : إنهم أصحاب الحديث وأصحاب العلم والأثر (ص : ١٤-١٥) . ثم أورد حديثا عن على رضى الله عنه - فى كون أهل الحديث خلفاء النبى ﷺ - فى التبليغ عنه . (ص : ١٧-١٨) .

ثم قال : وصف النبى ﷺ إيمان أهل الحديث ثم ذكر فى هذا المعنى حديثا عن عبد الله بن عمرو وآخر عن عمر بن الخطاب مرفوعين إلى النبى ﷺ (ص١٨-١٩) . ثم قال : «كون أصحاب الحديث أولى بالنبى ﷺ لدوام صلاتهم عليه» ثم أورد فى هذا المعنى حديث ابن مسعود رضى الله عنه : «إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم صلاة على» ثم قال : قال أبو نعيم - رحمه الله - وهذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها لأنه لا يعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على النبى ﷺ أكثر مما يعرف لهذه العصابة نسخاً وذكراً (ص : ١٩-٢٠) .

ثم قال : بشارة النبى ﷺ بكون طلبة الحديث بعده واتصال الاسناد بينهم وبينه وساق حديثا فى هذا المعنى عن ثابت بن قيس مرفوعا وآخر عن ابن عباس - رضى الله عنهما .

ثم قال : ذكر بيان فضل الإسناد وأنه مما خص الله به هذه الأمة ثم ذكر جهود أهل الحديث واهتمامهم بالاسانيد وتحريهم فى الأخذ عن الثقات واجتهادهم فى كتابة الحديث وتتبع طرقه ونقدهم للرواة وبعدهم عن المحاباة فلا يحابى أحدهم فى الحديث اباه ولا أخاه ولا ولده ثم قال : وهذا على بن المدينى وهو إمام الحديث فى عصره لا يروى عنه حديث واحد فى تقوية أبيه ، بل يروى عنه ضد ذلك (ص : ٢٢-٢٣) .

ثم قال : كون أصحاب الحديث أمناء الرسول ﷺ لحفظهم السنن وتبيينهم لها .

ثم نقل عن أبى حاتم فضل أهل الحديث وعن عبد الله بن داود الخريبى يقول سمعت أئمتنا ومن فوقنا أن أصحاب الحديث وحملة العلم هم أمناء الله على دينه وحفاظ سنة نبيه ما عملوا وعلموا . ثم روى بإسناده إلى - كهمس - رحمه الله قال : من لم يحقق ان

أهل الحديث حفظة الدين فإنه يعد فى ضعفاء المساكين الذين لا يدينون الله بدين (ص: ٢٤-٢٥).

ثم أورد العنوان التالى : وهو كون أصحاب الحديث حماة الدين بذبهم عن السنن وساق تحت هذا العنوان قول الثورى: «الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض». وقول يزيد بن زريع: «لكل دين فرسان وفرسان هذا الدين أصحاب الإسانيد». (ص: ٢٥).

ثم قال : كون أصحاب الحديث ورثة رسول الله ﷺ فيما خلفه من السنة وأنواع الحكمة.

وذكر أثراً عن ابن مسعود أن السنة هى ميراث رسول الله ثم اعتبار الفضيل بن عياض أهل الحديث ورثة الأنبياء. ثم قول الشافعى: «إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنى رأيت النبى ﷺ حيًّا» ساق هذا إلى الشافعى بإسناد صحيح (ص: ٢٥-٢٦).

ثم قال : «كونهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر».

وروى بإسناده إلى إبراهيم بن موسى أنه سئل من الأمارون بالمعروف والناهون عن المنكر؟ قال: نحن منهم نقول. قال رسول الله ﷺ : لا تفعلوا كذا (ص: ٢٦).

ثم قال : «كونهم خيار الناس. ثم روى باسناده إلى أبى بكر بن عياش أنه قال «ما قوم خير من أصحاب الحديث وقال: ما أعلم فى الدنيا خيراً منهم».

وبإسناده إلى أحمد بن حنبل : قال: ليس قوم عندى خيراً من أهل الحديث ليس يعرفون إلا الحديث. وقال: أهل الحديث أفضل من تكلم فى العلم.

وقال أحمد أيضا : إن لم يكن هؤلاء هم الناس فلا أدرى من الناس. وبإسناده إلى الأوزاعى أنه قال: لا أعلم أحداً أفضل من أهل الحديث وبإسناده إلى عثمان بن أبى شيبة أنه قال فى أهل الحديث: أما إن فاسقهم خير من عابد غيرهم.

وبإسناده إلى أبى يوسف القاضى أنه قال وقد رأى أصحاب الحديث على الباب: «ما على الأرض خير منكم» (ص: ٢٦-٢٨) ثم عنون بما يأتى: «من قال إن الأبدال والأولياء أصحاب الحديث ثم ساق قول صالح بن محمد الرازى ويزيد بن هارون وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل فى هذا المعنى أى أن أهل الحديث هم أولياء الله وهم الأبدال (ص: ٢٨).

ثم أورد عنوانا بلفظ، من قال: لولا أهل الحديث لاندرس الإسلام ثم ساق بإسناده أقوال حفص بن غياث وأبى داود وعلى بن المديني فى هذا المعنى ولفظ أبى داود لولا هذه العصابة لاندرس الإسلام يعنى أصحاب الحديث الذين يكتبون الآثار (ص: ٢٩) .

ثم قال : من قال: إن الحق مع أصحاب الحديث وساق أسانيده إلى هارون الرشيد والوليد الكرابسى ومحمد بن قريش العنبرى البصرى شهادتهم لأهل الحديث أنهم أهل الحق ولفظ الرشيد «طلبت اربعة فوجدتها فى اربعة طلبت الكفر فوجدته فى الجهمية وطلبت الكلام والشغب فوجدته فى المعتزله وطلبت الكذب فوجدته عند الرافضة وطلبت الحق فوجدته مع أصحاب الحديث» (ص: ٣١-٣٢). ثم قال كون أهل الحديث أولى الناس بالنجاة فى الآخرة وأسبق إلى الجنة. ثم ساق بإسناده حديثا مرفوعا فى هذا المعنى ثم عقبه بأقوال فى هذا المعنى اسندها إلى أبى جعفر النفيلى وإلى أبى مزاحم الخاقانى وشاذان بن يحى وابن المبارك والحسن بن على التميمى .

وقول النفيلى : إن كان على وجه الأرض أحد ينجو فهؤلاء الذين يطلبون الحديث. (ص: ٣٢-٣٣) .

ثم تكلم فى فضل الرحلة فى طلب الحديث وسماعه وكونه فيه خير الدنيا والآخرة وذم الذين لم يسمعوا الحديث والترغيب فى كتابة الحديث وثبوت حجة صاحب الحديث، ووصف الراغب فى الحديث والزاهد فيه .

ثم قال : الاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث وأسند إلى قتيبة بن سعيد قوله: «إذا رأيت الرجل يحب أهل الحديث مثل يحى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وذكر قوماً آخرين فإنه على السنة ومن خالف هذا فاعلم أنه مبتدع». (ص: ٤٠) .

ثم أسند إلى أحمد بن حنبل أن أحمد بن الحسن الترمذى قال له: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبى قتيلة بمكة أصحاب الحديث فقال له أصحاب الحديث قوم سوء فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه. فقال: زنديق زنديق زنديق ودخل بيته. وذكر أقوالا عن الأوزاعى وغيره أن من علامة المبتدعة عدم انقيادهم للحديث. (ص: ٤٠-٤١) .

ثم قال : من جمع بين مدح أصحاب الحديث وذم أهل الرأى والكلام الخبيث. وأسند إلى الشعبى وأحمد بن شبويه ومحمد بن عبد الرحمن النسفى أقوالهم فى ذم الرأى .

ثم أسند إلى عبيدة بن زياد الأصبهانى أنه قال:

دين النبى محمد اخبار نعم المطية للفتى آثار

لا تخدعن عن الحديث وأهله   فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى   والشمس بازغة لها أنوار

وساق أقوالا لعلماء فى ذم الرأى. ثم أسند إلى أبى عبد الله محمد بن على الصورى أنه قال :

قل لمن عاند الحديث واضحى   عائبا أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا ابن لى   أم بجهل فالجهل خلق السفيه
إيعاب الذين هم حفظوا الدين   من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه   راجع كل عالم وفقيه

ثم ساق أقوالا فى ذم الكلام وأهله ومنها قول الشافعى : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم فى العشائر والقبائل ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ بالكلام . (ص : ٤١-٤٣) - رحمه الله وجزاه الله عن الحديث وأهله خيراً .

فهذا قليل من كثير فى حال أهل الحديث وواقعهم وما قيل من مدح بحق وشهادة بصدق . نقلت هذا لمن كان على نهجهم فى اتباع الكتاب والسنة ليزداد إيمانا وثباتا ولمن خدع من المنتسبين إلى السنة بمغالطات وتلبيسات الجهمية والمرجئة وغيرهما من الفرق الضالة فوقع فى شىء من التعطيل والتأويل الجهمى أو التخريف الصوفى أو وقع فى مزالق الإرجاء أو سقط في أفخاخ الجبرية ليعود إلى أصله ويأوى إلى عرينه فيلزم عرين أهل الحديث ويكون فى ركبهم ويتبع حاديهم :

أهل الحديث هموا أهل النبى وان   لم يصحبوا نفسه انفاسه صحبوا
دين النبى محمد اخبار   نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله   فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى أثر الهدى   والشمس بازغة لها أنوار

ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما .

صلاة الجماعة

للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي
أستاذ مساعد بكلية الحديث الشريف

الأول : حكم صلاة الجماعة :

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «أثقل الصلاة على المنافقين، صلاة العشاء، وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». (إسناده صحيح)(١) .

وفى رواية عند أحمد «لولا ما فى البيوت من النساء والذرية لأقمت صلاة العشاء وآمر فتيانى يحرقون ما فى البيوت بالنار»(٢) .

وفى إسناد أحمد : أبو معشر، وهو نجيح بن عبد الرحمن السندى المشهور بكنيته، ضعيف .

وقوله : «حبواً» أى المشى على الأيدى والركب، وهو الزحف كما يزحف الصغير .

خص النبى ﷺ الصلاتين وهما العشاء والفجر وجعلهما ثقلاً على المنافقين لأن العشاء كانت وقت الإيواء إلى البيوت من العمل، وكانت ظلمة الليل تمنعهم من الخروج من البيت. وأما الفجر فلذة النوم تمنع من القيام وخاصة فى البرد الشديد .

وخص النبى ﷺ المنافقين لأنهم ما كانوا يؤدون الصلاة على جهة الاحتساب فكلما وجدوا فرصة للغياب لم يفرطوا فيها، بل اغتنموها فكأن النبى ﷺ شبه المؤمنين تاركى حضور الجماعة فى صلاتى الفجر والعشاء بالمنافقين، وهددهم بالاحراق بالنار .

واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على وجوب صلاة الجماعة لأنها لو كانت سنة لما هدد النبى ﷺ تاركها بالتحريق .

---

(١) رواه البخارى : (٢/١٢٥ مع الفتح) ومسلم (١/١٤٥) وأبوداود (١/٣٧١-٣٧٢) والنسائى (٢/١٠٧) والترمذى (١/٤٢٢-٤٢٣) وأحمد (٢/٢٤٤، ٢٩٢، ٣١٤، ٣١٩) .

(٢) أحمد : (٢/٣٦٧) .

فتفرع عن ذلك عدة أقوال فى حكم صلاة الجماعة منها :

١ - **أنها فرض على الأعيان** : وهو رأى الأوزاعى ، وأحمد، وداود الظاهرى وبعض محدثى الشافعية كأبى ثور، وابن خزيمة ، وابن المنذر، وابن حبان ، ثم اختلف هؤلاء ، فقال داود الظاهرى : إنها شرط فى صحة الصلاة ، ففى المحلى «ولا تجزى صلاة فرض أحداً من الرجال ، إذا كان بحيث يسمع الأذان أن يصليها إلا فى المسجد مع الإمام ، فإن تعمد ترك ذلك بغير عذر بطلت صلاته فإن كان بحيث لا يسمع الأذان ففرض عليه أن يصلى فى جماعة مع واحد إليه فصاعداً ولابد ، فإذا لم يفعل فلا صلاة له إلا أن لا يجد أحداً يصليها معه فيجزئه حينئذ إلا من له عذر فيجزئه حينئذ التخلف عن الجماعة»[١] .

وذكر ابن عقيل من الحنابلة وجهاً فى اشتراطها عن أحمد أيضاً قياساً على سائر واجبات الصلاة . والصحيح عنه أنها ليست شرطاً فى صحة الصلاة بدليل عدم انكار النبى ﷺ على اللذين صليا فى رحالهما .

يقول ابن دقيق العيد : «ولما كان الوجوب قد ينفك عن الشرطية قال أحمد فى أظهر قوليه بوجوبها على الأعيان بدون شرطية»[٢] .

وكذلك انعقد الاجماع على أن من صلى فى بيته وحده لا يجب عليه الإعادة .

٢ - وذهب الجمهور إلى أنها سنة مؤكدة . وهو رأى الأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأبى حنيفة ، وبه قال الثورى : وللشافعى ومالك قول بأنها فرض كفاية .

أدلة القائلين بوجوب الجماعة :

١ - قوله تعالى : ﴿**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم**﴾ (سورة النساء) .

هذه الآية تختص بصلاة الخوف ، فإذا لم يأذن الله أن نتخلف عن الجماعة فى حالة الخوف ، ففى الأمن أولى .

قال ابن كثير : «وما أحسن ما استدل به من ذهب إلى وجوب الجماعة من هذه الآية الكريمة ، حيث اغتفرت أفعال كثيرة لأجل الجماعة ، فلولا أنها واجبة لما ساغ ذلك»[٣] .

---

(١) المحلى : (٢٦٥/٤) .
(٢) إحكام الاحكام : (١٦٦/١) .
(٣) تفسير ابن كثير : (٣٥٤/٢) .

وقال ابن قدامة : «ولو لم تكن واجبة لرخص فيها حالة الخوف، ولم يجز الإخلال بواجبات الصلاة من أجلها»[1] .

٢ ـ ولأن النبى ﷺ لم يرخص للأعمى أن يتخلف عن الجماعة مع عذره .

قال أبو هريرة : «أتى رسول الله ﷺ رجل أعمى فقال يارسول الله : إنه ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له، فرخص له، فلما ولىَّ دعاه، فقال: هل تسمع النداء؟ قال: نعم. قال: فأجب» [2] .

وعن عمرو بن أم مكتوم أنه قال لرسول الله ﷺ : «إنى ضرير البصر، شاسع الدار، ولى قائد لا يلاومنى، فهل لى رخصة أن أصلى فى بيتى؟ . قال: هل تسمع النداء؟ . قال: نعم . قال: فأجب، فإنى لا أجد لك رخصة» . وفى رواية «قال يارسول الله إن المدينة كثيرة الهوام والسباع، وأنا ضرير البصر، فهل تجد لى من رخصة؟ . قال: تسمع حى على الصلاة، حى على الفلاح؟ . قال: نعم. فقال: فحى هلا، ولم يرخص[3] .

قوله : يلاومنى من الملاومة أى الموافقة والمناسبة .

قال الخطابى : هكذا يروى فى الحديث بالواو. ولكن الصواب: يلايمنى : أى يوافقنى. واما الملاومة فإنها من اللوم وليس هذا موضعه .

والهوام : هوام الأرض أى حشراتها .

فحى هلا : حيى بمعنى هلمَّ، وهلا : بمعنى عجل واسرع .

قال الخطابى : وفى هذا دليل على أن حضور الجماعة واجب ولو كان ذلك ندباً لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرر والضعف، ومن كان فى مثل حال ابن أم مكتوم .

وكان عطاء بن رباح يقول : ليس لأحد من خلق فى الحضر، والقرية رخصة إذا سمع النداء فى أن يدع الصلاة. وقال الأوزاعى : لا طاعة للوالدين فى ترك الجمعة والجماعات، سمع النداء أو لم يسمع. وكان أبو ثور يوجب الجماعة. واحتج هو وغيره ممن أوجبه بأن الله سبحانه وتعالى أمر أن يصلى جماعة فى حال الخوف، ولم يعذر فى تركها فعقل أنها فى حال الأمن أوجب .

وقال : واكثر أصحاب الشافعى على أن الجماعة فرض على الكفاية لا على الأعيان. وتأولوا حديث ابن أم مكتوم على أنه لا رخصة لك ان طلبت فضيلة الجماعة،

---

(١) المغنى : (١٤٩/٢) .

(٢) رواه مسلم : (٤٥٢/١) والنسائى (١٠٩/٢) .

(٣) رواه أبو داود (٣٧٥/١) والنسائى (١١٠/٢) وابن ماجة (٢٦٠/١) واسناده صحيح .

وانـك لا تحرز أجـرهـا مع التخلف عنها بحال. واحتجوا فى ذلك بقوله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». انتهى كلامه[1].

٢ ـ حديث ابن عبـاس: قال رسـول الله ﷺ: «من سمـع المنـادى فلم يمنعـه من اتباعه عذر، قال: وما العذر؟. قال: خوف أو مرض، لم تقبل منه صلاته التى صلى».

رواه أبـو داود والـدارقطنى والحـاكم[2] كلهم بطـرق عن أبى جنـاب، عن مغـراء العبدى، عن عدى بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عنه.

قال أبو داود: روى عن مغراء أبو إسحاق أيضاً.

وسكت عليه الحاكم والذهبى:

ومغـراء: بفتـح أولـه وسكـون المعجمة ـ أبو مخارق الكوفى ذكره ابن حبان فى الثقات وطعن فيـه عبـد الحق وتكلم فيـه الـذهبى. قال ابن القطـان: أنكر على عبد الحق طعنه فى حديثه. ولا يعرف فيه تجريح.

وفيه يحى بن أبى حية، أبو جناب الكلبى: قال الحافظ: ضعفوه لكثرة تدليسه.

وقال المنذرى: أبو جناب يحى بن أبى حية الكلبى ضعيف واخرجه ابن ماجة بنحوه واسناده أمثل وفيه نظر. انتهى.

وحـديث ابن ماجـة الـذى أشار إليه المنذرى هو بلفظ «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له إلا من عذر».

رواه ابن ماجة والدارقطنى والحاكم[3] كلهم من طرق عن هشيم بن بشير عن شعبة، عن عدى بن ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. كما رواه الحاكم أيضاً بطريق عبد الـرحمن بن غزوان أبى نوح المعـروف بقـراد عن شعبـة. وقـال: هذا الحديث قد أوقفه غندر وأكثر أصحاب شعبة، وهو حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وهشيم، وقراد أبو نوح ثقتان، فإذا وَصَلاه فالقول فيه قولهما. انتهى. ووافقه الذهبى وقال: الدارقطنى بعد ذكر هذا الحديث بطريق هشيم بن بشير عن شعبة. حدثنا ابن مبشر وآخرون قالوا: أخبرنا عباس بن محمد الدورى حدثنا قراد عن شعبة باسناده نحوه.

ثم قال: رفعه هشيم، وقراد شيخ من البصريين مجهول. انتهى.

---

(١) مختصر المنذرى: (١/٢٩٢) وهامش سنن أبى داؤد (١/٣٧٤).

(٢) أبو داؤد (١/٣٧٤) والدارقطنى (١/٤٢٠) والحاكم (١/٢٤٥).

(٣) ابن ماجة (١/٢٦٠) والدارقطنى (١/٤٢٠) والحاكم (١/٢٤٥).

وقراد هذا الذى زعمه الدارقطنى هنا أنه مجهول قد وثقه هو نفسه فى الجرح والتعديل كما نقله عنه الحافظ فى التهذيب[1] .

قال الحافظ : ورواه قاسم بن اصبغ فى مسنده موقوفاً ومرفوعاً من حديث شعبة عن عدى بن ثابت به ولم يقل فى المرفوع : «إلا من عذر» . ثم ذكر كلام الحاكم وأنه أخرج فى مستدركه بعض الشواهد، منها : عن أبى موسى الأشعرى وهو من طريق أبى بكر بن عياش، عن أبى حصين عن أبى بردة عنه بلفظ : من سمع النداء فارغاً صحيحاً فلم يجب فلا صلاة له . ثم قال : ورواه البزار من طريق قيس بن الربيع عن أبى حسين أيضاً . ورواه من طريق سماك عن أبى بردة عن أبيه موقوفاً . وقال البيهقى : الموقوف أصح . ورواه العقيلى فى الضعفاء من حديث جابر، وضعفه، ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وضعفه . «انتهى كلام الحافظ»[2] .

وقال الحاكم : وقد صحت الرواية فيه عن أبى موسى عن أبيه (هكذا والصحيح عن أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه) . ووافق الذهبى على تصحيح الحديث[3] .

قال الكاسانى : «تجب الجماعة على الرجال العاقلين الأحرار القادرين عليها من غير حرج . فلا تجب على النساء والصبيان والمجانين والعبيد والمقعد ومقطوع اليد والرجل من خلاف والشيخ الكبير لا يقدر على المشى والمريض «انتهى»[4] لأن هؤلاء من أصحاب الأعذار .

٤ ـ حديث جابر بن عبد الله : لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد «وهو حديث مشهور بين الناس وليس له اسناد ثابت . فقد رواه الدارقطنى[5] عن جابر بن عبد الله وفيه : محمد بن سكين الشقرى المؤذن . قال عنه الذهبى : لا يعرف وخبره منكر . وقال البخارى : فى اسناد حديثه نظر . ورواه العقيلى فى الضعفاء وضعفه . ورواه أيضاً هو والحاكم[6] . عن أبى هريرة : وفيه سليمان بن داود اليمامى قال عنه ابن معين : ليس بشىء . وقال البخارى : منكر الحديث . وقال ابن حبان متروك . ورواه ابن عدى فى الكامل وضعفه، ورواه أيضاً عن على بن أبى طالب . وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف جداً .

---

(١) التهذيب : (٦/٢٤٩) .
(٢) انظر التلخيص الحبير : (٢/٣٠) .
(٣) انظر المستدرك : (١/٢٤٦) .
(٤) البدائع : (١/٤٢٢) .
(٥) الدارقطنى : (١/٤٢٠) .
(٦) المستدرك : (١/٢٤٦) .

وقال ابن الجوزى : رواه عمر بن راشد من حديث عائشة . قال ابن حبان : لا يحل ذكر عمر إلا على سبيل القدح فيه[1] .

ذكر السيوطى فى الجامع الصغير[2] . والعجلونى فى كشف الخفاء[3] .

وقالا : إنه ضعيف . هذه هى بعض ما روى فى هذا الموضوع وإليكم الآن :

وجهة نظر الجمهور القائلين بعدم وجوب الجماعة :

نظر الجمهور إلى الأحاديث التى مر ذكرها ، وإلى الأحاديث التى تفضل الجماعة على الفرد بدرجات فقالوا : نحمل هذه الاحاديث على تأكيد الجماعة وعدم التهاون فيها لأن قوله ﷺ : «على صلاته وحده» يقتضى صحة صلاته منفرداً لاقتضاء صيغة «أفعل» الاشتراك فى أصل التفاضل فان ذلك يقتضى أيضاً وجود فضيلة فى صلاة المنفرد . وما لا يصح لا فضيلة فيه .

قال الإمام الشافعى : «ومنعنى أن أقول إن صلاة الرجل لا تجوز وحده وهو يقدر على جماعة بحال تفضيل النبى ﷺ صلاة الجماعة على صلاة المنفرد ، ولم يقل لا تجزى المنفرد صلاته ، وأنا قد حفظنا أن قد فاتت رجالاً معه الصلاة فصلوا بعلمه منفردين ، وقد كانوا قادرين على أن يجمعوا ، وأن قد فاتت الصلاة فى الجماعة قوماً فجاءوا المسجد فصلى كل واحد منهم منفرداً ، وقد كانوا قادرين على أن يجمعوا فى المسجد ، فصلى كل واحد منهم منفرداً[4] .

قال القرطبى : ولا يقال ان لفظة «أفعل» قد ترد لإثبات صفة الفضل فى إحدى الجهتين كقوله تعالى : ﴿**وأحسن مقيلا**﴾ . لأنا نقول : إنما يقع ذلك على قلة حيث ترد صيغة «أفعل» مطلقة غير مقيدة بعدد معين . فإذا قلنا : هذا العدد أزيد من هذا بكذا فلابد من وجود أصل العدد .

ولا يقال : يحمل المنفرد على المعذور لأن قوله : صلاة الفذّ صيغة عموم فيشمل من صلى منفرداً بعذر ، وبغير عذر فحمله على المعذور يحتاج إلى دليل . وأيضاً ففضل الجماعة حاصل للمعذور[5] .

---

(١) الموضوعات : (٢/٩٣) . وانظر المجروحين لابن حبان : (٢/٩٣) .
(٢) ٦ / ٤٣١ : (مع فيض القدير) .
(٣) كشف الخفاء : (٢/٣٦٥) .
(٤) الأم : (١/١٥٥) .
(٥) أنظر فتح البارى : (٢/١٣٦) .

ويحتج على الظاهرية القائلين بالوجوب بحديث أبى هريرة أنه بمقتضى مذهبهم لا يدل على وجوب الجماعة فى غير الفجر والعشاء. لأنهم يأخذون بالظاهر. فإذا ثبت أن الصلوات الأخرى غير واجبة، وجب أن نحمل حديث أبى هريرة على غير الوجوب أيضاً لأن الصلوات الخمس لا يختلف حكمها .

فإذا كان كذلك وجب تأويل حديث أبى هريرة حتى يصلح أن يكون حكمه مثل الصلوات الأخرى .

وإليكم بعض هذه التأويلات نقلاً من الحافظ :

١ ـ ان النبى ﷺ هم بالتوجه إلى المتخلفين، فلوكانت الجماعة فرض عين ماهَمّ بتركها إذا توجه .

وتعقب بأن الواجب يجوز تركه لما هو أوجب منه كما أن تركه لهما حال التحريق لا يستلزم الترك مطلقا لإمكان أن يفعلها فى جماعة آخرين قبل التحريق أو بعده .

٢ ـ إنها لو كانت شرطاً أو فرضاً لبين ذلك عند التوعد .

يجاب بأن النبى ﷺ قد دل على وجوب الحضور وهو كاف فى البيان .

قال ابن دقيق العيد : بأن البين قد يكون بالتنصيص وقد يكون بالدلالة .

فلما قال : قد «هممت» دل على وجوب الحضور .

٣ ـ **قال الباجى وغيره** : ان الخبر ورد مورد الزجر، وحقيقته غير مرادة، وإنما المراد ـ المبالغة ويرشد إلى ذلك وعيدهم بالعقوبة التى يعاقب بها الكفار .

وقد انعقد الاجماع على منع عقوبة المسلمين بذلك .

وأجيب بأن المنع وقع بعد نسخ التعذيب بالنار وكان قبل ذلك جائزاً بدليل حديث أبى هريرة قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى بعث فقال: «إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار». ثم قال رسول الله ﷺ حين أردنا الخروج: «إنى أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً. وإن النار لا يعذب بها إلا الله فإن وجدتموهما فاقتلوهما» .

رواه البخارى فى الجهاد فى باب لا يعذب بعذاب الله وأصحاب السنن. إلا أن هذا الحكم كان خاصاً بالكفار .

٤ ـ أن النبى ﷺ ترك تحريقهم بُعد التهديد فلو كان واجباً ما عفا عنهم .

قال القاضى عياض : ليس فى الحديث حجة لأنه ﷺ هم ولم يفعل وزاد النووى: ولو كان فرض عين لما تركهم .

وأجـاب ابن دقيق العيـد فقـال : هذا ضعيف لأنـه لا يهم إلا بما يجوز له فعله ، وأمـا الـترك فلا يدل على عدم الـوجـوب لاحتـمال أن يكون انزجروا بذلك وتركوا التخلف الذى ذمهم بسببـه وقـد جاء فى بعض الطـرق بيان سبب الترك وهو فيما رواه أحمد من طريق سعيد المقـبرى عن أبى هريـرة بلفـظ : لولا ما فى البيـوت من النساء والذرية لاقمت صلاة العشاء وأمرت فتيانى يحرقون . الحديث[1] .

٥ ـ قالوا : إن المراد بالتهديد قوم تركوا الصلاة رأساً لا مجرد الجماعة وهو متعقب بأن فى رواية مسلم «لا يشهدون الصلاة» أى لا يحضرون ، وفى رواية أحمد «لا يشهدون العشاء فى الجميع» . أى فى الجماعة .

٦ ـ إن هذا التهـديـد ورد فى حق المنـافقين لتركهم الجماعة . تعقب باستبعاد الاعتناء بتأديب المنافقين على تركهم الجماعة مع العلم بأنه لا صلاة لهم . وبأنه ﷺ كان معرضاً عنهم وعن عقوبتهم مع علمه بطويتهم . وقد قال : «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» .

وتعقب هذا التعقيب ابن دقيق العيد بأنه لا يتم إلا أن ادعى أن ترك معاقبة المنافقين كان واجباً عليه ولا دليل على ذلك وليس فى اعراضه عنهم ما يدل على وجوب ترك عقوبتهم[2] .

قال الحـافـظ بعد نقل هذه الاحتمالات : والذى يظهر لى أن الحديث ورد فى المنافقين لقوله فى صدر الحديث : «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء . . .» .

وبقوله ﷺ : «لو يعلم أحدكم» لأن هذا الوصف لائق بالمنافقين لا بالمؤمن الكامل ، لكن المـراد به نفـاق المعصيـة ، لا نفـاق الكفـر بدليـل قولـه فى رواية عجلان : «لا يشهدون العشاء فى الجميع» . وقوله فى حديث أسامة : «لا يشهدون الجماعة» وأصرح من ذلك قوله فى رواية يزيد بن الأصم عن أبى هريرة عند أبى داود : «ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة» . فهذا يدل على أن نفاقهم نفاق معصية لا كفر . لأن الكافر لا يصلى فى بيته إنما يصلى فى المسجد رياء وسمعة ، فإذا خلا فى بيته كان كما وصفه الله به من الكفر والاستهزاء . انتهى[3] .

وأجاب الجمهور عن حديث ابن أم مكتوم وغيره من أصحاب الاعذار بأن النبى ﷺ لم يجد لهم رخصة تحصل لهم فضيلة الجماعة من غير حضورها ، وليس معناه إيجاب الحضور

(١) هذه الزيادة لا تصح وقد سبق بيانه .
(٢) احكام الأحكام : (١٦٥/١) .
(٣) فتح البارى : (١٢٧/٢) .

على الأعمى ، بدليل أنه ﷺ رخص لعتبان بن مالك ـ رضى الله عنه ـ حين قال : يا رسول الله إن السيول تحول بينى وبين مسجد قومى ، فأحب أن تأتينى فى مكان من بيتى اتخذه مسجداً . فقال رسول الله ﷺ : «سنفعل» . فلما دخل النبى ﷺ قال : «أين تريد؟» . فأشار إلى ناحية من البيت فقام رسول الله ﷺ فصففنا خلفه ، فصلى بنا ركعتين .

وفى رواية إن عتبان بن مالك كان يؤم قومه وهو أعمى ، وأنه قال لرسول الله ﷺ : إنها تكون الظلمة ، والسيل ، وأنا رجل ضرير البصر ، فصل يارسول الله فى بيتى مكاناً اتخذه مصلى . . . الخ[1] .

وقالوا أيضاً : إن النبى ﷺ لم يأمر رجلين صليا فى رحالهما باعادة الصلاة . ولم يبين لهم أن حضور الجماعة واجب وهذا وقت بيانه .

ثم الاستدلال بحديثى الأعمى وأبى هريرة على وجوب مطلق الجماعة ففيه نظر . لأن الدليل اخص من الدعوى إذ غاية ما فى ذلك وجوب حضور جماعة النبى ﷺ فى مسجده لسامع النداء .

وكان من جملة أدلتهم أيضاً حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعاً وهو «إن اعظم الناس فى الصلاة أجراً أبعدهم إليها ممشى ، والذى ينتظر الصلاة يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذى يصلى ثم ينام»[2] .

وأيضاً حديث أبى هريرة بهذا المعنى[3] .

وأما حديث ابن عباس المتقدم بلفظ «من سمع النداء فلم يأت الصلاة فلا صلاة له إلا من عذر» . فإن المراد به كاملة على أن فى اسناده يحي بن أبى حية أبو جناب ضعيف كما سبق . والله تعالى أعلم بالصواب .

الثانى : كيف تحصل فضيلة الجماعة؟

تحصل فضيلة الجماعة بالاثنين وأكثر لأن النبى ﷺ اطلق فى قوله : «أفضل صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة» . فسوى الجماعات فى الفضل سواء كثرت أم قلت .

---

(١) رواه البخارى : (٢/١٥٧ مع الفتح) ومسلم (١/٤٥٥) والنسائى (٢/٨٠) .

(٢) رواه البخارى : (٢/١٣٦مع الفتح) ومسلم (١/٤٦٠) .

(٣) رواه أبوداود : (١/٣٧٧) وابن ماجة (١/٢٥٧) وأحمد (٢/٣٥٠، ٤٢٨) بطرق عن ابن أبى ذئب ، عن عبد الرحمن بن مهران ، عن عبد الرحمن بن سعد ، عن أبى هريرة مرفوعا : ولفظه «الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجرا» وعبد الرحمن بن مهران ـ الهاشمى مولاهم ـ قال عنه الحافظ فى التقريب : مجهول . وقال الخزرجى فى الخلاصة : وثقة ابن حبان .
أقول لأنه مشى على قاعدته وهى توثيق المجاهيل ، فانه لم يروعنه إلا ابن أبى ذئب .

وقد روى ابن أبى شيبة باسناد صحيح عن إبراهيم النخعى أنه قال: إذا صلى الرجل مع الرجل فهما جماعة، لهم التضعيف خمساً وعشرين[1] انتهى .

ولكنه لا ينفى مزيد الفضل إذا كان أكثر، لاسيما مع وجود النص المصرح به وهو ما رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن خزيمة وغيره من حديث أبى بن كعب مرفوعاً: صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل وما أكثر فهو أحب إلى الله[2] .

والصحيح أن الجماعة تحصل باثنين لما رواه مالك بن الحويرث قال: أتيت النبى ﷺ أنا وصاحب لى، فلما أردنا الاقفال من عنده قال: إذا حضرت الصلاة فأذنا، ثم أقيما وليؤمكما أكبركما[3] .

وقد بوب البخارى فى صحيحه : الاثنان فما فوقهما جماعة. وهذه ترجمة مأخوذة من حديث ورد من طرق ضعيفة منها فى ابن ماجه من حديث أبى موسى الأشعرى وفى معجم البغوى من حديث الحكم بن عمير، وفى أفراد الدارقطنى من حديث عبد الله بن عمر، وفى البيهقى من حديث أنس، وفى الأوسط للطبرانى وعند أحمد من حديث أبى امامة: «أنه رأى رجلاً يصلى وحده فقال: ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه؟ فقام رجل فصلى معه فقال: هذان جماعة» والقصة المذكورة دون قوله «هذان جماعة» أخرجها أبو داود والترمذى من وجه أخر صحيح[4] .

وقال الإمام النووى : «قال أصحابنا: أقل الجماعة اثنان إمام ومأموم، فإذا صلى رجل برجل، أو بأمرأته، أو أمته، أو بنته أو غيرهم أو بغلامه، أو بسيدته، أو بغيرهم حصلت لهما فضيلة الجماعة التى هى خمس أو سبع وعشرون درجة، وهذا لا خلاف فيه. ونقل الشيخ أبو حامد وغيره فيه الاجماع»[5] .

وذلك بدون تفريق ما بين الفرض والنفل. وذهب الإمام أبو حنيفة وأصحابه إلى أنه لا تنعقد الجماعة بصبى، وذهب هو فى رواية، والإمام مالك إلى الصحة فى النافلة دون الفرض .

---

(١) المصنف : (٢/٥٣١) .
(٢) أحمد : (٥/١٤٠) وأبو داؤد (١/٣٧٦) والنسائى (٢/١٠٥) .
(٣) رواه البخارى : (٢/١١١ مع الفتح) ومسلم (١/٤٦٥) وأبو داود (١/٣٩٦) والترمذى (١/٣٩٩) والنسائى (٢/٧٧) .
(٤) انظر فتح البارى : (٢/١٤٢) .
(٥) أنظر شرح المهذب : (٤/٨١) .

وعموم الأحاديث قاضية على هذا الخلاف، لأن النبى ﷺ لم يبين بأن الجماعة لا تنعقد مع صبى فالأمر على الأصل حتى يثبت بالدليل ما يخالفه .

الثالث : العدد الصحيح لمضاعفة فضل صلاة الجماعة على الفذ

قال الترمذى : عامة من روى هذا الحديث قالوا خمساً وعشرين إلا ابن عمر فإنه قال : سبعا وعشرين .

قال الحافظ : لم يختلف عليه فى ذلك إلا ما وقع عند عبد الرزاق[1] عن عبد الله العمرى عن نافع فقال فيه : خمس وعشرون . لكن العمرى ضعيف . ووقع عند أبى عوانه فى مستخرجه من طريق أبى أسامة عن عبيد الله بن عمر عن نافع فانه قال فيه : بخمس وعشرين وهى شاذة مخالفة لرواية الحفاظ من أصحاب عبيد الله وأصحاب نافع وإن كان راويها ثقة[2] . وأما ما وقع عند مسلم من رواية الضحاك بن عثمان عن نافع بلفظ بضع وعشرين فليست مغايرة لرواية الحفاظ لصدق البضع على السبع وأما غير ابن عمر فصح عن أبى سعيد، وأبى هريرة، وابن مسعود، عند أحمد وابن خزيمة، وعن أبى بن كعب عند ابن ماجة، والحاكم، وعن عائشة وأنس عند السراج وورد أيضاً من طرق ضعيفة عن معاذ وصهيب وعبد الله بن زيد بن ثابت وكلها عن الطبرانى واتفق الجميع على خمس وعشرين سوى رواية أُبّى فقال : أربع أو خمس على الشك وسوى رواية أبى هريرة عند أحمد فقال فيها : سبع وعشرون، وفى اسنادها شريك القاضى وفى حفظه ضعف، وفى رواية لأبى عوانة بضعا وعشرين، وليست مغايرة أيضاً لصدق البضع على الخمس، فرجعت الروايات كلها إلى الخمس والسبع إذاً لا أثر للشك، واختلف فى أيهما ارجح فقيل : رواية الخمس لكثرة رواتها، وقيل رواية السبع لأن فيها زيادة من عدل حافظ[3] .

---

(١) المصنف : (١/٥٢٤) إلا أنه رواه عن عبيد الله بن عمر العمرى : (وهو ابن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب) وهو ثقة غير أن أخاه عبد الله بن عمر ضعيف .

فلا ادرى هل كان فى نسخة الحافظ هكذا كما قال أو وقع فيه تصحيف .

(٢) أقول : ومن أصحاب عبيد الله، شعيب، رواه البخارى عنه، ويحى بن سعيد الانصارى رواه مسلم والدارمى وابن ماجة، وأبو أسامة وابن نمير رواه عنهما مسلم، وايوب بن أبى تميمة السختيانى عند البيهقى، وعبدة عند الترمذى وعبد الوهاب بن عبد المجيد عند ابن خزيمة، هؤلاء كلهم رووا عن عبيد الله بن عمر. فقالوا : خمس وعشرون إلا الضحاك عند مسلم فقال : بضع وعشرون .

ولقد استقصيت هذه الطرق فى كتابى : أبو هريرة فى ضوء مروياته (غير مطبوع) .

(٣) ذكرت أحاديث بعض هؤلاء فى الجزء المطبوع من : أبو هريرة فى ضوء مروياته ص١٣٤-١٣٧ .

ثم قال : وقد جمع بين روايتى الخمس والسبع بوجوه :
منهـا : أن ذكر القليل لا ينفى ذكر الكثير، وهذا قول من لا يعتبر مفهوم العدد .
ومنهـا : أن النبى ﷺ أخـبر بالخمس ثم أعلمـه الله تعـالى بزيـادة الفضل، فأخبره بالسبع وتعقب بأنه يحتاج إلى التاريخ وبأن دخول النسخ فى الفضائل مختلف فيه .
ومنها : الفرق باعتبار قرب المسجد وبعـده .
ومنها : بحال المصلى كأن يكون أعلم وأخشع .
ومنها : إيقاعها فى المسجد أو غيره .
ومنها : الفرق بالمنتظر للصلاة وغيره .
ومنها : الفرق بإدراك كلها أو بعضها .
ومنها : الفرق بكثرة الجماعة وقلتهم .
وقد رجح الحافظ دخول مفهوم الخمس تحت مفهوم السبع .
وقـال : الحكمـة فى هذا العـدد الخـاص غير محققـه المعنى، ونقـل الطيبى عن التوربشتى ما حاصله : إن ذلك لا يدرك بالرأى بل مرجعه إلى علم النبوة التى قصرت علوم الألباب عن إدراك حقيقتها كلها. انتهى كلام الحافظ من الفتح .
وقـد أطـال الحافظ الكلام فى هذا الحديث وبيان المفهوم المراد من العدد. فمن أحب الأطلاع عليه فليرجع إليه .
والـذى يظهـر لى أن بيـان فضـائـل الاعـمال بالاعداد أمر معروف وشائع فى الشريعة الإسـلاميـة فى مثـل فضـائل التسبيح والتهليل والتحميد وهو أمر متعارف أيضاً بين الناس فى المسابقة والمناقشة لتعين أجر معدود لمن فعل كذا ولمن فعل كذا. . .
والله تعـالى أعلم بالصـواب وصلى الله على نبينـا محمـد وعلى آلـه واصحابه اجمعين وإلى حلقة أخرى إن شاء الله تعالى .

* * *

تصحيح

جاء فى العدد ٥٨ فى مقال (صـلاة المسافر) ص٧٧ أن أنس بن مالك هو خادم رسول الله ﷺ .

والصـواب أنـه أنس بن مالـك الكعبى. وليس له فى كتب الحـديث إلا هذا الحديث الذي ذكر فى المقال. . فليتنبه .

العَقِيدَة



وُجُوبُ عِبادةِ اللهِ وَحدَهُ

وَبيانُ أسبابِ النصرِ على أعداءِ الله

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين :-

أما بعد : فإن أهم واجب على المكلف واعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه، رب السموات والأرض ورب العرش العظيم القائل فى كتابه الكريم : ﴿**إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾ . وأخبر سبحانه فى موضع آخر من كتابه انه خلق الثقلين لعبادته فقال عز وجل : ﴿**وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون**﴾ . وهذه العبادة التى خلق الله الثقلين من أجلها وهى توحيده بأنواع العبادة من الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستغاثة وسائر أنواع الدعاء ويدخل فى ذلك طاعته سبحانه فى جميع أوامره وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه افضل الصلاة والتسليم، وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التى خلقوا لها وارسل الرسل جميعاً وانزل الكتب لبيان هذه العبادة وتفصيلها والدعوة إليها باخلاصها لله وحده كما قال تعالى : ﴿**يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾ . وقال عز وجل : ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين إحسانا**﴾ . ومعنى قضى فى هذه الآية أمر وأوصى وقال تعالى : ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة**﴾ . والآيات فى هذا المعنى فى كتاب الله كثيرة، وقال عز وجل ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾ . وقال سبحانه : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا**﴾ . وقال عز وجل : ﴿**من يطع الرسول فقد أطاع الله**﴾ . الآية . وقال سبحانه : ﴿**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ . الآية . وقال سبحانه : ﴿**وما أرسلنا من**

قبلك من رسول إلا نوحى إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾. وقال تعالى : **﴿الر كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إننى لكم منه نذير وبشير﴾** .

فهذه الآيات المحكمات وما جاء فى معناها من كتاب الله كلها تدل على وجوب اخلاص العبادة لله وحده وإن ذلك هو أصل الدين، وأساس الملة، كما تدل على أن ذلك هو الحكمة فى خلق الجن والإنس وارسال الرسل وانزال الكتب فالواجب على جميع المكلفين العناية بهذا الأمر والتفقه فيه والحذر مما وقع فيه الكثير ون من المنتسبين إلى الإسلام من الغلو فى الأنبياء والصالحين والبناء على قبورهم واتخاذ المساجد والقباب عليها، وسؤالهم والاستغاثة بهم واللجأ إليهم وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكروب وشفاء المرضى والنصر على الأعداء إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر، وقد صح عن رسول الله ﷺ ما يوافق ما دل عليه كتاب الله عز وجل، ففى الصحيحين عن معاذ ـ رضى الله عنه : أن النبى ﷺ قال له : «اتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله» . فقال معاذ : الله ورسوله أعلم . فقال النبى ﷺ : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» . الحديث . وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» . وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال : «من لقى الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار» . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وهذه المسألة هى أهم المسائل واعظمها وقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ بالدعوة إلى التوحيد والنهى عن الشرك فقام بتبليغ ما بعثه الله به عليه الصلاة والسلام اكمل قيام وأوذى فى الله اشد الأذى فصبر على ذلك وصبر معه أصحابه ـ رضى الله عنهم ـ على تبليغ الدعوة حتى ازال الله من الجزيرة العربية جميع الاصنام والاوثان ودخل الناس فى دين الله افواجاً وكسرت الاصنام التى حول الكعبة وفى داخلها، وهدمت اللات والعزى ومناة، وكسرت جميع الاصنام التى فى قبائل العرب، وهدمت الاوثان التى لديهم وعلت كلمة الله .

وظهر الإسلام فى الجزيرة العربية ثم توجه المسلمون بالدعوة والجهاد إلى خارج الجزيرة وهدى الله بهم من سبقت له السعادة من العباد ونشر الله بهم الحق والعدل فى غالب ارجاء المعمورة وصاروا بذلك أئمة الهدى وقادة الحق ودعاة العدل والاصلاح وسار على سبيلهم من التابعين واتباعهم باحسان أئمة الهدى ودعاة الحق ينشرون دين الله ويدعون الناس إلى توحيد الله ويجاهدون فى سبيل الله بأنفسهم وأموالهم لا يخافون فى الله لومة لائم فايدهم الله ونصرهم واظهرهم على من ناوأهم ووفى لهم بما وعدهم به فى قوله سبحانه :

﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم**﴾ . وقوله عز وجل : ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الذين إن مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**﴾ . ثم غير الناس بعد ذلك وتفرقوا وتساهلوا بأمر الجهاد وآثروا الراحة واتباع الشهوات وظهرت فيهم المنكرات إلا من عصم الله سبحانه فغير الله عليهم وسلط عليهم عدوهم جزاء بما كسبوا : ﴿**وما ربك بظلام للعبيد**﴾ . قال تعالى : ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم**﴾ . فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوباً الرجوع إلى الله سبحانه واخلاص العبادة له وحده والتوبة إليه مما سلف من تقصيرهم وذنوبهم والبدار باداء ما اوجب الله عليهم من الفرائض والابتعاد عما حرم عليهم والتواصى فيما بينهم بذلك والتعاون عليه .

ومن أهم ذلك اقامة الحدود الشرعية وتحكيم الشريعة بين الناس فى كل شىء والتحاكم إليها وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله وعدم التحاكم إليها والزام جميع الشعوب بحكم الشرع كما يجب على العلماء تفقيه الناس فى دينهم ونشر التوعية الإسلامية بينهم والتواصى بالحق والصبر عليه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتشجيع الحكام على ذلك ، كما يجب محاربة المبادىء الهدامة من شيوعية واشتراكية وبعثية وتعصب للقوميات وغيرها من المبادىء والمذاهب المخالفة للشريعة ، وبذلك يصلح الله للمسلمين ما كان فاسداً ويرد لهم ما كان شارداً ويعيد لهم مجدهم السابق وينصرهم على أعدائهم ويمكن لهم فى الأرض كما قال تعالى وهو اصدق القائلين : ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾ . وقال تعالى : ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾ . وقال سبحانه : ﴿**انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار**﴾ .

والله المسئول سبحانه أن يصلح قادة المسلمين وعامتهم وأن يمنحهم الفقه فى الدين ويجمع كلمتهم على التقوى ويهديهم جميعاً صراطه المستقيم وينصر بهم الحق ويخذل بهم الباطل وأن يوفقهم جميعاً للتعاون على البر والتقوى والتواصى بالحق والصبر عليه إنه ولى ذلك والقادر عليه . وصلى الله وسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وإمامنا سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

الفِكرة السُّنيّة والحاجة إليها

للشيخ محمد إسحاق الصديقي
عضو مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي - باكستان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين وسيد العالمين، محمد وعلى آله الذين هم أصحابه وأزواجه وذريته وأتباعه إلى يوم الدين .

أمـا بعـد : قال الله عز اسمـه : ﴿**إن الـدين عنـد الله الإسـلام**﴾ . (سـورة آل عمـران/ ١٩)، والإسـلام هو الانقيـاد الكـامل ظاهراً وباطناً، فالمسلم هو المنقاد الكامل لله تعالى، ولا نعنى بالانقياد الكامل الظاهرى والباطنى إلا أن ينقاد العبد لله تعالى فى عقائده وافكـاره، ومنهـج فكـره وأخلاقه، وأعماله فى حياته الفردية وحياته الاجتماعية، وبالجملة: لا تبقى شعبـة من شعب حيـاتـه سواء كانت فردية أو اجتماعية إلا وهى تابعة ومنقادة لأوامر ربه تعـالى ونـواهيـه، وقـال الله تعـالى : ﴿**يـا أيهـا الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ . (سورة البقرة) .

أجـزاء الحياة الانسـانية :

الحيـاة الإنسـانيـة تنقسم إلى اجـزاء كثـيرة، وتجـزئتها إلى جميع اجزائها خارجة عن موضوعنا، بل يكفى لنا أن نقسمها إلى جزئيها اللذين نراهمافى بادىء النظر ولا نحتاج إلى التفكـر العميق لمعـرفتهـما، بل يكفى لشعورهما أدنى التفكر، وهما كما ترى الحياة الفكرية أو التفكر، والحياة العملية أو العمل، فالإنسان يتفكر ويعمل، ولابد له من التفكر كما لابد له من العمل .

الإسلام يطالب بانقياد كلا الجزئين فى حياتنا :

وهذه التجزئة تدلنا إلى أن معنى الآية المذكورة آنفاً أنه يجب أن تدخل حياتنا الفكرية فى الإسلام كما تدخل حياتنا العملية فيه، وتنقاد لهداية الله تعالى شأنه فى الحياة الفكرية كما تنقاد لها فى الحياة العملية .

معنى الانقياد فى الحياة الفكريـة :

الانقيـاد فى العمـل واضـح لا حاجة لتوضيحه، فإن كلنا يعرف أن معناه أن نعمل كما أمرنا الله بوساطة كتابه ورسوله ﷺ فنأتى بما أمرنا به ونحذر عما نهى عنه . أما الانقياد فى الحياة

الفكرية فمعرفته أدق من هذا، لأن له ثلاث شعب وأحدى شعبها معروفة عند الخواص والعوام، وشعبتان منها لا يعرفهما إلا أخص الخواص .

أما الشعبة الأولى المعروفة عند الناس فهى : **شعبة العقيدة**، وحقيقتها أن نعتقد ما أمر الله به أن نعتقده ونؤمن ونستيقن به، فنؤمن بوحدانية الله تعالى مثلا، ونستيقن أن الشرك بأقسامه كلها باطل، وكذلك نؤمن برسالة سيدنا محمد ﷺ وبأن القرآن كلام الله وكتابه، وقس على هذا .

وأما الشعبة الثانية التى هى غير معروفة عند الناس فهى : شعبة الوجهة الفكرية .

وأما الشعبة الثالثة التى هى أيضاً غير معروفة عندهم فهى : **شعبة منهاج الفكر** أى طريق التفكر. والإسلام يطالبنا بالانقياد فى هاتين الشعبتين أيضاً كما يطالبنا بانقياد فكرنا وذهننا فى الشعبة الأولى، ولابد لحصول الإسلام الكامل من انقياد افكارنا لأوامر الله تعالى ونواهيه فى هاتين الشعبتين أيضاً، وسنلقى الضوء على هاتين الشعبتين مفصلاً فى السطور الآتية لدقتهما وخفائهما على أكثر الناس .

الوجهة الفكرية :

إن الله العليم الحكيم خلق الإنسان وأعطاه القوة الفكرية، وهذا العطاء عام للمؤمن والكافر والتقى والفاجر، فإنه لا فرق بينهما فى نفس القوى الذهنية والاستعداد للتفكر والتأمل والنظر، أما ما يميز المؤمن من غير المؤمن من هذه الناحية فأمران : «**الوجهة الفكرية**» و «**المنهاج الفكرى**»ونقدم تنوير الوجهة الفكرية :

الحركة الإرادية لابد لها من هدف ومقصد تسكن المتحرك إذا وصل إليه، فلابد للحركة الفكرية من هدف ومقصد تنتهى إليه ويسكن الذهن إذا وصل إليه، فإرادة مقصد وهدف هى التى نسميها بـ «**الوجهة الفكرية**». وينقسم الفكر إلى قسمين باعتبار المقصد والهدف :

الأول : ما أريد به حصول معلوم جديد فحسب .

الثانى : ما قصد به الانتفاع والاستفادة بمعلوم جديد كما قصد به حصوله .

فالوجهة الفكرية على نوعين : أى الوجهة إلى العلم للعلم، والوجهة إلى العلم والانتفاع به، مثال الأول: الوجهة الفكرية لعالم الفلكيات المولع بها فى كثير من تفكراته فى مسائلها فإنه يجتهد ويتفكر ليعلم أن الكواكب كذا مثلا ما شأنه؟ ماهى أحواله الطبيعية؟ هل فيها جبال ووهاد؟ وما هو بعده من الشمس؟ إلى غير ذلك من العلوم التى لا تفيد العالم بها شيئاً إلا أنها تعد فوائد فى أنفسها لأنها جديدة لم تكن حاصلة له قبل التفكر، وتتنوع

باختلاف العلوم المقصودة، فإن وجهة فكر الرياضى مثلاً مغايرة لوجهة فكر الطبعى .

ومثال الثانى : تفكر الفلكى فى نفس تلك الكواكب وفى أحوالها الطبيعية وخواصها لينتفع بهذا العلم كتفكره مثلاً فى حركات الشمس والقمر ليعلم عدد السنين والشهور والحساب، ويعرف زمان المد والجزر فى البحار، وكذلك تفكر الطبيب فى عالم النبات لاستخدامها لاصلاح البدن وازالة الأمراض، فإن وجهة فكره هى العلم مع الانتفاع به .

وتتنوع باختلاف المنفعة المقصودة فإن وجهة فكر الفلكى هى الانتفاع بمعرفة حركة الشمس مثلاً فى عدد السنين والحساب، وأما الطبيب فغاية علمه بالنبات مثلاً هى نفعها للجسم الإنسانى من خشية دفع المرض أو تقويته، فوجهة فكره مغايرة لوجهة فكر الفلكى

منهاج التفكر :

معناه طريق التفكر والنظر، ويمتاز أحد المنهاجين من الآخر بامتياز المتفكرّ فيه والوجهة الفكرية وكيفية حركة الذهن فى الحركة الفكرية، وينقسم إلى قسمين كبيرين باعتبار المتفكر فيه والوجهة الفكرية وكيفية حركة الذهن :

الأول : تحريك القوة الفكرية فى أمر وبكيفية لا دخل لهما فى سعادة النفس وشقائها بحسب نفس الأمر أو بحسب زعم المتفكر .

الثانى : تحريكها فى أمر بكيفية لهما أو لأحدهما دخل فى سعادة النفس وشقائها، فههنا منهاجان للتفكر كأنهما نوعان من الفكرة، فالفكرة الأولى نسميه «الفكرة الطبعية» لأن هذا المنهج هو المختار فى العلوم الطبعية كالطبعيات والكيمياء والرياضة وأمثالها من العلوم التى لا دخل لها فى أنفسها فى سعادة النفس وشقائها .

الفكرة الثانية نسميها «**الفكرة النفسية**» لتأثير مسائلها على النفس الإنسانية من حيث السعادة والشقاء، وهى المختارة فى علوم التمدن والمعاشرة غالبا كالأخلاقيات والسياسيات والمعاشيات وأمثالها من العلوم التى لها دخل فى سعادة النفس وشقائها .

الاختلاف بين مناهج التفكر :

ثم إنا نجد اختلافاً كثيراً بين المتفكرين فى مناهج التفكر، واختيار طريق الفكر والنظر، فهذا شاعر ينظر إلى الورد لألوانه الجميلة، وذاك طبيب يتفكر فى نفس ذلك الورد لخواصه النافعة للمرضى، وإن الرياضى يتفكر فى القمر فى حركته ومطالعه ومغاربه وبعده من أجرام أخرى، كما أن الطبيعى يمعن النظر فيه ليعرف أحواله الطبعية من جباله ووهاده وكثافته وثقله وأمثالها من الأمور الطبعية التى يبحث عنها فى الطبعيات، ولا نعنى بالاختلاف

فى المنهج الاختلاف المنطقى أو الاختلاف فى مادة الفكر، وإنما نعنى الاختلاف النفسى فى الوجهة الفكرية وأمثالها من الاختلاف فى العقائد والعواطف والميول النفسية .

مسألة مهمــــة :

إنــا إذا نظـرنا إلى الاختلاف المذكور قريباً بين المناهج الفكرية واجهتنا مسألة مهمة، وهى أن ديننـا الإسـلام دين كامـل فهـل عنـده من منهـج فكـرى يمتـاز عن سائـر المنـاهـج الفكرية؟ وهل يطالبنا الدين الحق اتباعه؟ أم جعل لنا الخيرة فى استخدام أى منهاج وطريق للتفكـر والنظـر حسب ما نختـار ونـرضى؟ هل يجوز لنـا أن نسلك فى الفكرة الطبعية مسلك الجـاهلين عن الإسـلام أو الضـالين الذين هم أعداؤه؟ أيباح لنا أن ننظر إلى العالم كما ينظر إليه كافر منكر لقدرة الله تعالى شأنه وعظمته؟ أم يجوز لنا أن نختار فى الفكرة النفسية منهاج التفكر الذى تختاره أوربيون أو أمريكيون الذين هم منكرون للدين المبين كافرون به؟ كيف وإن الإسـلام هدايـة كاملة، فلابـد لنـا أن يعلمنا منهاجاً خاصاً للتفكر، لأن المزاج الخاص الذى تمتاز به أمة من أمة يحتاج إلى منهاج فكرى خاص بها لحصوله وبقائه .

ولا حاجـة إلى التصـريـح بأنـه لا يتصور قوام أمة بدون مزاجها المخصوص بها، فإذا فسد مزاجها أو ضعف أصبحت تدحض عن موقفها وتبدل قوامها حتى تصير أمة أخرى أو تحرم مقـام الأمـة وتصبـح زحـام أفراد متفرقة لا يصدق عليها اسم الأمة أو القوم، أليس هذا أمـارة واضحـة وبرهان جلى على أن الأمة المسلمة هداها الإسلام إلى منهاج خاص للتفكر والنظر تمتاز به عن سائر الأمم، وتحفظ بها مزاجها الخاص بها؟ وبعد ما أوصلنا العقل السليم إلى هذه الحقيقـة الضـروريـة لابـد لنا أن نسأل القرآن المبين والسنة الكريمة عن وجود ذلك المنهاج المتين وحقيقته فاستمع لما يتلى عليك من الآيات الكريمة :

١ ـ قال الله تعـالى : ﴿**ومن يؤمن بالله يهد قلبـه**﴾. (سورة التغابن). ومعنى القلب هنا هو العقل وقوة التفكر، والآية تدل على أن الإيمان يهدى العقل واهتداؤه أن يتفكر على منهـاج صحيـح، ويصـل إلى هدف صحيـح، ويفـوز بمعرفة الحق، فتبين أن الإيمان يهدى العقل والفكر إلى منهاج خاص صحيح، ولابد للمؤمن أن يتبع ذلك المنهاج .

٢ ـ وقـال تعـالى شأنـه : ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾. (سورة الحديد). فما هذا الميزان؟ واضح أنه هو منهاج التفكر الذى علمـه الكتـاب والسنـة ولابد من اتباعه للوصول إلى «القسط» فى كل أمر، لأن الميزان المعد لوزن الأشيـاء المـاديـة لم ينزل مع الرسل والأنبياء، وليس من فرائض النبوة تعليمه وتعريفه،

نعم تعليم الميزان الفكرى يناسب شأن الأنبياء والمرسلين، وحقيقة انهم رفعوا الحجاب عن وجه هذا الميزان وأمروا متبعيهم باتباعه كما سيتضح إن شاء الله تعالى .

٣ ـ وقال الله عز اسمه : ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم، والله غفور رحيم**﴾ . (سورة الحديد) .

إن معنى النور ما هو ظاهر بنفسه مظهر لغيره، والمراد بالنور ههنا هو نور الإيمان، فالآية تدل على أن المؤمن يمشى بنور الإيمان ويهتدى به، وبديهى أنه لم يرد ممشاه المادى بل المراد هو ممشاه الفكرى وأن المؤمن يهتدى وينبغى له أن يهتدى بإيمانه فى تفكره ويهدى به غيره، وذلك بأن النور المذكور ينور منهاج تفكره، ويعينه على التميز بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، إن الآيات المتلوة قريباً تدل دلالة واضحة على أن الإسلام يهدى إلى منهاج خاص للتفكر، ويطالبنا باتباعه ومعرفة هذه الحقيقة توردنا أمام السؤال عن نوعية ذلك المنهاج وكيفيته، فلنشرع فى اجابة هذا السؤال وهو المقصود بالبيان فى هذه المقالة الوجيزة :

قد أسلفنا أن الفكرة على قسمين : **الفكرة الطبيعية، والفكرة** النفسية، ولهما منهاجان مختلفان لكونهما نوعين مختلفين من التفكر، فينبغى أن نلقى الضوء على كل واحد منهما على حدة بعد الكشف عن وجه القسم .

الفكرة السنية :

إن منهاج التفكر الذى نريد تعريفه وبيانه فى هذه المقالة الموجزة ليس من مخترعات العقل بل هو ثابت بالكتاب والسنة القولية والعملية وكذلك بتعامل الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ وبلفظ أخص هو سنة أى طريق مسلوك به ومأمور باتباعه فى الإسلام، ولذلك سميناه «بالفكرة السنّية» أضف إلى ذلك أننا إذا تصورنا السنة بمعنى أوسع وعرفناها بكل ما ثبت عن النبى الكريم ﷺ وهو الذى علمنا الكتاب الحكيم، فمعنى الفكرة السنية هى الطريقة التى عرفت بالسنة أى بالقرآن العظيم وحديث النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم كما نسمى بانفسنا أهل السنة والجماعة أى متبعى القرآن والحديث وجماعة الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ونثلث التوجيه بالتنبيه على أمر واقعى وهو أن «الفكرة السنّية» خاصة بأهل السنة والجماعة لا تختارها ولا تتبعها جماعة غيرهم، بل لا يريد ولا يتصور اختيارها واتباعها إلا أهل السنة .

وبناء على الوجوه المذكورة اخترنا لفظ «الفكرة السنّية» لمنهاج التفكر الذى هدانا إليه ديننا الإسلام، ويمكن أن تسمى بـ «الإسلامية» أو «الفكرة الإيمانية» لكنا اتخذنا لفظ

«الفكـرة السنّيـة» مصطلحـا فى هذه المقـالـة الوجيزة ونستعمله فى السطور الآتية لأنه أحسن الألقـاب من ناحيـة دلالتـه على حقيقـة ثابتـه أننـا معاشر أهل السنة ممتازون بين سائر الملل باعتبار منهاج التفكر كما نمتاز بينهم لخصائص آخر .

ماهيـة الفكرة الســنّية :

ما ذكرنا من قبل من الآيات الحكيمة إنما تدل على أن الدين المتين يطالبنا باتباع منهاج مخصـوص فى تفكـرنـا ونظرنا وأنه تعالى شأنه قد أخبرنا بوجوده فى تعليم دينه ، أما ماهية هذا المنهاج أى ماهية «الفكرة السنّية» فلم يعلم بعد، ونريد أن نلقى الضوء عليها فى السطور التالية :

إن المـاهيـة الكليـة للفكـرة السنّيـة قد نورها القرآن المبين وأوضحتها سنّة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم ، ودل عليه عمل الصحابة اجمعين ، أما القرآن الكريم فنتلوا عليك منه أولاً هذه الآية المقدسة :

﴿**إن الـذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات يهديهم ربهم بإيـمانهم**﴾ . (سورة يونس) . قد دلت الآية دلالة واضحة على أن المؤمن لابد له أن يتفكر فى ضوء إيمانه ويهتدى به إلى نتائج صحيحة فى فكره ، ومعناه أن تكون مقدمات فكره ونظره مبنية على إيمانه ومعتقداته الحقة ، ولا تكـون غير منـاسبـة لها فضـلاً عن كونها منافية لجزء من اجزاء الإيمان وكذلك لا تجوز أن تكـون غير متعلق به كليـة ، بل يجب أن تكـون مربـوطـة به ولو برابطة بعيدة دقيقة ، فيكون استدلاله واستنتاجه ولو فى أمر دنيوى مبنيا على العقائد الحقة التى هى اجزاء إيمانه ودينه .

هذه هى «الفكرة السنّية» التى تهدى إلى علم نافع قطعا فى الآخرة أو فيها وفى الدنيا كليهـما لمن يتبعهـا ويختـارهـا فى تفكره، كما أنه يحفظه من الضرر فى الآخرة والزلل فى الدنيا ، وبهذا فسره البيضاوى ـ رحمه الله ـ حيث قال: بسبب إيمانهم إلى سلوك السبيل المؤدى إلى الجنة ولادراك الحقائق .

ولاشـك أن لفـظ «الهـدايـة» عام فى الآيـة لتنوير الطريقتين أى طريقة التفكر وطريقة العمـل بل الأولـويـة للأولى لأنـه لابـد من تقـدم الفكر على العمل ، فدلالة الآية على أن المؤمن ينبغى له بل يجب عليه أن يهتدى به فى أعماله وأخلاقه واضحة .

وثانيا : نتلو عليك الآيات الكريمة من سورة الفاتحة التى نتلوها مرارا فى صلواتنا وقد علمنـا الله فيهـا كلمات ندعـوه بها ونسأله ما اشتملت عليه تلك الكلمات العظيمة ، فقال الله عز اسمـه تعليـما لنـا : ﴿**اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾ .

إن الله تبارك وتعالى يأمرنا فى كلامه هذا أن نتبع الصراط المستقيم ولا نزال متبعين له مستقيمين عليه حتى نلقى الله عز وجل، وظاهر أن ﴿**الصراط المستقيم**﴾ فى الآية شاملة لقسميه كليهما أى صراط الفكر وصراط العمل، فتبين أنه يجب على المسلم أن يتبع فى تفكره صراطاً أى منهاجاً هداه الله إليه بالقرآن الحكيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم، ويلزمه العلم لزوما بينا بأن الإسلام قد هدانا إلى صراط خاص من التفكر فما هو؟ وقد أجابت الآية الثانية عن هذا السؤال بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم؛ فعلينا أن نتفكر كما تفكروا، ثم صرح بان صراط المؤمنين مغاير لصراط المغضوب عليهم، كما أنه مغاير لصراط الضالين، فعلى المسلم أن يحترز عن صراط كل واحد منهما فى تفكره وعمله .

بقى السؤال عن الذين أنعم الله عليهم، نجد جوابه فى سورة النساء فقد قال الله تعالى: ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾ فبالنظر إلى الآيات المنقولة من سورة الفاتحة، وإلى هذه الآيات التى فى سورة النساء يجب علينا أن نتبع النبى ﷺ وأصحابه الكرام فى منهاج الفكر، كما يجب علينا اتباعهم فى العمل، بل الاتباع فى منهاج التفكر أشد تأكيداً، لأن العمل تابع للفكر، فإن الإنسان يتفكر ثم يعمل ولأن الخطأ فى الفكر أشد ضرراً. وهذه الآيات المقدسة تنور الماهية الكلية «للفكرة السنية» وتكشف عن القوانين والأصول التى هى اجزاء هذه الماهية كما نفصلها فى الفقرات الآتية المستمدة من الآيات القرآنية المزبورة أصولا :

الأول : أن تفكر المؤمن ينبغى بل يجب أن يكون فى ضوء إيمانه بالله تعالى وبما جاء به الرسول ﷺ قطعاً، ومعناه أن المقدمات التى يستعين بها للوصول إلى علم جديد لابد أن تكون مناسبة للإيمان ولا تكون مخالفة له، ولا منقطعة عنه انقطاعا كلياً بحيث لا يوجد أدنى ربط بينهما، وقد القينا الضوء على هذا الأصل من قبل حين فسرنا الآية .

الثانى : أنه لابد أن تتحرك فكرتنا على الصراط المستقيم أى على منهاج وطريق اختاره الذين أنعم الله عليهم من عباده، فيكون صراط أفكارنا هو صراط فكر النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم اجمعين، أما بيان ذلك المنهاج وتعريف الصراط الذى كانوا يختارونه فى فكرهم فيجىء فى موضعه ان شاء الله تعالى .

الثالث : أن الاحتراز على الصراط الذى تختاره أمة غضب الله عليهم أو تختاره أمة ضالة فى تفكرهم واجب، وأن اليهود هم المغضوب عليهم قطعاً، كما أن النصارى هم

ضالون قطعاً، وإن كان مفهوم اللفظين عاماً ولا نريد حصر مصداقيهما فيهما، فالاحتراز عن المنهاج الذى يتبعونه فى التفكر والنظر واجب بالآية المزبورة، و«الفكرة السنّية» هى التى تكون مستضيئة من هذه القوانين، وتتحرك على طريق تُنَوِّرُهُ القوانين والأصول المذكورة، فالماهية الكلية «للفكرة السنية» هى المركبة منها وهى أجزاؤها .

الفكرة السنية الطبيعية :

المراد بها المنهاج الذى يجب أن يتبعه المؤمن إذا تفكر فى المسائل التى لا دخل لها بالذات فى سعادة النفس وشقائها وظاهر أنها المسائل المتعلقة بعالم الخلق والأمور التكوينية، وإنما نذكر فى السطور الآتية الأصول التى علمنا القرآن الحكيم وسنة النبى الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم واتبعتها الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين للتفكر فى عالم الخلق والأمور التكوينية واتباع تلك الأصول والضوابط فى التفكر فى الأمور المذكورة هى التى نسميها بـ «الفكرة السنية الطبيعية». وسيرى القارىء أن لتلك الأصول والضوابط شأنا تمتاز به عن غيرها، فمعرفتها نفسها تغنى عن بيان الفرق بينها وبين الفكرة الخاطئة التى يتبعها الذين لا يؤمنون بالله العظيم وبرسوله الكريم ﷺ فلا حاجة إلى صرف القلم فى بيان الفرق بينهما، فنعطف عنان القلم إلى بيان الأصول فى السطور الآتية، واسأل القرآن الحكيم عن هذا الأمر ستجد جوابه، قال الله تعالى جل شأنه :

﴿**إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾. (سورة آل عمران) .

إن إيماننا بالقرآن العظيم يقتضى أن نسأله عن هذه المسألة، فسألناه فأجاب، فإن هذه الآيات المقدسة الحكيمة تدل دلالة واضحة على الأصول التى اتباعها واجب على كل مسلم يريد أن يتفكر فى عالم الخلق أى الكائنات وهى هذه :

الأصـــل الأول :

إن نظر المؤمن إلى الكائنات يجب أن يكون نظر عبد مخلوق لله تعالى، إلى عبد مخلوق لله الخلاق الحكيم، سواء كانت النظرة نظرة الرياضى أو نظرة الطبيعى أو غير ذلك، فلا ينظر المؤمن إلى السموات والأرض والنجوم أو شىء آخر من حيث هى موجودات مع قطع النظر عن موجده، بل ينظر إليها من حيث أنها وجدت بعد العدم بايجاد الله البديع الحكيم وابداعه، والاشارة بهذا إلى أن فكرة المؤمن فى الكائنات فكرة موضوعية Subjective وليست بفكرة معروضية Objective واضحة .

الأصـــل الثـانى :

إن الاعتقـاد بان الكـائنـات بأسرها مجموعة لآيات الله تعالى جل شأنه وعلى ان كل جزء منهـا آيـة من آيـاته الباهرة الدالة على ذاتِه تعالى وعلى صفاته العلية العظيمة ، واجب على كل مسلم ، وهـذه العقيـدة واليقـين يجب أن يظهر فى تفكرِه فيها ، وأنه إذا تفكر فليتفكر فيهـا من حيث أنهـا آيـات الله تعـالى شأنه كما هو ظاهر من الآيات المزبورة ، وهذا المنهج من التفكر يميزه عن سائر المناهج الفكرية التى يَتبعها الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .

الأصـــل الثـالث :

وممـا يستنبـط من الآيـات المـزبورة هو أن الفكر ينبغى أن يقدمه ذكر الله تعالى شأنه ، وذلك بأن الله تعالى قدم الذكر على التفكر .

الأصـــل الرابـع :

تدل الآيـة على أن تفكـر المـؤمن فى عالم الخلق ، ينبغى أن يكـون لتحصيـل نفع من علمه ومعلومه سواء كان المقصود أن ينتفع به نفسه أو أن ينفع غيره ، لأن المؤمن يعتقد ويقر بأن الرب الحكيم لم يخلق شيئا باطلا ، فيجب ان يبتغى منافع السموات والأرض وأمثالهما من أجزاء الكائنات التى يتفكر فيه ثم يدعو الله أن يهديه إليها .

ثم أنـه ليس من شأن المـؤمن أن يقصـد نفعاً دنيوياً فقط ، بل ينبغى له أن يقصد نفع الآخـرة قصـدا أوليـا والنفـع الـدنيوى قصداً ثانوياً ، يشير إليه قوله تعالى : ﴿**سبحانك فقنا عذاب النار**﴾ . كما يشير إلى قصد مطلق النفع قوله تعالى ﴿**ربنا ما خلقت هذا باطلاً**﴾ .

إن الحركة الفكرية فى عالم الخلق والتكوين التى تقودها هذه الأصول الاربعة وتقطع مسافتها فى ضوئها تسمى بـ «الفكرة السنية الطبعية» سواء كانت فى الطبعيات أو الكيمياء أو الهيئـة والـريـاضـة أو فى غيرها من العلوم الطبعية ، وهى «سنية» لكونها مهتدية بهداية القرآن الحكيم ، و «طبعية» لاختصاص مسافتها بعالم الخلق والتكوين وعدم علاقتها فى نفسها بعالم الامر والتشريع ، وعدم تأثيرها فى نفسها فى سعادة النفس وشقائها كما اوضحناه من قبل .

ثم إن التفكر فى عالم الخلق والتكوين لا يختص بالمسلمين وهو مجال لكل من له قوة فى التفكر والنظر سواء كان مؤمناً أو كافراً ، وإن من المخلوق ما هو خير لنا كما أن منه ما هو شر

لنا، فكما أنه يمكن لنا أن ننتفع به يمكن أن نتضرر به، وإذا تفكر اعداء الإسلام الكافرون بالدين المبين فى عالم الخلق وأثاروا شره، ومنعونا عن خيره، ولم نستطع أن ندافع عن أنفسنا ونقاومهم لسبق فكرهم فى عالم الخلق على فكرنا فما هو المخلص لنا من شرورهم؟ وكيف نحفظ ديننا وعرضنا وانفسنا من عدوانهم وافسادهم؟ .

ومرجع السؤال إلى أنه كيف نتفكر فى الخلق والتكوين حتى نستطيع لجلب الخير ودفع الشر، ونقدر على الدفاع عن ديننا وملتنا، وعلى حفظ الإنسانية من الدمار والفساد بأيدى المجرمين من أوروبا وامريكا؟ وهذه هى المشكلة الشديدة التى واجهناها اليوم كما هو ظاهر لا يحتاج إلى البيان .

إن «الفكرةالسنية» تدعوا إلى أن نستعين بالإيمان، وهذا يقتضى أن نسأل القرآن الكريم لحل هذه المسألة العويصة، وننظر هل فيه هداية خاصة للأمة المسلمة إذا ابتليت بهذا البلاء العظيم؟ بلى وربنا إن القرآن الكريم قد حل هذه المشكلة وهدى إلى صورة خاصة للفكرة السنية الطبيعية التى هى اسرع واقوم وأنجح من كل فكرة تتحرك فى عالم الخلق والتكوين فى الدنيا، وسبيل للنجاة من المصيبة التى ابتلينا بها، ليتنا نتبع هذه الفكرة القويمة القوية السريعة، وهذه الطريقة الأقوم التى يدعو إليها الفرقان الحميد قد اشير إليها فى «سورة الفلق» فقد قال الله تعالى : ﴿**قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق**﴾ ونقدم فى السطور الآتية مقدمات يتطلبها توضيح الاشارة .

الأولى : أن الاستقراء يدل دلالة واضحة على أن سنة الله فى خلق شىء من شىء فى هذا العالم المادى هى «الفلق»، إن الشجرة لا تنبت إلا بفلق الحب والنواة، وأن ظهور الغصن مسبوق بفلق ساقها، كما أن القوة الذرية «Atomic Energy» المدهشة لا تظهر إلا بفلق الذرة «Atom» وان النظام الشمسى «Solarstem» الذى نعيش تحته قد خلقه الله الخلاق العليم بابداع الفلق العظيم فى مجرة «Jalaxy» وإذا نظرت إلى الحوادث وجدت هذا القانون التكوينى أى «قانون الفلق» جارية فيها، ولا تجد مثالا ينفيه .

الثانية : أن الحوادث التى تبدو بعد الفلق كنتيجته بعضها تكون موجبا للخير كما أن بعضها تكون موجباً للشر، فعلينا أن نحصل الخير ونتجنب الشر .

الثالثة : أن الله وحده هو رب الفلق وهو القادر على الاطلاق، وهو قدير على أن يلهمنا بعلم جديد وتدبير قوى نفوز باستخدامه بهدفنا، أو يمحو الشر ويخلق الخير ويمن علينا بتوفيق الاستعاذة به .

الرابعة : أنه لابد لنا من التفكر فى عالم الخلق إذا واجهتنا المشكلة المذكورة وابتلينا بالضراء المذكورة، فإن الميل إلى ابتغاء السبيل إلى دفع الضرر والتحرز عن الهلاك والدمار والجهد للبقاء أمور فطرية تطالب بالتفكر فى عالم الخلق، وقد أوجبته الشريعة كما أوجبه العقل السليم ـ لاسيما وأن هجوم المخاوف قد بدأ قرنه من جهته ـ وان التفكر فى عالم الخلق والتكوين لدفع شر أعداء الإسلام وللدفاع عن الدين والمسلمين ولاعلاء كلمة الله الحق المبين واجب على الكفاية لأنه لابد منه فى هذا الزمان للوصول إلى تلك المقاصد الحسنة .

وبعد هذا التمهيد نقول وبالله التوفيق : إن الله الحكيم العظيم أمرنا فى هذه الآية بـ «الاستعاذة» به عز اسمه من شر مخلوق مساوق للشر، والأمر بالتوجه إلى شأن الربوبية المتعلقة «بالفلق» إشارة إلى أن المؤمن إذا ابتلى بشر مخلوق حادث من الفلق وأخذه التفكر فى تدبير دفع الشر وجلب الخير لاقتضاء الفطرة وأمر الشريعة، فليكن تفكره ممزوجاً بالاستعاذة بالله الذى هو رب الفلق وبيده الخير ولا حول ولا قوة إلا به، وليس المراد الاستعاذة القولية فقط بل المراد الاستعاذة الحالية والعملية أى الانابة إلى الله والتوجه إليه والتزام طاعته مع سؤال العلم الصحيح النافع وتوفيق العمل به والتهيىء للدفاع عن الإسلام متوكلا على الله العليم العظيم .

وهذا لان الاستعاذة تقتضى طبعا أن يطيع المستعيذ المستعاذ به، ويفى معه بعهده ويلجأ إليه ولا يعصيه، وهذه هى صورة خاصة «للفكرة السنية الطبعية» المشار إليها بالآية الأولى من سورة الفلق المزبورة قريباً، ولها مع عموم حكمها ونفعها نوع من الخصوصية بالتفكر لاطفاء «فتنة الفلق» التى ابتلينا بها، لأن غلبة أعداء الإسلام علينا فى الفلق إنما هى لعدم استطاعتنا على استخدامها مثل ما يستطيعون فإن الاستطاعة بفلق الذرة «Atom» أو النواة «Nucleus» سلطهم على الاقوام الضعيفة. ولا يدان لِأحد من المسلمين لدفعهم، ومحصول البيان أن الفكرة السنية الطبعية معناها اتباع الأصول التى دلت عليها الآية التى ذكرت اولاً فى هذا الباب، وأضف إلى تلك الأصول الأصل الذى دلت عليه هذه الآية من «سورة الفلق»، وخاصة إذا كان التفكر فى «الفلق» وقوته ونتائجه والأمور المتعلقة به .

وهذا الأصل مشتمل على اجزاء، ونزيده وضوحاً بذكر الاجزاء مفصلاً :

الأول : أن التفكر لابد أن يكون ممزوجا بالاستعاذة بالله العزيز الحكيم من فتنة الفلق وشر المخلوق الحادث منه الاستعاذة به عز اسمه لدفعها والغلبة عليها .

الثانى : أن نسأل الله تعالى الذى هو رب «الفلق» الاستطاعة لاستخدام «قوة الفلق» لاكتساب الخير ودفع الشر والانتفاع بها فى الدنيا والآخرة .

والثالث : أن التفكر لابد أن يكون مسبوقاً بالتوبة عن الذنوب . وتصفية القلب عن العقائد الفاسدة وتجديد تنويره بنور الإيمان .

الرابع : أن يكون مقصدنا الوحيد من التفكر هو رضى الله تعالى شأنه باستخدام تلك القوى لاعلاء كلمة الله وغلبة دينه المتين ، ولاكتساب الخير للمسلمين ونفع خلق الله اجمعين .

فان المتفكر إذا أراد نصرة دين الله المبين ، وأخلص نيته سيأتيه نصر الله القوى العظيم كما وعده ربنا الكريم بقوله فى القرآن الحكيم : ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم**﴾ وانّ من النصرة الهام العلم الصحيح والهداية إلى التدبير النجيح ، وليس ذلك على الله بعزيز .

تنبيه : ظاهر أن لا ينتفع بتلك الأصول حق الانتفاع إلا من له معرفة معتد بها بالعلوم الطبعية «سائنسية» أو الرياضية ، فتحصيلها واجب على الكفاية على الأمة فى زماننا .

الفكرة السنّية النفسية :

قد بينا من قبل أنها التفكر فى أمر مؤثر بالذات فى سعادة النفس وشقائها ، فإنها اعظم شأنا من الفكرة الطبعية لكونها أقوى ارتباطا بالسعادة والشقاء ، ولكون تعلق حكم الشريعة بها أظهر وهى مطلوبة فى كل شعبة من شعب حياتنا الاعتقادية والعملية من المعاشرة والسياسة والمعيشة وأمثالها ، سواء كانت فردية أو اجتماعية لكن الحاجة إليها فى حياتنا الاجتماعية والقومية اشد جدا ، لأن تركها فيها أدهى وأضر ، فإن الخطأ فى الفكر المتعلق بالفرد فقط يوجب ضرر الفرد لكن الخطأ فى الفكر المتعلق بالمجتمع موجب لضرر المجتمع ، ثم يذوق وباله الفرد أيضاً ، فضرره أشد وأمر مراراً من ضرر الأول .

والأمور التى تدخل تحت هذا النوع على قسمين :

الأول : الأمور التى لا حاجة فيها إلى الفكر لكونها مسلمة الثبوت عندنا ، كفرضية الصلاة وحرمة القمار ونفع العدل وضرر الظلم .

الثـانى : الأمـور التى تحتـاج إلى النظـر والفكـر ليتضـح صحتهـا أوسقمهـا ، وهى موضوعنا فى هذه المقالة ، ويواجهها المجتمع كما يواجهها الفرد ، مثالها فى الحياة الفردية مسألة تعلم الولد من رجل غير مسلم فى هذا الزمان ، وفى الحياة الاجتماعية مسألة التعاون والاتحاد بفرقة ضالة لهدف مشترك .

واضح أن هذا القسم من مسائل الحياة يحتاج إلى النظر والفكر، فأى منهاج نختار فيها للتفكر، وما هى الأصول الثابتة بالكتاب والسنة التى يجب علينا اتباعها عند التفكر فى هذا النوع من المسائل؟ .

الأصول المتبعـــة :

حقيقـة جليـة وصـادقـة لا ريب فيهـا أن مرجـع العلم والمعرفة والفارق بين الصحيح والسقيم فى الأمـور التى لها دخـل بالـذات فى سعادة النفس وشقائها هو القرآن الحكيم وسنة النبى الكـريم ﷺ وهـذا أمـر مسلم لايشك فيه أحد من المسلمين كما قال الله تعالى فى شأن كتـابـه المبـين : ﴿**هـدى للناس وبينات من الهدى والفرقان**﴾ فهو مأخذ الهداية ومنبع العلم والمعرفة ، والفرقان المبين بين الحق والباطل والصحيح والسقيم ، وما هذا شأنه فحقه أن يتخذ مأخـذا ومـرجعـا للعلم والمعـرفـة ، أمـا الاجماع والقياس فيرجعان إليهما ، أن اتباع الصراط المستقيم هو المنهاج المختار فى التفكر لأن منهاج الذين أنعم الله عليهم ، هو الاهتداء بالكتاب والسنـة والاعتـماد عليهـما ، فإن النبى ﷺ كان أصـل علمـه ومنبعه هو الوحى والإلهى ، وإذا اجتهد كان يتفكر فى ضوء الوحى ، ثم الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا يتعلمون منه ﷺ ويتبعـونـه ، وإذا احتـاجوا إلى الاجتهاد كانوا ينظرون إلى الكتاب أولاً ثم إلى السنة ثم إلى الرأى المبنى على أحدهما ، مثاله ماورد فى قصة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه حين بعثه النبى ﷺ قاضياً إلى اليمن ، فاختبره بالسؤال عن منهاج التفكر والاجتهاد ، ولما أجاب بذكر المراجع المذكورة بالترتيب المذكور صوب النبى ﷺ رأيه .

ثم ان الكتـاب والسنـة كل واحـد منهما قد وصل إلينا بأيدى الصحابة رضى الله عنهم الـذين تعلمـوهما عن النبى من غير واسطـة ، وفهموا معناهما وعقلوا مغزاهما وعملوا بهما تحت مراقبته ﷺ ورسول الله ﷺ بنفسه تولى تربيتهم وتزكيتهم ، وجعلهم أسوة متبوعة لمن سواهم من الأمـة الكـائنة إلى يوم القيامة ومبلغين لدعوته إلى سائر الناس ، ومعلمين ما علمهم من الكتـاب والسنـة لمن سواهم من أمتـه ﷺ فجـماعة الصحابة هم الواسطة الكبر ى بيننا وبين النبى ﷺ وكـل صحـابى رضى الله عنـه هو انمـوذج عملى لتعليمـه عليـه أفضل الصلوات

والسلام، فبديهى أنه لا تتضح معانى الكتاب والسنة إلا بالنظر إلى عمل الصحابة وتشريحهم وتفسيرهم لهما .

فالكتاب والسنة منبعان لماء الحياة، وجماعة الصحابة نهر مملوء بمائهما جامع لهما لا يزال يجرى إلى يوم القيامة .

فقد تبينت من هذه المقدمات الممهدة الأصول التى هى أجزاء الفكرة السنية النفسية وهى هذه :

الأصل الأول : يجب أن يكون تفكرنا فى مسألة من مسائل الحياة من هذا النوع مبنيا على عقيدتنا الجازمة بأن المأخذ الأول للعلم الفارق بين الحق والباطل هو الكتاب والثانى هو السنة، أما الاجماع والقياس فيرجعان إليهما، وأن اصحاب النبى ﷺ الذين أخذوهما من النبى ﷺ من غير واسطة، ونقلوهما إلى من بعدهم من الأمة، ولم ينقل ولا يمكن أن ينقل كذلك شىء عن الدين عن غير الصحابة، ومن نسب شيئاً إلى النبى ﷺ بغير توسط صحابى فهو كاذب زنديق، فعمل الصحابة هو مأخذ ثالث للعلم فكونه دليلاً قطعياً على كون ذلك العمل والقول ثابتا بالكتاب أو السنة مطابقاً لهما، ولكونه انموذجاً عملياً لتعليم النبى ﷺ فهو حجة شرعية ما لم يعارضه حجة شرعية أخرى أقوى منه كنص الكتاب مثلاً .

الثانى : ولتكن وجهة فكرنا ومقصدنا بالذات فى كل فكرة هى المنفعة الدينية ورضا الله سبحانه ولو بوسائط عديدة، ولتكن المنفعة الدنيوية تابعة لها غير مقصودة بالذات بل مقصودة تبعا، لأن الله تعالى يقول: ﴿**ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا**﴾. (سورة الإسراء) .

الثالث : علينا أن نتفكر فى الكتاب والسنة وعمل الصحابة هل نجد فيها هداية جزئية، قولية أو عملية مخصوصة بما نحن فيه أو عامة كلية تنطبق على ما نتفكر فيه . ثم أن علينا اتباعها أن فزنا بها فى الكتاب أو السنة أو عمل الصحابة، فقد قال الله تعالى : ﴿**لقد انزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون**﴾. (الأنبياء) . وسيوضح المسألة المثال الآتى : أن أرباب الحل والعقد من مملكة إسلامية يتفكرون فى سياستها الداخلية فى تفويض الوزارة الداخلية أو الخارجية أو غيرها، إلى رجل مناسب يفوضونها إليه، ثم ينظرون إلى الكتاب المبين فيجدون فيه : ﴿**يـأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا**﴾. الآية، وهذه الآية تهديهم إلى أصل عظيم ينور طريقهم لأنها تحذرهم عن تفويض الأمر إلى شيعى أو شيوعى وأمثالهما من أعداء الإسلام .

الـرابـع : ان الاحـتـراز عن البـاطـل واجب كاحقـاق الحق ، والحذر عن سبيل الغي حَتم واجب كاتبـاع سبيـل الحق والهـدى ، فيجب علينا أن لا نستخدم دليلاً ولا نعمل عملاً يعـين أهـل البـاطـل فى طغيانهم أويؤ يدهم فى ضلالهم أوينفعهم فى اظهار بواطلهم فإن الله تعالى يقول : ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلمو فتمسكم النار**﴾ . وقال عز اسمه : ﴿**ومن يكفر بالطـاغـوت ويـؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ . فينبغى لنا أن نراعى فى فكرتنا فى جانب النفى أيضاً ، فتكون فكرتنا مشتملة على نفى الباطل كاشتمالها على اثبات الحق .

الخـامس : يجب الاحتراز كل الاحتراز عن فكرة تؤدى إلى قطع صلتنا بالكتاب أو السنـة أو الصحـابـة أو ضعفهـا وعن عمـل كذلـك ـ والعياذ بالله ـ فإن الاعتصام والتمسك بالكتـاب والسنـة واجب على كل حال ، ولا يمكن الاعتصـام والتمسـك بهما إلا باتبـاع الصحـابـة رضـوان الله عليهم أجمعـين ، كما أوضحنـاه من قبـل ، وما يؤدى إلى ضعف هذا الاعتصام والتمسك فباطل مهلك فضلا عما يؤدى إلى قطعه والعياذ بالله ، قال الله تعالى : ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ . وقال النبى ﷺ : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله» والآيات الدالة على هذا الأصل العظيم والأحاديث المضيئة له كثيرة وحق ان قلنا : إنه «الموطأ للإمام مالك» من ضروريات الدين .

السـادس : لا نقبـل فكـراً أو حلاً لمسألـة ثبت كونـه غير مرضى عند الله بالكتاب أو السنـة أو قول الصحـابـة أو عملهم ، قال الله تعـالى فى مدح الصحـابـة رضـوان الله عليهم أجمعـين : ﴿**يبتغـون فضـلاً من الله ورضـوانـاً**﴾ . فعلى المـؤمن أن يبتغى رضوان الله تعالى شأنه ، ويترك ما هو غير مرضى عنده عز اسمه ، مثاله الاستعانة بما تمنح الدول الكافرة باسم العون على الرقى فى المعاش واصلاحه ، فإن أخذه يؤدى إلى مفاسد كثيرة كالميل إلى الدولة المـانحـة فى مسلكهـا السيـاسى وإن كان باطـلاً وغـير ذلـك من المفـاسد ، ولاشك أن هذه الاستعـانـة غير مرضية عند الرب سبحانه وتعالى بالنظر إلى ما تؤدى إليه . فينبغى للمؤمن أن يحترز عن هذا القسم من المقدمات إذا تفكر فى تدبير أمر أو انجاح حاجة من الحوائج القومية .

السابع : لا ينبغى أن تكون مقدمات فكرتنا مبنية على مجرد الميل والرغبة إلى أمر أو عن أمـر بل لابـد أن تكـون ناشئة عن الفهم السليم والحكمة ، قال الله تعالى : ﴿**ومن يؤت الحكمـة فقـد اوتى خيرا كثـيرا**﴾ . (سورة البقرة) ، وهذه الأصول هى اجزاء «الفكرة السنية النفسيـة» ، والفكـرة التى تراعى فيهـا هذه الأصـول وتكـون على طبقهـا تسمى بـ «الفكرة السنية» ، وهى متروكة فى حياتنا الاجتماعية منذ قرون ، على الغالب وتركها هو سبب زوال

الأمة المسلمة فى حياتها الدينية والسياسية وفى غيرهما من شعب الحياة، وعلاجه إنما هو اتباع هذه الفكرة، ولاشك أن اتباعها فى فكرتنا الاجتماعية وسيلة قوية لرقى الاجتماع وغلبة الإسلام والمسلمين .

الأمثلــــة :

ولزيادة التنوير نورد أمثلة للفكرة السنية النفسية فى الأمور الاجتماعية :

المثال الأول : نفرض أن دولة من دول المسلمين تفكرت فى مسألة تعليم العلوم الحديثة، لكنها لم تتبع «الفكرة السنية» إذاً تجعل الدنيا غاية فكرها وجهدها وتكون فكرتها فكرة أوروبا وامريكية، وتختار ما اختار أهلها من الرغبة عن الدين. والميل إلى الفسق والفجور، واتخاذ سبيل الغى فى النظام التعليمى ومناهجه كرفع حجاب الطالبات وأمثالها من الأمور المخالفة للشريعة المقدسة، وكذلك لا تبالى هذه الدولة بتسليط أهل الضلالة كالشيعة والمرزائين وغيرهما من الضالين على الادارات التعليمية ونظمها .

وأما إذا كانت فكرتها «الفكرة السنّية» فتكون غاية فكرها وجهدها ومرام سعيها من اشاعة العلم هى اعلاء كلمة الله ومنافع الآخرة وترويج الخير فى العالم .

وتكون الغاية هى ارضاء الله تعالى شأنه، أما المنافع الدنيوية فتكون مقصودة تبعا للمنافع الدينية، فتتخذ سبيل الرشد سبيلا إلى مرامها، وتحترز كل الاحتراز عما نهى عنه الشرع الشريف، ولا تجترىء بتسليط أهل الضلال وأعداء الإسلام من المنافقين والمجاهرين بالكفر على الادارات التعليمية .

المثال الثانى : فرضنا ان ارباب الحل والعقد لمملكة مسلمة يريدون أن يضعوا دستوراً لمملكتهم فيلجأون إلى الكتاب والسنة وعمل الصحابة ومشاورة الفقهاء، ولا يلتفتون إلى ما يتفوه به أهل أوربا وأمريكا وغيرهما من الذين لا يتبعون الإسلام، لأن الفكرة السنّية النفسية ترشدهم إلى تلك المآخذ والمنابع، وتصدهم عن النظر إلى غيرها، ويصرحون فى الدستور بأن مملكتهم هى مملكة إسلامية سنّية قائمة على منهاج الخلافة الراشدة، وغاية وجودها هى اجراء الأحكام الشرعية وحفظها والدعوة إليها ونصرتها، والرقى الدينى والدنيوى لأهل الإسلام بحيث تكون دنياهم تابعة لدينهم، ثم انهم لا يغفلون عن الأغيار

الاشـرار المجـاهـرين بعـداء الإسـلام الداعين إلى النار كالشيعة والمرزائية وغيرهما من أهل الضلالة والنفاق، فإن ارباب الحل والعقد وقواد المسلمين المتفكرين بالفكرة السنّية النفسية لا يغفلون عن مكائد تلك الاشياع الضالة، فيضعون قوانين وضوابط فى الدستور التى تسد طرق هذه الأشياع المنافقة على المملكة وطرق غدرهم بها، ويحفظون المملكة عن شرهم .

وأما الذين لا يتفكرون بالمنهاج الإسلامى أى لا يختارون «الفكرة السنّية» فلا يبالون بتلك الأمـور المهمـة، أويغفلون عن بعضهـا، أويطـرحـون بعضهـا قصداً لضعف إيمانهم واعـوجـاج فهمهم لفقـدهم «الفكـرة السنّيـة» فيـذوقـون وبـال أمرهم، ويخسرون فى الدنيا والآخـرة، يوردون قومهم مورد الهـلاك والخسـران كما نرى الآن فى بعض البلدان الاسلامية فإن أهل السنة بها يبتلون بظلم شديد ومصائب عظيمة وما ذلك إلا لفقدهم «الفكرة السنّية» فى حركـاتهم السيـاسيـة وذهولهم عن الحقيقة أنهم أهل السنة والجماعة وأنهم هم المسلمون، وأن الرافضة ليست من الإسلام فى شىء بل هم أعداء الإسلام والمسلمين .

مثـال آخـر : أرادت دولـة مسلمـة حديثـة اصلاح معيشة القوم واجراء نظام للمعيشة يكون موجبـا لفـلاح القـوم ويحفـظ أهل الملك من الفقر والمسكنة، وظلم الظلمة من المستحصلين المتمـولـين المغلوبـين من الشـحّ والبخـل، فإن كانت الـدولة معتادة للفكرة السنّية واختارتها للتفكـر فى هذه المسألـة المهمـة، فلابـد أن تنظـر إلى الكتاب والسنة وعمل الصحابة وأقوال الفقهـاء وتختـار النظام الإسلامى للمعيشة الذى أمر به الله تعالى شأنه، ورسوله ﷺ وفسرته الصحابة بقولهم وعملهم، وفصلته الفقهاء فى ضوء عمل الصحابة وأقوالهم، ولا تلتفت هذه الـدولـة المـؤمنة إلى نظام غير إسلامى كالشيوعية وغيرها من الأنظمة الخاطئة الباطلة، وأما الـدولـة التى ليس لها حَظ من «الفكـرة السنّية» فتخبط خبط عشواء وتتبع كل عمياء، وتنظر إلى أنظمـة غير إسـلاميـة فتختار بعضها فتذوق وبال اثمها فى الدنيا والآخرة، وكانت عاقبة أمرها خسراً، والأمثلة الثلاثة المذكورة آنفا للفكرة السنّية النفسية تكفى للزيادة فى وضاحتها وتنور مفهومها ومصداقها فنختم بيانها، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

شــــهادة التاريخ :

التــاريـخ يدخـر المواعظ والعبر لنتعظ بها ، ولنسلك طريق المستقبل فى ضوئها ، فنشير إلى بعض الحوادث الماضية التى تصدق ما قلناه من أن «الفكرة السنّية» لها أثر عظيم فى رقى الأمـة المسلمـة وعـروجهـا ، وإن تركهـا موجب لزوالهـا وانحطاطها ، فإن زوالها إنما بدأ حين ضعف اعتصامها بالكتاب والسنة ، ولاشك أن هذا الضعف قد طرأ عليها بسبب التغير فى منهـاج فكـرهـا ووجهـة نظـرهـا ، وذلـك بأن المجتمـع الإسلامى من حيث المجتمع قد ترك «الفكرة السنّية» فى الأمور الاجتماعية لاسيما فى الاعمال السياسية وان بقيت مختارة لكثير من الافـراد فى الحيـاة الفـرديـة ، وكفاك مثلا وعبرة حادثة زوال الخلافة العباسية فانها سقطت فى أول فتنـة فى التـاريـخ الإسـلامى التى أثـارها المنافقون ، وأصبحت تلك الفتنة قائدة لجيش الفتن التى صحبتها ، كفتنة القول بخلق القرآن وفتنة انكار الحديث وأمثالها من الفتن التى ظهرت فى عصر العباسيين وانتهت بزوالهم .

وتوضيح هذا المجمل أن أول فتنة ظهرت فى الإسلام هى فتنة تنقيص شأن الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ، فإن سعى اليهود لازالة حب الصحابة وتعظيمهم وتوقيرهم عن قلوب المسلمين أنتجت فرقة فى الأمة تسمى نفسها باسم الشيعة .

وهذه الفرقة التى نشأت على عداوة الصحابة وتنقيص شأنهم ، قد قويت على عهد الخـلافـة العبـاسيـة ، لان العبـاسيـين استعـانوا بها حين أثاروا الثورة ضد الأمويين ، ثم ان خلفاءهم وزعماءهم قربوا هذه الفرقة ونصبوا رجالها على مناصب جليلة وأشركوهم فى أمور الخـلافـة ، حتى أنهـا تسلطت عليهم ، وكـان عاقبـة الأمـر ان الشيعة لعداوتهم لأهل السنة ولـدينهم الحق دمـروا الخـلافـة العبـاسيـة تدمـيرا واستأصلوها بالمؤامرة بتآمر الذين دعوهم للتدمير واعانوهم على هذا المقصد الشنيع .

والسبب الاساسى لتلك الحادثة الفاجعة الاليمة هو أن العباسيين ومن كان معهم من المسلمـين أى من أهـل السنـة صرفـوا النظر عن هداية الآية الكريمة ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخـذوا بطـانـة من دونكم**﴾ . (الآيـة) وخـالفـوهـا باتخاذ أعداء الإسلام المنافقين بطانتهم وبالاعتماد عليهم وتركوا الفكرة السنّية فذاقوا وبال خطئهم .

ثم أن هذا المرض أصبح وباء متعدياً إلى العامة من أهل السنة وأفسد مزاج المجتمع لأن الاختـلاط والمـودة بالـذين أشـربـوا فى قلوبهم عداوة الصحـابـة رضى الله عنهم اجمعين

والسخـط على دينهم الحق أدّى إلى ضعف حب الصحـابـة وسنتهم ونقص عظمتهم فى قلوبهم ، فأدى إلى ضعف فى اعتصامهم بالكتاب والسنة وقد حفظ الله تعالى شأنه طائفة من المؤمنين من هذا الداء العضال حتى أصبحت مصداقا لقوله ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» . أو كما قال : «لكنها كانت قليلة فى العدد .

وكـما أن التـاريـخ يقص قصص زوال الأمـة واسبـابها ويرفع الحجاب عن الحقيقة ان اهمال الفكرة السنّية وتركها واختيار فكرة غير سنّية هى أعظم أسباب زوال الأمة وانحطاطها كذلـك ينبئنـا عن عروج الأمـة ورقيها وأسبابه ، ويضىء لنا الطريق إليه ويأتينا باخبار كثيرة تدل دلالة واضحة على أن «الفكرة السنية» كفيلة بعروج الأمة ورقيها وهى الطريقة الوحيدة إليه .

وانى استطيـع ان آتى من التـاريـخ بامثلة كثـيرة لهذا الأصـل ، لكنى قصـداً للايجاز أكتفى بايـراد قصـة المجـاهد الجليل والفتى النبيل محمد بن القاسم الثقفى ـ رحمه الله ـ حين وصل إلى قلعة محكمة فى غزوة السند ، وكانت القلعة التى غزاها على ساحل بحر السند ، ولم يكن هنـاك جسـر ولا سفينـة ، فنظـر إلى جيـوشـه وسألهم : أرب البحر والبر واحد أم لهما ربان؟ قالوا : إن الله وحده هو رب البحر والبر ورب كل شىء وهو رب العالمين ، فقال : ربنا الـذى نصـرنـا وحفظنـا فى الـبر وانـا خرجنا فى سبيل الله فلا ينبغى لنا أن نرجع على أعقابنا فإدخلوا البحر ، فدخل المجاهدون فى الماء يمشون عليه كما يمشى الرجل على الأرض ، ولما رأت جيـوش الهنـدوس الـذين كانـوا يرمـون الحجـارة عليهم بالمنجنيق هذه الحـالة المدهشة العجيبـة طرحـوا أسلحتهم وفتحـوا باب الحصن وأطـاعوا المسلمين المجاهدين ، وواضح أن محمـداً بن القـاسم ومن كان معـه من المجـاهـدين تفكروا بفكرة سنية ، فنظروا إلى وعد الله تعالى شأنه لا إلى الأسباب الظاهرة ، واستعانوا بالإيمان فأفلحوا ونجحوا ، ثم لا يخفى على من طالع تاريخ السند أن الفتح المذكور جاء فى تلك البلاد ببركات كثيرة من غلبة الإسلام ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، ونشاط علمى وفكرى كما جاء بالأمن والسلام .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

■■■■■■■■■■■■■

الفِقْهُ

فِي

أُصُولُهُ

نظام الإثبات في الفقه الإسلامي

دراسة مقارنة

- ٣ -

للدكتور عوض عبد الله أبو بكر
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

الأدلـــة المختلف فيهـــا :

بعد أن تناولنا فى المقالين السابقين السمات الأساسية لنظام الإثبات فى الفقه الإسلامى، ووضحنا تفرده بنظام يتسق مع عدله وشموله، وبينا أنه يحتوى على قسمين من أدلة الإثبات ـ قسم اتفق عليه الفقهاء، وهو يتمثل فى الاقرار والشهادة. وقسم آخر اختلفوا فيه ـ ومن هذا القسم المختلف فيه موضوع بحثنا فى هذا المقال ـ اليمين والنكول عنه وعلم القاضى.

اليمين والنكول عنه : ـ

النكول عن اليمين هو الإمتناع عنها حينما توجه إلى المدعى عليه من القاضى بطلب المدعى[1]. فإذا لم يكن للمدعى بينة وطلب يمين المدعى عليه فنكل، قال أبو حنيفة وأصحابه يقضى عليه بنكوله. ذلك لأن الشهادة لما كانت لإثبات الدعوى واليمين لإبطالها، وجب أن نكل أن تحقق عليه الدعوى. وقالوا إن عثمان رضى الله عنه قد قضى بالنكول، ولم يعلم له مخالف من الصحابة فكان ذلك إجماعا[2].

---

(١) اتفق الفقهاء على أن الحقوق الخالصة لله تعالى ـ كالحدود ـ لا توجه اليمين إلى المدعى عليه لاثباتها، وإن كانت هناك رواية عن الشافعى تجيز ذلك. أما حقوق العباد الخالصة ـ كالأموال ـ فهذا اتفقوا على توجيه اليمين فيها، وإن كانت غير ذلك كالنكاح والطلاق والرجعة والعتق، فمالك ورواية عن أحمد على منع توجيه اليمين فيها، والشافعى وبعض الحنفية وابن حزم على جواز توجيه اليمين فيها، وأبو حنيفة يقول إن كانت هذه الحقوق مما يحتمل البذل أى ترك المنازعة فيجوز توجيه اليمين فيها، وإن كانت غير ذلك كالنكاح والنسب فلا يجوز. أما الحقوق المشتركة بين العبد والرب فاختلفوا فيها ـ فمن رجح جانب العبد أوجب اليمين، ومن يرجح جانب الله لم ير ذلك.

(٢) الاختيار لتعليل المختار للموصلى جـ٢ ص١٦٢ ط السعادة مصر.

غير أن مذهب أبى حنيفة بالقضاء بالنكول وحده منتقد من وجوه : -

الأول : إن النكـول لا يدل على أن الحق قد ثبت على النـاكـل ، لأنـه قد يمتنع عن الحلف تورعا وترفعا حتى وإن كان صادقا فى إنكاره للدعوى .

الثانى : قالوا لهم إنكم قد خالفتم قضاء عثمان رضى الله عنه ، فإنه لم يقض بالنكول فى بعض الوقائع التى رفعت إليه . يقول ابن حزم : (فكيف وقد خالفوا عثمان فى هذه القضية نفسهـا ، لأنـه لم يجز البيـع بالـبراءة إلا فى عيب لم يعلمـه البائع ، وهذا خلاف قولكم . ومن العجيب أن يكـون حكم عثـمان بعضـه حجـة وبعضه ليس بحجة ، هذا على أن مالك بن أنس روى هذا الخبر عن يحيى بن سعيد الأنصارى عن سالم بن عبد الله فقال فيه عن أبيه : فأبى أن يحلف وارتجع العبد فدل هذا على أنه اختار أن يرتجع العبد فرده إليه عثمان برضاه[1] .

الثالث : إن دعوى الإجماع غير صحيحة ، فالإجماع يكون صحيحا بعدم المخالف ، لا بعدم العلم بالمخالف ، وفرق بين عدم المخالف وعدم العلم به .

أما الأئمة مالك والشافعى وأحمد فيقولون إن المدعى عليه إذا نكل عن اليمين لايجب للمدعى بنكوله شىء ، وإنما ترد اليمين إلى المدعى ، فإذا حلف إستحق المدعى به . وتوجيه هذا القـول هو أن نكـول المـدعى عليـه أضعف من شاهد المدعى ، فالأولى أن يقوى بيمين الطالب ، إذ النكول ليس بينة من المدعى عليه ولا إقراراً ، فلم يقوعلى الاستقلال بالحكم ، فإذا حلف معه المدعى قوى جانبه[2] .

قالوا ، وإن هذا المعنى يستفاد من الآية الكريمة فى شأن الوصية فى السفر ﴿**فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا أنا إذاً لمن الظالمين . ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم** . . .﴾ الآية (المائدة ١٠٧-١٠٨) .

ووجه الاستدلال فى الآية أنها أفادت رد اليمين إلى الجهة التى شرعت فيها أولا وهى الشاهدان إلى غيرهما ، ويؤخذ منه رد اليمين من المدعى عليه إلى غيره[3] .

---

(١) المحلى جـ ١٠ ص٥٣٣ - ٥٣٤ ط دار الاتحاد العربى مصر .

(٢) الطرق الحكمية لابن القيم ص١٣٧ - بداية المجتهد جـ٢ ص٤٦٩ .

(٣) الام للشافعى جـ٧ ص٣٤ .

وكذلك استدلوا بما رواه الدارقطنى والحاكم فى المستدرك وصحح إسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قد رد اليمين على طالب الحق[1] .

ومع أن هذا المذهب أظهر من سابقه وأرجح لكونه اعتمد على أدلة نقلية منها ماهو منطوق فى محل النزاع كحديث ابن عمر رضى الله عنه، إلا أنه لم يسلم أيضا من انتقاد وجه إليه. ويتلخص هذا الانتقاد فى :-

أولا: إن استدلالهم بالآية لا يستقيم لهم فى موضوع النزاع، لأنها تدل على أن شاهدين يقومان مقام شاهدين آخرين ظهر كذبهما بعد الحلف، وليس ذلك موضوع الخلاف .

ثم إن الشافعية والمالكية وهم من أنصار هذا المذهب يقولون بنسخ هذه الآية بالآيات التى تمنع ولاية الكافر على المسلم، والشهادة فيها ولاية على المشهود عليه، ولذا فقد أبطلوا شهادة الكافر على المسلم. فكونهم لم يعملوا بالآية فى موضوعها فمن باب أولى ألا يستدلوا بها هنا .

ثانيا: إن حديث ابن عمر الذى استندوا عليه مطعون فى اسناده فلا يصح الاعتماد عليه. [انظر الهامش] .

هل تكفى اليمين لقطع النزاع؟

لاشك أن المدعى عليه إذا أقر بالدعوى إقراراً صحيحاً، أو ثبتت عليه الدعوى بشهود المدعى، وحكم القاضى بناء على ذلك انقطع النزاع بينهما لاتصال الحكم بالدليل الذى يؤدى إلى الحق غالبا. ولكن هل يعتبر الحال كذلك عند اتصال الحكم باليمين؟ أى هل تنقضى الدعوى إذا حلف المنكر عند عجز المدعى من تقديم بينته؟ وبمعنى آخر هل يجوز للمدعى أن يقدم بينة بعد احلاف المدعى عليه اليمين؟ .

جمهور الفقهاء يرون سماع بينة المدعى بعد حلف المدعى عليه اليمين. ويعتبرون إنهاء الدعوى باليمين إنما هو إنهاء مؤقت يمكن أن تعاد مرة أخرى إذا قدم المدعى البينة التى كان قد عجز عن تقديمها قبل اليمين. ويقولون إن البينة العادلة أولى من اليمين الفاجرة،

---

(١) سنن الدارقطنى جـ٤ ص٢١٣ - وجاء فى التعليق المغنى على سنن الدارقطنى للمحدث أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادى (الحديث أخرجه البيهقى والحاكم وفى اسناد كلهم محمد بن مسروق وهو لا يعرف. واسحاق بن الفرات مختلف فيه) .

ولأن البينة مثبتة واليمين نافية، والإثبات أولى من النفى. ولأن اليمين تكون مع عدم البينة، فإذا وجدت البينة سقط حكم اليمين. ولأن سقوط الدعوى باليمين ليس موجبا لسقوط الحق، فالحقوق لا تسقط إلا بقبض أو إبراء، وليست اليمين قبضاً ولا إبراء[1].

ويرى بعض الفقهاء أن اليمين طريق من طر ق الإثبات، فإذا حلف المدعى عليه سقط حق المدعى فى الدعوى وترتب على ذلك اليمين قطع النزاع[2].

اليمين مع الشاهد :

روى مسلم وأحمد وأبو داود عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قضى بشاهد ويمين، وفى رواية أحمد (إنما كان ذلك فى الأموال) وروى الدارقطنى فى سننه أن النبى ﷺ قضى بشهادة شاهد واحد ويمين صاحب الحق[3].

استناداً على هذه الأحاديث ذهب جمهور الفقهاء إلى جواز القضاء بشاهد ويمين المدعى فى المال، وما يؤ ول إلى المال من حقوق الأبدان كالنكاح والطلاق، ولا يحكم بذلك فى القصاص والحدود.

وخالف أبو حنيفة وأصحابه وقالوا: لا يحكم بشاهد ويمين إذ الآية الكريمة ﴿**واستشهدوا شهيدين من رجالكم**﴾ (البقرة: **٢٨٢**) قد قصرت الإثبات فى البينة على النحو المذكور، وحديث الشاهد واليمين زيادة على النص، والزيادة على النص تكون نسخاً، وخبر الواحد لا ينسخ المتواتر[4].

وقد أورد الشوكانى رحمه الله فى نيل الأوطار أدلة الفريقين وانتصر لمذهب الجمهور قائلا: «جميع ما أورده المانعون من الحكم بشاهد ويمين غير نافق فى سوق المناظرة عند من له أدنى إلمام بالمعارف العلمية وأقل نصيب من إنصاف. فالحق أن أحاديث العمل بشاهد ويمين زيادة على مادل عليه قوله تعالى ﴿**واستشهدوا شهيدين من رجالكم...**﴾ الآية وعلى مادل عليه قوله ﷺ (شاهداك أو يمينه) غير منافية للأصل، فقبولها متحتم. وغاية ما يقال على فرض التعارض ـ وإن كان فرضا فاسدا ـ إن الآية والحديث المذكورين يدلان

---

(١) المغنى جـ١٠ ص١٠٤.
(٢) المرافعات الشرعية لمحمد زيد بك الإبيانى ص٩ وما بعدها.
(٣) سنن الدارقطنى جـ٣ ص٢١٤، نيل الأوطار ومنتقى الأخبار جـ١٠ ص٢٨٢ ط الطباعة الفنية.
(٤) نيل الأوطار جـ١٠ ص٢٨٤. تبصرة الحكام جـ١ ص٢٦٨. أعلام الموقعين جـ٣ ص٨٥.

بمفهوم العدد على عدم قبول الشاهد واليمين والحكم بمجردهما، وهذا المفهوم المردود عند أكثر أهل الأصول لا يعارض المنطوق وهو ما ورد فى العمل بشاهد ويمين»[1] .

يمين القسامـــــة :

القسـامـة فى اللغـة تطلق على معنيين، بمعنى الحلف، يقال: أقسمت إذا حلفت، وبمعنى الحسن والجمال، يقال فلان قسيم الوجه، ورجل قسيم أى وسيم[2] .

أما فى إصطلاح الفقهاء. فقد عرفها ابن قدامة فى المغنى بقوله: «القسامة هى الأيمان المكـررة فى دعـوى القتـل»[3]. ويقول ابن عرفة المالكى: «هى حلف خمسين يمينا أوجزأها على إثبات الدم»[4]. وعند فقهاء الحنفية القسامة هى «أيمان يقسم بها أهل محلة أو دار وجد فيها قتيل به أثر. يقول كل واحد منهم ما قتلته ولا علمت له قاتلا»[5] .

يتضح من هذه التعريفات أن القسامة هى أيمان قدرها خمسون يمينا يحلفها إما أولياء القتيل يثبتون بها الدم على المدعى عليه كما هو مفهوم جمهور من يقول بها، أو يحلفها من وجد القتيل بين ظهرانيهم ينفون بها نسبة القتل إليهم وهو مفهوم الحنفية .

وقد اختلفوا فى القسامة هل هى قسم من أقسام اليمين؟ أم هى طريق آخر من طرق الاثبـات إذ قد يترتب على حلفهـا عنـد الجمهـور اثبـات الدم المترتب عليه القود أو الدية. وعلى كل فإن القسامة طريق لاثبات الدم يقوم على حلف اليمين .

ويحتـج جمهـور الفقهـاء القـائلون بالقسـامـة بالأحاديث الصحيحة التى نصت على مشروعيتها ففى صحيح البخارى عن بشير بن يسار زعم أن رجلا من الأنصار يقال له سهل ابن أبى حثمة أخبره أن نفرا من قومه انطلقوا إلى خيبر فتفرقوا فيها ووجدوا أحدهم قتيلا، وقالوا للذى وجد فيهم قتلتم صاحبنا، قالوا: ما قتلنا ولا علمنا له قاتلا. فانطلقوا إلى النبى ﷺ فقـالـوا: يارسـول الله انطلقنا إلى خيبر فوجدنا أحدنا قتيلا. فقال: الكبر الكبر. فقال

---

(١) نيل الأوطار جـ١٠ ص٢٨٤ .

(٢) لسان العرب (فصل القاف من حرف الميم) .

(٣) المغنى جـ٨ ص٦٥ .

(٤) مواهب الجليل للحطاب جـ٦ ص٢٦٩ .

(٥) العنابة بهامش تكملة فتح القدير جـ٨ ص٣٨٣ .

لهم تأتون بالبينة. فقالوا يارسول الله مالنا بينة. قال: فيحلفون، قالوا: لا نرضى بأيمان اليهود. فكره رسول الله ﷺ أن يبطل دمه فوداه مائة من إبل الصدقة [1].

ورواية مسلم وأبى داود: يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته. قالوا: أمر لم نشهده كيف نحلف. قال: تبرئكم يهود بأيمان خمسين منهم. قالوا: يارسول الله قوم كفار، فوداه رسول الله ﷺ من قبله. قال سهل: فدخلت مربدا لهم فركضتنى ناقة من تلك الابل برجلها[2].

وعند الترمذى «تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم قاتلكم... ثم ساق الحديث[3].

وجه الدلالة من هذه الأحاديث أن رسول الله ﷺ شرع أيمان القسامة. وفى الروايتين الأخيرتين أجاز لأولياء القتيل أن يحلفوا خمسين يمينا على من اتهموه بالقتل، ويستحقون بهذه الأيمان دم القاتل، وإلا حلف المتهمون خمسين يمينا لتبرئة أنفسهم من الاتهام الموجه إليهم.

ويتضح أيضاً من هذه الأحاديث اعتماد المدعين على قرينة العداوة بين اليهود والأنصار مما دعاهم إلى توجيه تهمة القتل إليهم، لاسيما وقد وجد القتيل بينهم، وقد أجاز لهم النبى ﷺ الحلف على ذلك.

هذا ولم يخالف فى الأخذ بالقسامة إلا ما روى عن سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وقتادة وأبى قلابة وعمر بن عبد العزيز والبخارى، محتجين بأن القسامة تخالف أصول التشريع الاسلامى، إذ أن الأصل فى الشريعة ألا يحلف أحد إلا على ما علم قطعا أو شاهد حسا، فكيف يقسم أولياء الدم وهم لم يشاهدوا القتل. ويقولون أن رسول الله ﷺ تلطف بالأولياء ليريهم أنه كيف لا يلزم الحكم بها فى الاسلام لأنها كانت من أحكام الجاهلية. ويحتجون أيضاً بأن الأيمان لا تأثير لها فى الدماء فلا تصلح لإشاطتها. وتخالف القول بأن البينة على المدعى واليمين على من أنكر[4].

---

(١) صحيح البخارى (باب القسامة) جـ٤ ص١٥٦.

(٢، ٣) صحيح مسلم مع شرح النووى جـ١١ ص١٤٨. وسنن أبى داود جـ٤ ص٢٩٩.

(٤) صحيح البخارى (باب القسامة) جـ٤ ص١٥٧. المبسوط للسرخسى جـ٢٦ ص١٠٩ بداية المجتهد جـ٢ ص٤٢٨.

وأجاب من أخذ بالقسامة عليهم بأن القسامة أصل قائم بنفسه قررته السنة النبوية الشريفة كسائر السنن المقررة للأصول، وأنه يجوز للأولياء أن يقسموا على القاتل إذا رغب على ظنهم أنه قتله، وللانسان أن يحلف على غالب ظنه. ثم أن الرسول ﷺ جعل لهم استحقاق دم القاتل بقوله: «وتستحقون دم صاحبكم» أو «ويدفع إليكم برمته». وليس ثمة ما يمنع أن تكون الأيمان سبيلا لاشاطة الدماء أى اهدارها مادامت الأيمان تؤدى إلى إثبات القتل[1].

علم القاضى : -

وقد اختلف الفقهاء أيضاً فى قضاء القاضى فى حادثة بناء على علمه بحقيقتها فإن كان الحق المدعى به من حقوق الله الخالصة - كالحدود - فهذه اتفقوا على أنه لايقضى فيها بعلمه، اللهم إلا ما روى عن ابن حزم الظاهرى بجواز ذلك. أما إن كان من حقوق العباد - كالبيع والشراء - ففيها اختلاف بين الفقهاء.

قال متقدمو الحنفية: إنه لا يجوز للقاضى أن يقضى بناء على علمه الشخصى فيها، وعن محمد بن الحسن لايقضى بشىء أصلا. وهو ما أفتى به المتأخرون منهم.

جاء فى البحر الرائق (علم القاضى بشىء ينفذ القضاء فى غير الحدود، وأما القصاص، فله القضاء بعلمه كما فى الخلاصة، وتركه المصنف للاختلاف وظاهر مافى جامع الفصولين أن الفتوى على أن القاضى لايقضى بعلمه لفساد قضاة الزمان)[2].

وقول ابن حزم والمتقدمين من الحنفية هو أيضا رواية عن أحمد وقول للشافعى.

أما المشهور عند المالكية والرواية الأخرى لأحمد والشافعى لا يجوز للقاضى الحكم بعلمه الشخصى فى الدعوى.

ويستند هذا القول الأخير - الذى يمنع القاضى من الحكم بناء على علمه - على أمرين : -

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم جـ١١ ص١٤٤، بداية المجتهد جـ٤ ص٤٢٨.

(٢) البحر الرائق جـ٧ ص٢٠٤ ط دار المعرفة بيروت وانظر فى الموضوع الاشباه والنظائر لابن نجيم جـ١ ص٣٣٨ المطبعة العامرة مصر. والطرق الحكمية ص٢٢٧ ونيل الأوطار جـ١٠ ص٢٨٧.

الأول : إن قضاء القاضى بعلمه يعرضه إلى التهمة والريبة ، والقضاة مأمورون بصيانة أنفسهم عن التهم . كما يؤدى إلى زعزعة الثقة بالقضاء وبأحكامه .

الثانى : إن ترك الحرية للقاضى ليقضى بعلمه يمكن من لا خلاق لهم من القضاة بالتلاعب بالأحكام بتقتيل من يخالفهم وتفسيقهم وتجريح من يبغضهم ، وتمييز من يواددهم ، وتغيير الأحكام بناء على أطماعهم وأهوائهم الشخصية .

ولهذا فإن هذا القول أرجح من سابقه وأظهر وأكثر ملاءمة لوقتنا الحاضر. وبه أفتى المتأخرون من علماء الشريعة ، وذهبوا إلى منع ذلك منعا باتا بناء على ما تقتضيه المصلحة العامة حيث فسد الناس وعمت الفوضى وخربت الذمم ، وأصبح الاختيار لمنصب القاضى لايقوم على ما كان عليه عند أسلافنا من تحرى التقوى والورع .

يقول الشيخ أحمد إبراهيم رحمه الله (الحق أن الاحتياط فى ذلك واجب بل هو من أعظم مطالب الشريعة الحكيمة العادلة ، فلا نسلم للقاضى بما يقضى به ولا نقره عليه إلا إذا بين أسبابا مقنعة وحججا واضحة استند فى قضائه عليها يزيل بها التهمة عن نفسه وبدون ذلك لا توجد الطمأنينة فى نفس أحد)(١) .

ويقول الدكتور محمد البهى رحمه الله (أما إذا منعناه من القضاء بعلمه فالضرر الذى يترتب على هذا المنع محدود الدائرة ضيق الأثر لأنه لا يتعدى بعض المتقاضيين ، أما نفعه فإنه يعود على المجتمع كله ، فيأمن الناس معه على أعراضهم ودمائهم وأموالهم ، كما أنه حماية للقاضى ومكانة القضاء من أن تزلزل فى نفوس الناس ويهن شأنها فى نظرهم)(٢) .

●○●○●○●○●○●○●○●○●○●●●○●●

(١) طرق القضاء فى الشريعة الاسلامية ص٣٩ .
(٢) من طرق الاثبات فى الشريعة والقانون ص١٤٥ .


ثقافة إسلامية



ترجمة القرآن الكريم

للأستاذ أحمد علي عبد الله
بكلية الشريعة والقانون - جامعة بايرو - نيجيريا

مقدمـــــة : -

في حين أن موضـوع ترجمـة القـرآن لا يأخـذ حيـزاً واسعاً ولا ضيقاً من الدارسين في البلاد العربية إلا أنه يستحوذ على قدر غير قليل من اهتمام الدارسين في البلاد الإسلامية غير العربية ومن المسلمين غير العرب . . وهذا بدوره يؤكد قواعد الشريعة الإسلامية الأصولية القـائلة بأن الـواقـع المعاش في كل مكان وآن هو الذي يولد المشاكل والهموم الفقهية ومن ثم يسعى الفقهاء لتكييفها وحلها لمصادر الشرع الخالدة والمرنة مصداقاً لقوله (ﷺ) : -

«تركتكم على المحجة البيضـاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك» .

«ولقـد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا : كتـاب الله وسنتي» ومـوضـوع ترجمة القرآن الذي نحن بصدده الآن ليس من الموضوعات ولا المسائل الفقهية الجديدة . . بل هو قديم قدم الفقه الاسلامي وحي كحياة الشريعة الإسلامية التي من أصولها مجابهة الواقع لا مداراته وتحاشيه . . تتعامل الشريعة بوضوح وجرأة مع كل مسألة تنشأ في ظل سلطانها فتضع لها الحل وتعطيها الحكم الشرعي الملائم والمتسق مع مبادئها العامة وأحكامها الجزئية . . على عكس ما آل إليه الأمر اليوم من دفن الرؤوس في الرمال أمام الواقع الذي تفلت بسبب ذلك من حكم الشرع . . مما صور الشريعة بصورة العاجز عن معالجة هذا الواقع . . وما العجز في حقيقة الأمر إلا أن المسلمين خاصة أولي الأمر من الحكام والعلماء .

قلنـا تتعـامـل الشـريعـة مع كل واقع جديد مهما عظم بايجابية وجرأة لأن من طبيعتها الشمـول ومن خصـائصها المرونة التي تتسع بها لاستيعاب كل جديد ومن عقيدتها أن تحكم حتى تقوم الساعة .

﴿إن الـدين عنـد الله الإسـلام﴾ (آل عمران : ١٩) **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** (آل عمران : ٨٥) .

وليس هنالك رهبة أو وجل في أعمال الشريعة لأن المجتهد فيها مأجور ما خلصت نيته وأفرغ جهده (اجتهد رأيي لا آلو) . . . فلئن أصاب في اجتهاده أجر مرتين: أجر الاجتهاد وأجر الاصابة . . . وإن أخطأ فى اجتهاده نال أجر الاجتهاد ولا يغرم شيئاً فى الخطأ. فعلام المهابة إذاً وإلام الاستكانة ياعلماء المسلمين .

والموضوع كما قدمنا قديم وأرى أن معالجته بشىء من الوضوح والواقعية تقتضى تقسيمه إلى قسمين :-

القسم الأول: يعالج ما إذا كانت الترجمة قرآناً أم لا .

القسم الثانى: يناقش الآراء الفقهية حول جواز الترجمة أو عدم جوازها باعتبارها تفسيراً لمعانى القرآن . . وأفضل أن أبدأ بالمسألة الأولى لأسباب منها :-

١ — من حيث الظرف التاريخى فإن المسألة الأولى طرحت نفسها أولا .

٢ — ثم إنها أثرت سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة على الفكر الإسلامى في مجابهته للمسألة الثانية .

تعريف القرآن :-

إن أجمع وأوضح ما قيل في القرآن هو قول الإمام الآمدى إن الكتاب: هو القرآن المنزل(١) .

وقلنا هو أجمع وأوضح لأن معظم التعريفات الأخرى تؤدى إلى متاهات لا حاجة للناس فيها فى أمر جده معلوم لدى الكافة . . ومع ذلك، ومن أجل الدخول فى الموضوع سنورد تعريف الإمام اليزدوى: (أما الكتاب فالقرآن المنزل على رسول الله المكتوب فى المصاحف المنقول عن النبى (ﷺ) نقلاً متواتراً بلا شبهة. وهو النظم والمعنى جميعا فى قول عامة العلماء وهو الصحيح من قول أبي حنيفة عندنا إلا أنه لم يجعل النظم ركناً لازماً فى حق جواز الصلاة خاصة وجعل المعنى ركناً لازماً والنظم ركناً يحتمل السقوط رخصة(٢) .

القرآن نظماً ومعنى :-

وتعريف اليزدوى أعلاه يشير بوضوح إلى أن القرآن يتألف عند عامة العلماء . . من النظم العربى والمعنى معاً تأليفاً لا تنفك فيه المعانى القرآنية عن ألفاظها العربية وأن النظم

(العربى) المعجز جزء من ماهية القرآن والكل بدون الجزء مستحيل كما يقول النيسابورى[٣] .

ويدل النص من ناحية أخرى على مانسب لأئمة الحنفية من خلاف حول المعنى السابق . . وما نسب للأحناف يصوره ما أورده النيسابورى قال :ـ

قال الشافعى : ترجمة القرآن لا تكفى فى صحة الصلاة لا فى حق من يحسن القراءة ولا فى حق من لا يحسنها وقال أبو حنيفة إنها كافية فى حق القادر والعاجز. وقال أبو يوسف ومحمد كافية فى حق العاجز لا القادر[٤] .

وبناء على مانقله النيسابورى يتضح أن أبا حنيفة : يجوز قراءة ترجمة القرآن فى الصلاة. . وأن ذلك الجواز إنما هو للقادر على قراءته باللغة العربية وللعاجز معاً وإن الصاحبين خالفاه فى هذا الاطلاق فرخصاً للعاجز دون القادر. . وإن قراءة الترجمة في الصلاة تفيد أن المقروء قرآناً لقوله تعالى : ﴿**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾ .

والأجدر بنا أن نرجع إلى كتب الحنفية أنفسهم حتى نتعرف عن قرب على رأى الإمام وأصحابه فى هذا الصدد ولكن قبل أن نشرع فى ذلك ينبغى أن ننبه إلى أن أبا حنيفة ليس بعربى . . بل تربى وتأثر بالثقافة والحضارة الفارسية قبل الإسلام . . وعاش فى منطقة العراق الحالية حيث كان يسكنها الفرس مع غيرهم من العرب والأجناس الأخرى . . لا غرو أن يجابه الإمام الأعظم وأى إمام فى مكانته بمثل هذه المسألة الفقهية التى تعكس الواقع الذى كان يعيشه . . ذلك أن الناس يدخلون كل يوم فى دين الإسلام وأنهم يعانون ويجابهون صعوبة فى تعلم العربية لوقتها . . فهل من حاجة فى أن يعرب لهم المعنى القرآنى بلغتهم ليؤدوا الصلاة حتى حفظوا من السور القرآنية ما يغنى عن ذلك أم أنه ليس هناك حاجة ابتداء لهذا التجوز؟؟ ولقد واجه هذا الواقع من قبل ـ ولكن بصورة أخف ـ سيدنا عبد الله ابن مسعود قالوا وروى عن عبد الله بن مسعود أنه كان يعلم رجلاً أن شجرة الزقوم طعام الأثيم «والرجل لا يحسنه، فقال قل طعام الفاجر ثم قال عبد الله ليس الخطأ فى القرآن أن نقرأ مكان العليم الحكيم إنما الخطأ بأن تضع مكان آية الرحمة آية العذاب .

قلنا الظن بابن مسعود غير ذلك[٥] .

تلكم كانت صورة من البيئة والظروف التى وجد فيها أبو حنيفة نفسه مضطرا لمجابهة مثل هذا الواقع الذى قلما يجابه إماماً كمالك بالمدينة أو الأوزاعى بالشام أو الشافعى بمصر وهاك موجزا لما جاء فى كتب الحنفية فى هذا الموضوع : ـ

١ — من حيث أن القرآن مؤلف من النظم العربى والمعنى معاً فمذهب أبى حنيفة ذلك كمذهب الجمهور. . حتى أن أبا حنيفة يعد كافرا كل من أنكر أن القرآن غير النظم العربى والمعنى معا .

٢ — مع ذلك لم يجعل أبو حنيفة نظم القرآن ركناً لازماً بالنسبة للصلاة خاصة وذلك في تقديره لأن قراءة القرآن فى الصلاة مبنية على شيء من التوسعة . . ومقصودها مناجاة الله . . وفوق ذلك فقد جعلت القراءة فيها على التيسير :

أ — لقوله تعالى : ﴿**فأقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾ (المزمل : ٢٠) .

ب — ولسقوط القراءة عن المأموم بتحمل الإمام وبسقوطها بخوف فوات الركعة . . في حين أن هذا لا يجوز في سائر أركانها .

٣ — لكل ذلك جوز الإمام الاكتفاء في الصلاة بأداء الركن الأصلى من قراءة القرآن وهو المعنى الذى تتحقق به المناجاة . . ودليل ذلك أن القرآن نزل ابتداء بلغة قريش فلما شق على غير القرشيين من العرب رخص فى قراءته باللغات السبع فقال رسول الله (ﷺ) : «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف» فلما جاز للعربى أن يدع لغة قريش إلى لغته مع قلة الكلفة جاز من باب أولى لغير العربى أن يدع العربية لعجزه عنها والاكتفاء بالمعنى القرآنى الذى هو المقصود .

٤ — فالعدول إذن عن النظم العربى إلى الترجمة إنما هو رخصة كالمسح على الخفين والقصر في حال السفر .

٥ — قصر الأحناف الرخصة على الصلاة خاصة ولا يصح عندهم تجاوزها إلى غيرها . . حتى أن أبا حنيفة حرم مداومة قراءة الترجمة فى الصلاة نفسها .

٦ — وفوق ذلك قيدت صحة الصلاة بالترجمة على اللغة الفارسية لأنها كما يزعون قريبة من فصاحة العربية .

٧ — ورغم كل القيود السابقة فقد صح عن أبى حنيفة عدوله عن جواز القراءة فى الصلاة بترجمة القرآن . . وبذلك يصبح الخلاف حول صحة الصلاة بالترجمة مجرد تاريخ يحكى على ما عليه الفتوى فى المذهب الحنفى .

ويبسط الإمام عبد العزيز البخارى ثم يبر ر ويوجه ما روى عن أبى حنيفة فى هذا الخصوص ثم يقرر عدوله عن ذلك الرأى من خلال تعليقه على تعريف اليزدوى السابق للقرآن كالآتى : ـ

ومنهم (أى من العلماء) من اعتقد أنه (أى القرآن) اسم للمعنى دون النظم . وزعم*
الصلاة بغير عذر مع أن قراءة القرآن فيها فرض مقطوع به .

فرد الشيخ (يعنى اليزدوى) ذلك وأشار إلى فساده بقوله وهو الصحيح من مذهب أبى حنيفة عندنا أى المختار عندى أن مذهبه مثل مذهب العامة فى أنه اسم للنظم والمعنى جميعاً . وأجاب عما استدل به الزاعم بقوله : ـ لكن أبا حنيفة لم يجعل النظم ركناً لازماً له . قال مبنى النظم على التوسعة لأنه غير مقصود خصوصاً فى حالة الصلاة إذ هى حالة المناجاة وكذا بنى فرضية الصلاة على التيسير قال تعالى : ﴿**فأقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾ ولهذا يسقط عن المقتدى بتحمل الإمام عندنا وبخوف فوات الركعة عند مخالفنا بخلاف سائر الأركان . فيجوز أن يكتفى فيه بالركن الأصلى وهو المعنى ، يوضحه أنه نزل أولاً بلغة قريش لأنها أفصح اللغات فلما تعسر تلاوته بتلك اللغة على سائر العرب نزل التخفيف بسؤال الرسول (ﷺ) وأذن بتلاوته بسائر لغات العرب وسقط وجوب رعاية تلك اللغة أصلاً واتسع الأمر حتى جاز لكل فريق منهم أن يقرءوا بلغتهم ولغة غيرهم وإليه أشار النبى (ﷺ) بقوله : ـ «أنزل القرآن بسبعة أحرف كلها كاف شاف» فلما جاز للعربى ترك لغته إلى لغة غيره من العرب حتى جاز للقرشى أن يقرأ بلغة تميم مثلاً مع كمال قدرته على لغة نفسه جاز لغير العربى أيضاً ترك لغة العرب مع قصور قدرته عنها والاكتفاء بالمعنى الذى هو المقصود .

فصار الحاصل أن سقوط لزوم النظم عنده رخصة كمسح الخف والسلم وسقوط شطر صلاة المسافر حتى لم يبق اللزوم أصلاً فتستوى فيه حال العجز والقدرة وفى قوله خاصة ـ تنصيص على أن فيما سواه من الأحكام من وجوب الاعتقاد حتى يكفر من أنكر كون النظم منزلاً وحرمة كتاب المصحف بالفارسية وحرمة المداومة على الاعتياد على القراءة بالفارسية وقيل الخلاف فى الفارسية لأنها قربت من العربية فى الفصاحة فأما القراءة بغيرها فلا يجوز بالاتفاق .

وقد صح رجوعه إلى قول العامة رواه ابن أبى مريم عنه . ذكره المصنف فى شرح المبسوط وهو اختيار القاضى الإمام أبى زيد وعامة المحققين وعليه الفتوى[٦] .

والصواب طبعاً ما ذهب إليه الكافة ورجع إليه أبو حنيفة من أن القرآن هو المعنى والنظم معاً . والحاجة التى أدت بأبى حنيفة إلى أن يقول بعدم ركنية النظم فى الصلاة

---

* إن ذلك مذهب أبى حنيفة ـ رحمه الله ـ بدليل جواز القراءة بالفارسية عنده فى الصلاة .

خاصة قد اندفعت عند الجمهور بصورة تهمل فيها ركنية النظم وهو مذهب أولى بالاعتبار وادعى لبطلان ما ذهب إليه الأحناف ابتداء .

ولنا كما يقول النيسابورى ـ أنه أى (ﷺ) والخلفاء من بعده وجميع الصحابة ما قرءوا إلا هذا القرآن العربى فوجب علينا اتباعهم فكيف يجوز عاقل قيام الترجمة بأى لغة كانت وهى كلام البشر مقام كلام خالق القوى والقدر(٧) .

لقد وسع العلماء ـ وفقا لقواعد الشريعة العامة ـ على الذين لم يتعلموا بعد ما يقيمون به الصلاة من القرآن .

١ — بالصلاة مع إمام يحسن أو يعرف ذلك .

٢ — وإن لم تتيسر الصلاة فى جماعة فيمكن له أن يؤديها بأى نوع من الذكر يعرفه .

٣ — على أن يجد فى حينه فى تعليم القرآن وغيره من الأحكام التى يحتاجها فى الصلاة .

يقول الإمام ابن جوزى ومن لم يحسنها أى (أم القرآن) إن كان أبكم لم يجب عليه شىء . وإن كان يتعلمها وجب عليه تعلمها والصلاة وراء من يحسنها فإن لم يجد فقيل يذكر الله وقيل يسكت ولا يجوز ترجمتها خلافا لأبى حنيفة(٨) .

وقال الحسن بن محمد : إن لم يحفظ شيئاً من الفاتحة قرأ بقدرها من غيرها من القرآن ثم من ذكر من الأذكار ثم عليه بوقفة بقدرها فإن تعلم قرأ ما لم يفرغ منه(٩) .

وعن أبى هريرة قال :ـ كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله (ﷺ) لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل . الآية .

يقول ابن حجر فى تعليقه على هذا الحديث قال ابن بطال :ـ استدل بهذا الحديث من قال تجوز قراءة القرآن بالفارسية وأيد ذلك بأن الله تعالى حكى قول الأنبياء عليهم السلام كنوح عليه السلام وغيره ممن ليس عربياً بلسان القرآن وهو عربى مبين ويقول تعالى :ـ ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾ والانذار إنما يكون بما يفهمونه من لسانهم فقراءة أهل كل لغة بلسانهم حتى يقع لهم الانذار به .

وقال ابن حجر فى أجزاء الصلاة من قرأ فيها بالفارسى : والذى يظهر التفصيل ، فإن كان القارىء قادراً على التلاوة باللسان العربى فلا يجوز له العدول عنه ولا تجزىء صلاته

وإن كان عاجزاً وإن كان خارج الصلاة فلا يمتنع عليه القراءة بلسانه لأنه معذور. وبه حاجة إلى حفظها يجب فعلا وتركا، وإن كان داخل الصلاة فقد جعل الشارع له بدلا وهو الذكر وكل كلمة من الذكر لا يعجز عن النطق بها من ليس بعربى فيقولها ويكررها فتجزىء عن الذى يجب عليه قراءته فى الصلاة حتى يتعلم، وعلى هذا فمن دخل فى الإسلام أو أراد الدخول فيه فقرىء عليه القرآن فلم يفهمه فلا بأس أن يعرب له لتعريف أحكامه أو لتقوم عليه الحجة فيدخل فيه(١٠) .

والقياس الذى عقده الأحناف لصحة القراءة بالترجمة فى الصلاة على صحة القراءة بالأحرف السبعة هو قياس مع الفارق الكبير كما لا يخفى . . ذلك لأن العدول عن لغة قريش إلى أى لغة أخرى عربية لا يخرج القرآن عن عربيته . . ومع ذلك فهذه رخصة بموجب النص استثناء وما شرع رخصة واستثناء لايصح القياس عليه كما هو مقرر فى الأصول .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا أرى وجهاً لالزام المرء بالصلاة من قبل أن يتعلم من القرآن والأحكام القدر الضرورى لأداء الصلاة . . والصورة الوحيدة التى يمكن الزامه بها إنما فى الجماعة ما تيسر. ولا وجه لالزامه بالصلاة لأنها كغيرها من الأحكام بنيت على أركان وشروط فما لم تكتمل الأركان وتحقق الشروط لا تتوفر لها أسباب الأداء بالأصالة . . ويقول تعالى :- ﴿**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾ ويقول (ﷺ) لا صلاة لمن لا يقرأ فاتحة الكتاب . . فما لم يستطع الإنسان أن يحفظ بفاتحة الكتاب أو أى جزء منها لا تلزمه الصلاة ما لم يفرط وان فرط اثم على تفريطه .

وبما أن الصلاة أصلا هى الصلة بين العبد وربه فللمرء مندوحة فى أن يأتى بأسباب هذه الصلة الكثيرة والمتعددة الأوجه كالدعاء والذكر والتفكير . . دون الصلاة التى شرعت بكيفية وهيئة معلومتين فلا تؤدى إلا وفقا لتلك الهيئة أو وفقا للرخص المعلومة . . والتيسير الذى ذكره الله بالنسبة للقراءة فى الصلاة هو متسق مع مبادىء الشريعة العامة فى رفع الحرج عن العباد ولكن لا يمكن أن يستقل ذلك لالغاء نظمه ركنية النظم العربى للقرآن . . وعلى المرء أن يحرص كل الحرص ويجند كل طاقاته لتعلم الفاتحة وغيرها من السور والأحكام حتى ينتظم فى أداء هذا الركن الركين من الدين الإسلامى ألا وهى الصلاة .

ويؤيد رأى الجمهور أن علماء الحنفية أنفسهم حاروا فى توجيه المسألة المنسوبة لإمامهم قال عبد العزيز البخارى :- فإن قيل لما جاز الاكتفاء بالمعنى عنده فى الصلاة من غير عذر

لابد من أن يكون ذلك قرآناً إذ لا جواز للصلاة بدون قرآن وبالاجماع وحينئذ لا يكون الحد المذكور متناولاً له لعدم امكان كتابة المعنى المجرد فى المصحف ونقله بالتواتر وما تعلق المعنى به فى العبارة الفارسية مثلاً ليس بمكتوب فى المصحف ولا منقول بالتواتر أيضاً فلا يكون الحد جامعاً أولا يكون المعنى بدون النظم قرآناً فينبغى أن لا تجوز الصلاة .

قلنا إنما جاز الاكتفاء بالمعنى عنده إما لقيام المعنى المجرد فى الصلاة مقام النظم والمعنى أولقيام العبارة الفارسية الدالة على معنى القرآن مقام النظم المنقول كما قال أبو يوسف ومحمد فى حالة العذر فيكون النظم المنقول المكتوب موجوداً تقديراً وحكماً فيدخل تحته الحد ويكون الحد جامعاً ويفسر قوله المكتوب فى المصاحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بالكتابة والنقل حقيقة أو تقديراً أونقول هويسلم أن المعنى بدون النظم ليس بقرآن ولكن لا يسلم أن جواز الصلاة متعلق بقراءة القرآن المحدود بل هو متعلق بمعناه ويحمل قوله : ـ ﴿**فاقرءوا ما تيسر من القرآن**﴾ على أن المراد وجوب رعاية المعنى دون النظم لدليل لاح له فلا يرد الاشكال(١١) .

فبرجوع أبى حنيفة عما كان يقول به من اعتبار الترجمة قرآنا فى الصلاة على الرأى المفتى به فى المذهب الحنفى ـ اجتمعت كلمة المسلمين فى الجملة على أن القرآن إنما هو النظم العربى والمعنى معا سواء كان ذلك بالنسبة للصلاة أوغيرها من الأحكام الشرعية . وقلنا فى الجملة لأن فريقا من الأحناف ما يزال يعتقد أن الرأى ما ذهب إليه الإمام أولاً لأن رجوعه عن هذا الرأى لم يصح فى تقديرهم . . وهذا رأى مرجوح فى المذهب الحنفى .

ترجمة معانى القرآن :ـ

إذا ثبت بالدليل القاطع أن الترجمة لا تعتبر قرآناً لأن أحداً لم يقل بذلك ولأن الرأى المقيد الذى كان يقول به أبو حنيفة قد صح رجوعه عنه بنفسه ، مما يدل على فساده من ناحية أخرى ـ فما حكم ترجمة القرآن على وعى تام بأن الترجمة ليست قرآنا .

اختلف العلماء المسلمون فى ذلك اختلافاً كثيراً . فبينما أجازها البعض بل منهم من قال بوجوبها ـ أنكرها البعض الآخر نكراناً شديداً وعدوها بدعة وضلالة فى الدين ومهما يكن فإن الرأى الذى كان يقول به أبو حنيفة قد أثر فى الفكر الإسلامى أيما تأثير وسبب شيئاً من النفور العام بالنسبة لموضوع الترجمة حتى مع يقين الكل على أن الترجمة لا تعتبر قرآناً . . وأن كثيراً من الآراء التى اثيرت وسيقت ضد ترجمة القرآن يمكن ردها بصورة أو أخرى إلى الخوف من أن تعتبر الترجمة قرآناً من ناحية أوخشية أن يظنها غير المسلمين قرآنا فيبنون

أحكامهم على القرآن من خلالها .

وما دام الأمر قد استقر بين المسلمين على أن الترجمة لا تعتبر قرآناً وإنما يقصد بها نقل معانى القرآن بحيث يتسنى للإنسانية الاطلاع عليها والاهتداء بتعاليمها فما علينا إلا أن نعالج المسألة من ناحية موضوعية فنورد ما لها وما عليها فى ضوء القواعد الأصولية العامة والمبادىء الشرعية الحاكمة .

والترجمة المقصودة هنا هى نقل لمعانى وأحكام القرآن إلى لغة أخرى أشبه ما يكون الأمر بالتفسير . . . كل ما هناك أن التفسير يهتم بابراز الأحكام بأنواعها بينما تسعى الترجمة لابراز الأحكام والمعانى تبعا لنقل روح وأهداف وايقاع العبارة القرآنية ما أمكن(١٢).

بالرغم من هذا فقد انبرى ـ كما قدمنا فريق من المسلمين وقالوا بعدم جواز ترجمة القرآن وساقوا الحجج الآتية لتأييد ما ذهبوا إليه .

١ ـ إن ترجمة القرآن تعتبر بدعة خطيرة . أما إنها بدعة فلأن الأولين لم يقدموا على مثل هذا العمل وهم أقدر ما يكون عليه وهى فى المقام الثانى خطيرة لما يترتب عليها من مفاسد كهجرات اللغة العربية من قبل المسلمين غير العرب بعد اكتفائهم بالترجمة فى تعلم القرآن ودراسته وتلاوته .

٢ ـ إن احجام الصحابة ومن بعدهم من المسلمين عن ترجمة القرآن أدى إلى انتشار اللغة العربية ـ فتحقق من أجل ذلك ما لا يحصى من الفوائد بالنسبة للإسلام والمسلمين .

٣ ـ أما عن واجب تبليغ الدعوة للناس كافة فيقول أصحاب هذا الرأى : الواجب هو تبليغ مجمل الدعوة . . فلا ينبغى كل ما جاء بالقرآن . . بل يجب على تلك الأمم أن تشرع فى تعلم العربية فور إسلامها حتى تستكمل دينها .

٤ ـ ثم قالوا إن عدم جواز الترجمة مبنى أيضاً على قصور الترجمة عن تحمل المعانى الكثيرة التى أودعها الله القرآن بنظم عربى معجز . . فلا يستطيع كائن ما أن يحيط بهذه المعانى أولاً وأن ينقلها فى المقام الثانى بحيث يحافظ على اعجازها اللفظى والمعنوى . . أوكما يقول الأستاذ إبراهيم أنيس : «وفى الحق أنه لا يكاد المرء ينتهى من تصفح هذه الكتب وأمثالها حتى يحس فى قرارة نفسه أن الوقوف على دلالات الألفاظ القرآنية أمر عسير المنال دونه صعوبات جمه . فلا يكاد يسلم المترجم لها من الزلل أو القصور فى إبراز تلك الدلالات ، وتصويرها بالقدر الذى يقارب ماهى عليه فى منبتها القرآنى من جمال وروعة وإعجاز لأهل اللسن والفصاحة فى كل زمان ومكان»(١٣).

ومن ناحية أخرى ذهب الأكثرون إلى القول بجواز بل بضرورة ترجمة القرآن لنقل روح وأهداف القرآن ـ ما أمكن ـ لمن لا يحسنون أو لا يعرفون اللغة العربية .

وحيث أن الأحناف قالوا بصحة تلاوة ترجمة القرآن فى الصلاة فهم ومن باب أولى يجوزون ترجمته باعتبارها تفسيراً ونقلا لمعانى وأحكام القرآن .

كذلك أورد الإمام البخارى فى صحيحه ما يدل على صحة ترجمة القرآن قياساً على صحة ترجمة غيره من كتب الله . وقد بنى على ذلك الفهم الإمام ابن حجر ـ فى شرحه لصحيح البخارى ـ جواز ترجمة القرآن .

تحت باب ما يجوز من تفسير التوراة وغيرها من كتب الله بالعربية وغيرها لقوله تعالى : ﴿**فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**﴾ . أورد البخارى الآتى .

وقال ابن عباس : أخبرنى أبو سفيان بن حرب : أن هرقل دعا ترجمانه ثم دعا بكتاب النبى (ﷺ) فقرأه فإذا فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد . . . فإنى أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» .

وعن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله (ﷺ) : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل . . . الآية .

وعن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أتى النبى (ﷺ) برجل وأمرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود : ما تصنعون بهما؟ قالوا : نسخم وجوههما ونخزيهما . قال : فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . فجاءوا وقالوا لرجل ممن يرضون أعور : اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه قال : ارفع يدك . فإذا فيه آية الرجم تلوح فقال : يا محمد أن عليهما الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا . فأمر بهما فرجما ، فرأيته يجافى عليهما الحجارة[١٤] .

فى تعليقاته على هذه الأحاديث يقول ابن حجر : والحاصل أن الذى بالعبرية يجوز التعبير عنه بالعربية وبالعكس . وهل يتقيد الجواز بمن لا يفقه ذلك اللسان أولا؟ الأول قول الأكثر قوله : (فاتوا بالتوراة فاتلوها . .) وجه الدلالة أن التوراة بالعبرية وقد أمر تعالى أن

تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية فقضية ذلك الاذن بالتعبير عنها بالعربية ثم ذكر فيه ثلاثة أحاديث:

الأول : حديث ابن عباس. ووجه الدلالة فيه أن النبى (ﷺ) كتب إلى هرقل باللسان العربى ولسان هرقل رومى ففيه اشعار بأنه اعتمد فى ابلاغه ما فى الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه والمترجم المذكور هو الترجمان[١٥] والثانى حديث أبو هريرة ولقد أوردناه وما علق به ابن حجر من قبل[١٦].

لقد اشار الإمام البخارى فى هذا الباب اشارة كما أفصح ابن حجر فى شرحه افصاحاً على جواز الترجمة أخذاً من فعل الرسول (ﷺ) وارتضائه ترجمة التوراة إلى العربية فى حضرته وبارساله الكتب التى تحمل الآيات القرآنية بلسان عربى إلى ملوك الأرض حينئذ إلى هرقل وكسرى والنجاشى وهم لا يفقهون اللسان العربى وهو يعلم أنها ستترجم لهم إلى لغاتهم المختلفة وذلك اقرار منه (ﷺ) على جواز ترجمة القرآن إلى هذه اللغات وخبر ارساله بهذه الكتب إلى أولئك الملوك معلوم ومشهور[١٧].

وقد نسب أيضا ابن الخطيب إلى ابن حجر قوله بجواز الترجمة فى غير هذا المكان، إذ يقول: وقد قرر الإمام ابن حجر وهو من كبار أئمة المحدثين وجوب الترجمة حيث يقول: إن الوحى متلو أو غير متلو إنما نزل بلغة العرب - ولا يرد على هذا كونه (ﷺ) قد بعث إلى الناس كافة عرباً وعجماً وغيرهم، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربى وهو يبلغه إلى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم[١٨].

ويقول جار الله محمود الزمخشرى تعليقاً على قوله تعالى:- ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه**﴾ (إبراهيم١٤) أى ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله، ولا يقولوا لا نفهم ما خوطبنا به كما قال:- ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته.. فإن قلت لم يبعث رسول الله (ﷺ) إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا: قل يا أيها الناس أنى رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة. وإن لم تكن لغيرهم حجة، فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضاً.

قلت: لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو واحد منها ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة **لأن الترجمة تنوب عن ذلك**، وتكفى التطويل فبقى أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول (ﷺ) لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم

وانتشر **قامت التراجم ببيانه وتفهيمه**، كما نرى الحال ونشاهدها من نيابة التراجم فى كل أمة من أمم العجم . . ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز فى كل واحد منها وكلم الرسول العربى كل أمة بلسانها ما كلم أمته التى هو منها، يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك أمرا قريباً من الالجاء[١٩] .

وهذا نص واضح وقاطع ليس فى جواز الترجمة وحسب بل هو قائل بوجوبها اعتماداً على أن الرسول (ﷺ) مبعوث للناس كافة برسالة القرآن التى ينبغى أن تصل للكل مفهومة حتى تقوم بها الحجة ولا سبيل لذلك إلا بالترجمة وسيأتى بيان ذلك .

وختاما يقول الأستاذ محمد صالح سمك : واستدل الإمام الشاطبى فى الموافقات على جواز ترجمة القرآن بالقياس على ما هو حاصل من اجماع الأمة على تفسيره للعامة، ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على ادراك كل معانيه الدقيقة وما الترجمة إلا تفسير وايضاح لغير العرب حتى يفقه القرآن وأحكامه ويتدبر معانيه ومقاصده[٢٠] .

هذه جملة الأدلة التى احتج بها المؤيدون لجواز ووجوب الترجمة وهى الأولى بالاعتبار فى نظرى لمنحاها الايجابى المتسق مع مقاصد الدين وأهداف الشرع الإسلامى . . غير أن ذلك لا يعفينا من مناقشة الاعتراضات والحجج الوجيهة التى أثارها أصحاب الرأى الأول .

١ — **قالوا إن الترجمة بدعة وأمر لم يقدم عليه الأوائل** . . وهذه حجة قد اندفعت بحصول ترجمة القرآن إلى الرومية والفارسية والحبشية على أقل تقدير فى حياة الرسول (ﷺ) وباقراره .

وكما لا يخفى على دارس أصول السنة فإن اقراره (ﷺ) كفعله وقوله من حيث الحجية . . ولما حصلت وقبلت الترجمة من الرسول (ﷺ) من حيث المبدأ فلا يضيرها وان كانت وقتئذ على مستوى بسيط واقتضت الحاجة إلى أن ترفعها الآن إلى مستوى أكبر وعلى نطاق أوسع هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن البدعة المزعومة ليست فى عمل كل شىء لم يفعله الرسول (ﷺ) وإلا لكان مجرد جمع القرآن فى مصحف وتفسيره فى صحائف وجمع السنة وغير ذلك مما قصد به خدمة الشرع الإسلامى بدعة . . ولا أحسب أن عاقلا يقول بذلك خاصة وأن الرسول (ﷺ) قد أرشد إلى أن :ـ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» .

فالترجمة إذن من قبيل السنة المأجور فاعلها لا من قبيل البدعة ولا السنة السيئة المذموم

فاعلها . وعلى أى فإن العمل ينتقل من حكم العادة إلى درجات العبادة بنية ودوافع صاحبه فالترجمة التى قصد بها وجه الله وخدمة الإسلام والمسلمين هى التى من قبيل السنة الحسنة . . فالترجمة كغيرها من الأفعال تحمد وتذم وفقاً لجهد وصدق أو سوء نية صاحبها .

٢ — **قيل إن الترجمة تؤدى إلى احجام المسلمين غير العرب** عن دراسة اللغة العربية التى هى لغة القرآن والاهتمام بها . وهذه بدورها حجة لا تستند إلى دليل . فمجرد الترجمة لا يؤدى إلى هذه النتيجة لأن الترجمة كما يقول محمد أكبر : مجرد محاولة لمساعدة الدارس لفهم وادراك النص القرآنى وليست بأى حال بديلاً له(٢١) .

ومعلوم أيضا أن اللغة العربية تنتشر تبعاً للإسلام وليس العكس فإذا كان ذلك كذلك وإذا كان الغرض من الترجمة هو ـ نقل معانى القرآن من ناحية وتبليغ دعوة الإسلام لغير العرب من ناحية أخرى . . فينتظر من هذا الجهد كما هو ملحوظ ـ ادخال الناس فى دين الله افراداً وأفواجاً . . وهم من بعد دخولهم الإسلام سيد فعون بأكثر من دافع وحافز لتعليم العربية . . لأن الترجمة ليست قرآناً والقرآن هو أساس الإسلام وكل مسلم يحس فى نفسه الحاجة الماسة لتعليم العربية حتى يأخذ الإسلام من مصادره الأصلية والمؤثرة . . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

٣ — **ثم قالوا إن الترجمة قاصرة عن تحمل المعانى الكثيرة** التى أودعها الله القرآن فى نظم معجز بحيث لا يستطيع امرؤ أن يحيط بهذ المعانى ولا أن ينقلها بعد المحافظة على اعجازها اللفظى والمعنوى . . هذه دعوى صحيحة على فرض أن الترجمة تعتبر قرآنا الشىء الذى قررنا فساده من قبل وقصور الترجمة عن نقل الاعجاز اللفظى والمعنوى . . كقصور التفسير تماما عن نقله بل إن قصور الأخير أشد ومع ذلك لم يقل أحد ببطلان التفاسير . . . بل هى ضرورة عند الجميع .

ولقد نوهت من قبل إلى أن معظم آراء المعارضين للترجمة مبنية على **فهم خاطىء ألا وهو اعتبار الترجمة قرآناً** . . ولم يستطع كثير من المفكرين المسلمين أن يتجاوزوا هذا الشعور. يقول الأستاذ محمد أكبر فى مقدمته لترجمة الإمام المودودى للإنجليزية ويجب أن ألفت النظر إلى مسألة هامة ذلك أن الاتجاه العام لدى كثير من الناس هو اعتبار الترجمة إلى اللغة الانجليزية قرآنا وهذا لعمرو الله من الخطأ البين الخطير . . إذ ليست هناك ترجمة مهما بلغت من الجودة يمكن أن تسمو وتبلغ درجة القرآن العظيم(٢٢) .

إنه ولإزالة هذا اللبس والفهم الخاطىء سمى الإمام المودودى ترجمته للقرآن بالأردية تفهيم القرآن وعند ترجمة ذلك إلى الإنجليزية سميت : "The Meaning of the Qur'an" أى معانى

القـرآن . ولنفس السبب سمى الشيـخ أبـو بكـر غومى ترجمته للقرآن إلى لغة الهوسا : معانى للقرآن بلغة هوسا .

وفى الحقيقـة فإن القـول بأن إعجـاز القرآن إنما هوفى لفظه فقط تقليل من شأن القرآن وانتقـاص من قدره[٢٣] ذلـك أن المعنى والمـوضـوع عاملان مهمان بالنسبة لجمال أى عمل . . ورغم أن إعجاز القرآن اللفظى مع غيره كان التحدى المباشر للعرب إلا أن معانيه وأحكامه وقصصـه وأهـدافـه وتعـاليمه ونبوءاته كل هذه مع غيرها تكون الاعجاز القرآنى وإليك هذه المقتطفات التى تبين أن الاعجاز ليس قاصراً على النظم وحده .

يقول الإمام السيوطى : اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة وهى :-

إما حسية وإما عقلية . وأكثر معجزات بنى اسرائيل حسية . وأكثر معجزات هذه الأمة عقليـة . ولأن هذه الشـريعـة لما كانت باقيـة على صفحـات الـدهـر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزات العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر كما قال ﷺ : «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى اوتيته وحيا أوحاه الله إلىَّ فارجو أن اكون أكثرهم تابعاً» . (اخرجه البخارى) .

قيل إن معناه إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضـرهـا ومعجـزة القـرآن مستمـرة إلى يوم القيامة وخرقه العادة فى اسلوبه وبلاغته واخباره بالمغيبـات فلا يمـر عمـر من الاعـمار إلا ويظهـر فيـه شىء مما اخبر به أنه سيكون دليلا على صحـة دعـواه . وقيـل المعنى أن المعجـزات الـواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كنـاقـة صالـح وعصا موسى ومعجزات القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها أكثر لأن الـذى يشـاهـد بعـين الـرأس ينقـرض بانقراض مشاهده والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً[٢٤].

وقال الجاحـظ : بعث الله محمداً أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً واحكم ما كانت لغـة واشـد ما كانت عدة فدعـا اقصـاهـا وادنـاها إلى توحيد الله وتصديق رسالته . ودعاهم بالحجـة وهـو فى ذلـك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذبـاً بسـورة واحـدة أو بآيـات يسـيرة وكلما ازداد تحديـاً لهم بها لعجـزهم عنهـا تكشف عن نقصهم ما كان مستـوراً وظهـر منـه ما كان خفيـاً فحين لم يجدوا حيلة . قالوا : أنت تعرف من اخبار الأمم مالا نعرف فلذلك يمكنك مالا يمكننا . قال : «فهاتوها مفتر يات» فلم يرم ذلك خطيب ولا طمـع فيـه شاعـر فدل ذلـك على عجـز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم

وسهولة ذلك عليهم . لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كان انقص لقوله وافسد لأمره وابلغ فى تكذيبه واسرع فى تفريق أصحابه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وانفاق الأموال . وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هودون قريش والعرب فى الرأى والعقل بطبقات ولهم القصيدة العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به اقصاهم بعد أن ظهر عجز ادناهم فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق انفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط فى الأمر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه(٢٥).

وقال ابن عطية : الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة الفاظه وذلك أن الله احاط بكل شىء علماً واحاط بالكلام كله فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم باحاطته أى لفظه تصلح إن تلى الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره والبشر بعضهم يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة أن احداً من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة . والصحيح أنه لم يكن فى قدرة أحد قط ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً ثم ينظر فيها وهلم جرا وكتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم ادير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد ونحن يتبين لنا البراعة فى أكثره ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يؤمئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب إذ كانوا ارباب الفصاحة ومظننة المعارضة كما قامت الحجة فى معجزة موسى بالسحر. وفى معجزة عيسى بالاطباء فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير ابدع ما يكون فى زمن النبى الذى أراد اظهاره فكان السحر قد انتهى فى مدة موسى إلى غايته وكذلك الطب فى زمن عيسى والفصاحة فى زمن محمد ﷺ(٢٦) .

ويقول الخطابى : إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا اعذب من الفاظه . ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً واشد تلاوة وتشاكلاً من نظمه . وأما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه والترقى

إلى اعلى درجـاتـه . وقـد توجـد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام فإما ان توجد مجموعة فى نوع واحد منه فلم توجد إلا فى كلام العليم القدير .

فخـرج من هذا أن القـرآن أنـما صار معجـزاً لأنه جاء بافصح الالفاظ فى أحسن نظوم التأليف مضمناً اصح المعانى من توحيد الله تعالى وتنزيهه فى صفاته ودعائه إلى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وارشـاد إلى محاسن الاخـلاق وزجـر عن مسـاويها واضعا كل شىء منها موضع الذى لا يرى شىء أولى منـه ولا يتـوهم فى صورة العقـل أمر اليق منه مودعاً اخبار القرون الماضية وما نزل من مثـلات الله بمن مضى وعـائـد منهم منبئـا عن الكـوائن المستقبلية فى الاعصار الآتية من الزمان جامعاً فى ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم ما دعـا عليـه وادل عن وجـوب ما أمـر به ونهى عنـه ومعلوم أن الإتيـان بهذه الأمور والجمع بين اشتـاتهـا حتى تنتظم وتتسق أمـر يعجـز عنـه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله ومناقضته فى شكله .

ثم قال : وقـد قلت فى اعجـاز القـرآن وجهـا ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر ما يخلص منه إليه . قال تعالى : ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾ .

وقـــال : ﴿**نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**﴾ .

ومن ذلـك ما روى عن ابن عبـاس قال : جاء المغـيرة بن شعبـة إلى النبى ﷺ فقرأ له القـرآن فكأنـه رق له فبلغ ذلـك أبا جهل فأتاه فقال : ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطـوك لئـلا تأتى محمـداً لتعـرض لما قالـه . قال : علمت قريش انى من اكثرها مالاً . قال : فقـل فيـه قولاً يبلغ قومـك انـك كاره له . قال : فماذا اقـول فوالله ما فيكم رجـل أعلم بالشعـر منى ولا برجـزه ولا بقصيـده ولا باشعـار الجن والله ما يشبه الذى نقول شيئاً من هذا ووالله إن لقوله الذى يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإن لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته . قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعنى حتى افكر فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر بأثره عن غيره .

المقتطفات أعلاه تؤكد أن هناك اكثر من وجه واحد للاعجاز القرآنى . وان كان ذلك لا يمنع من أن يكون الاعجاز اللفظى مشتركاً فى تصوير أى معنى أوجانباً عن معانيه السامية والمقصودة أصلاً بالتصديق والاتباع .

غير أن الاعجاز اللفظى ليس مقصودا لذاته وإنما اريد به نقل المعنى فى أحسن صورة وابلغها وانجعها . حتى كان المعنى هو الغاية واللفظ هو الاداة والوسيلة . وكثير من الناس يعتقد أن القرآن اعجز العرب بفصاحته فحسب . ولكنه فى الحقيقة اعجزهم بفصاحته وبمعانيه معا . فهم لم ينكروا أن الالفاظ والتعابير هى الفاظهم وتعابيرهم وإن عجزوا عن نظم مثل نظمها ولكنهم قالوا إن هذه المعانى ليست مما عرفوا . وقالوا هى ليست من صنع البشر فنسبوها للكهنة وللجن . وعلى أى فمراد الله حتى من عجزهم عن بناء اللفظ إنما لينتبهوا ويعوا الحقيقة : إن هذا المعنى القرآنى ليس من صنع البشر حتى يؤمنوا به ويعملوا بمقتضاه فيكتب لهم النجاح فى الدنيا والنجاة والفلاح فى الآخرة .

والاعجازالقرآنى جملة ومنه اللفظى إنما يتجلى للمسلمين على درجات متفاوتة وإن الذين يقفون على جل اسرار الاعجاز اللفظى فقط قلة حتى بين العرب فإذا غاب الاعجاز اللفظى على نسبة كبيرة من المسلمين العرب فهو على غيرهم من المسلمين اكثر غيابا . فلماذا والحال كذلك تضع العراقيل فى وجه تبليغ الدعوة للناس كافة على أمر هو على اهميته وسيلة وليس غاية فى حد ذاته . ليس ذلك فحسب بل إن هذه الوسيلة لا تدرك على اكمل وجه وابلغه بمجرد تعلم اللغة العربية وإنما ببلوغ درجات عظيمة فى علومها وفنونها . ومع ذلك فإن مفاتيح ادراك وجوه الاعجاز والمعانى القرآنية لا تكمن فى اللغة فحسب وإن كانت اللغة أهم ادواتها . ولكن بشاشة الإيمان وصدقه واخلاص القلب وصفاءه هى المصابيح التى تنير طريق المؤمن وتكشف خبايا هذا الكنز الميسر للمؤمنين إنشاء الله ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر**﴾ .

وبشاشة الإيمان كما لا يخفى لا تدرك بكثير علم فى الشرع ولا باللغة ولكن بنور الله الذى يعطاه من اصدق الله ونصره . فما سبق الناس أبوبكر بكثرة الصيام ولا قيام ولكن سبقهم بشىء فى قلبه . وبالعبادة يرقى العبد إلى أعلى عليين فيدفعه ذلك إلى التعطش للمعرفة والتقرب إلى الله من خلال الحديث إليه مباشرة والأخذ من مأدبته : الا أن مأدبة الله القرآن : فيجد المسلم ـ والحال كذلك ـ نفسه مدفوعاً إلى تعلم العربية وفنونها وهو الأفضل لأن الحاجة لتعلمها تأتى من خلال الحاجة لاستعمالها وذلك هو المحك الرئيسى للعلم وهذا

ما فعله ويفعله المسلمون الخلص كل يوم وبلغ به الاعاجم مكانة فى اللغة بزوا فيها العرب وما كانوا ليبلغوها لولا هذا الحافز الدينى .

كان هذا القدر كافياً فى الدلالة على أنه ليس ثمة ما يحرم ترجمة معانى القرآن لأى لغة أخرى بغرض تبليغ الدعوة الإسلامية إلى القاصى والدانى . وما دامت الترجمة لم تحرم بالنص الشرعى ولم يجمع على تحريمها بناء على ذلك فقد اصبحت من الأمور الجائزة شرعا عملا بقاعدة: «إن الأصل فى الاشياء الاباحة ما لم يرد الحظر» .

ولكن الترجمة فى نظرى تتمتع بما هو اكثر من الجواز الشرعى فبينما انعدمت واندفعت النصوص والادلة المانعة لها تضافرت الادلة القوية المجوزة والموجبة لها . ابتداء من عمل واقرار الرسول ﷺ للترجمة وانتهاء بالشروح والتفسيرات والتخريجات المبنية على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية وسبل الاجتهاد الأخرى .

وفوق هذا وذاك هناك توجيه ثالث ينبغى أن لا يفوت على المسلمين : ذلك أن الرسول ﷺ قد ابتعثه الله خاتماً للنبيين وأرسله إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ارسله بشيراً ونذيرا ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن جور الاديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة . فقال تعالى :

١ - ﴿**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾[٢٨] .

٢ - ﴿**يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا إليكم نورا مبينا**﴾[٢٩]

٣ - ﴿**وأوحى إلى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ**﴾[٣٠] .

وأمر الرسول ﷺ باداء هذه الرسالة وتبليغ الأمانة . فقال تعالى : ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾[٣١] . وقال ﷺ فى نهاية وصيته لأصحابه فى حجة الوداع : «ألا هل بلغت» . قالوا : بلى . قال : «اللهم فاشهد ثلاثا . ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى ممن سمع» . كما ينبغى أن يؤدى الواجب وأمر المسلمين أن يحملوا الراية من بعده إلى يوم الدين إذ لا نبى بعده .

وكما يقول الإمام الشاطبى : وذلك أن العالم وارث النبى ﷺ فالبيان فى حقه لابد منه من حيث هو عالم والدليل على ذلك أمران : **أحدهما** : ما ثبت من كون العلماء ورثة الأنبياء وهو معنى صحيح ثابت ويلزم من كونه وارثاً قيامه قيام مورثه فى البيان وإذا كان البيان فرضاً على المورث لزم أن يكون فرضاً على الوارث أيضاً . ولا فرق فى البيان بين ما هو مشكل أو

مجمل من الأدلة وبين أصول الأدلة فى الاتيان بها فأصل التبليغ بيان لحكم الشريعة وبيان المبلغ مثله بعد التبليغ .

والثانى : ما جاء من الأدلة على ذلك بالنسبة إلى العلماء فقد قال : ﴿**ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البيان والهدى**﴾ .

﴿**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون**﴾ .

﴿**ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله**﴾ . والآيات كثيرة وفى الحديث : «الا يبلغ الشاهد منكم الغائب» . وقال : «لا حسد إلا فى اثنين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل اتاه الله الحكمة فهويقضى بها ويعلمها» . وقال : «من اشراط الساعة ـ أن يرفع العلم ويظهر الجهل» . والأحاديث فى هذا كثيرة ولا خلاف فى وجوب البيان على العلماء والبيان يشمل البيان الابتدائى والبيان للنصوص الواردة والتكاليف المتوجهة فثبت ان العالم يلزمه البيان من حيث هو عالم[٣٢] .

ومعلوم لدى الكافة أن الرسالة الإسلامية لم تصل بل ولم تبلغ صحيحة لكثير من أمم العالم اليوم فما على المسلمين إلا أن يشمروا ساعد الجد وأن يسعوا فى تبليغها حية وصحيحة بكل سبيل إلى الناس أجمعين وما الترجمة إلا واحد من هذه الوسائل التى يمكن أن يؤدى بها هذا الواجب الذى حملوه عن الرسول ﷺ ومن الله من قبل حيث قال : ﴿**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا**﴾[٣٣] .

وصحيح ما اعرب عنه الكثيرون من أن الترجمة لا يمكن أن تنقل المعانى القرآنية بكل دلالاتها وايقاعاتها . بكل سحرها وروعتها المؤثرة فى النفوس الملينة للقلوب . إلا أنه ومن خلال التجارب والترقى فى فنون الترجمة القرآنية سيصل المسلمون ـ ما اخلصوا النية ـ إلى مستوى من الترجمة معقول ومقبول . ولقد نشأت الآن بعض الدراسات ورصدت بعض الملاحظات التى من شأنها ان تهدى إلى إزالة كثير من القصور الذى صاحب التراجم الأولى وعلى كل فما يدرك كله لا يترك كله ويقرر ذلك فى بساطة الأستاذ محمد أسد فى مقدمة ترجمته للقرآن فيقول : دون سائر الكتب فإن معانى القرآن وتعبيراته اللغوية يكونان كلاً لا ينفصل فيه أحدهما عن الآخر ، ذلك أن مكان الكلمة من الجملة وموسيقى العبارات والتركيب العضوى للجمل القرآنية والهيئة المثلى التى تتدفق فيها العبارات القرآنية الرمزية إلى دلالات واقعية حية بايقاعات ونبرات محكمة مؤثرة . كل هذا يجعل من القرآن عملاً فريداً يعجز البشر عن ترجمته وفقاً لهذه الخصائص إلى أى لغة أخرى إلا أنه من الممكن أن

تترجم رسالته «معانيه» بلغة معبرة ومفهومة لقوم كالغربيين لا يعرفون العربية البتة وكمعظم المسلمين غير العرب الذين لا تسعفهم حصيلتهم من العربية إلى أن يجدوا سبيلهم إلى القرآن دون مساعدة(٣٤) .

إن واجب المسلمين تجاه العالم اليوم لأكبر من أن يؤدى بمجرد ترجمة القرآن وإنما يحتاج لجهود أكبر من ذلك . فهو عالم حائر يتخبط ذهبت به المادة مذاهب ليس فيه المزيد من القوى لتحملها كما لم يعد فى المادة نفسها مزيدا من البريق والجاذبية لتلهيه وتجذبه . . . فضل أيما ضلال فما على المسلمين إلا أن يقدموا له الإسلام حيا يسعى باعمالهم قبل اقوالهم .

ولكى يتسنى للمسلمين أن يضطلعوا بهذا الدور الكبير والخطير لابد من ان يحرروا له فكرهم من معتقلات عصر الجمود الطويل ومن شعاراته التى تقول : ليس فى الامكان أحسن مما كان هذا وان التحرر الفكرى للاجتهاد العصرى لن يتم بمجرد الوعى بأهميته وإنما لابد له من فهم واسع وعميق للشريعة واستخدام صحيح للطبيعة على ضوئه . إذا لن يتأتى اسهام فكرى وعلمى جديد ذو شأن فى هذا العصر إلا كان ناتجه رائداً على ناتج المعدلات الفكرية والعلمية الحاضرة والمتصورة . وحيث أن المعدلات الراهنة تتنافس فى حيز ضيق فى القمة ، فدربها قد اصبح مسدوداً لكل طامح . ولا يلوح فى الأفق فكر ـ سوى الإسلام ـ يمكن أن يأتى بمعدلات جديدة . وذلك لما فيه من امكانية التزاوج بين علوم الشريعة والطبيعة بما يحقق التكامل الفطرى الذى يفتقده الإنسان المعاصر . لان الحضارة المادية سلبته جل مقوماته الروحية ، وأى تصحيح لها من داخله سيقلب كفة الميزان على غير هدى كما نشاهده فى حركات الرفض الغربية والتصوف الإسلامية والرهبنة النصرانية ، وما يرشح الإسلام للقيام بهذا الدور هو قدرته على الاحتفاظ بكفتى الميزان فى اعتدال . ومن هنا يأتى الإسهام بمعدلاته الجديدة الكاسحة إن شاء الله ـ فقد يتطلب الأمر من المسلمين فهما للإسلام أكثر احاطة وعمقاً لكل من علم الوحى المنزل ـ الشريعة ـ وعلم الكون المفتوح ـ الطبيعة ومن ضمن ما ينبثق عن علم الوحى الاستخدام الصحيح لعلم الطبيعة حتى يتم التزواج بين العلمين فى اتساق وانسجام ليعطى كفاية انتاجية عالية . لأن تفجير طاقات الإنسان بواسطة هذا التزاوج الواعى يفوق كل أسباب الدفع والحوافز الحالية . بل إنها جميعا كسر صغير من أسباب الدفع الدينى فى الحياة تحت ظل العقيدة الإسلامية .

خاتمــــة

ولقائل أن يقول علام هذا الجهد فى أمر قد أصبح مطروقا ومألوفاً ومعمولاً به عند الناس؟ وهو اعتراض صحيح من وجه ولكن رغم العمل والألفة فمازال يحيك فى صدور الكثيرين منا شىء من الوجل وعدم الاطمئنان لموضوع الترجمة مثلاً فى الاعتراضات القوية التى اثبتناها من قبل. وما مثل هذا الجهد المتواضع إلا كمثل إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه ضارعا: **﴿ربى أرنى كيف تحيى الموتى. قال: أولم تؤمن. قال: بلى ولكن ليطمئن قلبى. قال: فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾**(٣٥).

فلو افلح هذا فى ادخال الطمأنينة إلى نفوس أولئك الذين كانت تحيك فى صدورهم اشياء من الترجمة لكفى به جهدا والله المستعان وعليه التكلان.

●●●●●

المراجــــع

(١) الاحكام فى أصول الاحكام: لابى الحسن على بن أبى على بن محمد الامدى: (١/٨٢). مطبوعات محمد على صبيح. بميدان الأزهر بمصر.

(٢) أصول فخر الإسلام ـ اليزدوى مع كشف الاسرار لعبد العزيز البخارى: (١/٢١ـ٢٥) ١٣٠٧.

(٣) تفسير النيسابورى المطبوع بها من تفسير الطبرى: لمؤلفه الحسن بن على محمد بن حسين القصى النيسابورى (١/٨٠) المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق ـ مصر ـ ١٢٢٣ ـ الطبعة الأولى.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) كشف الاسرار لعبد العزيز اليزدوى البخارى: (١/٢٦ـ٢٧).

(٧) تفسير النيسابورى بها من تفسير الطبرى: (١/٨٠).

(٨) القوانين الفقهية لابى القاسم محمد بن أحمد بن جزى (ص: ٤٤). الطبعة الأولى ١٩٧٧. دار القلم ـ بيروت ـ لبنان.

(٩) تفسير النيسابورى اعلاه (١/٨١).

(١٠) فتح البارى: لابن حجر العسقلانى: (١٧/٢٩٩ـ٣٠٠).

(١١) كشف الاسرار: (١/٢٥ـ٢٦).

(١٢) الفرقان لمحمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: (ص: ٢٢١) الطبعة الأولى (١٣٦٧ـ١٩٤٨) مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة.

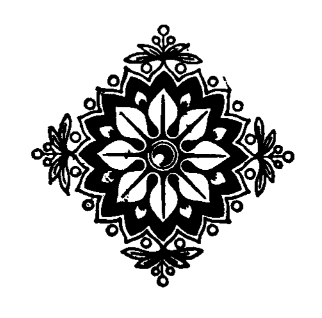
(١٣) دلالة الالفاظ للدكتور إبراهيم انيس: (ص: ١٨٦) الطبعة الثانية: (١٩٦٣) مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة.

فن التدريس للتربية الإسلامية لمحمد صالح سمك ـ فصل ترجمة القرآن (ص: ٥١٩ ـ ٥٢٠) مكتبة الانجلو المصرية.

الفرقان: (ص: ١٧٠ـ٢٢٨).

(١٤) فتح البارىء بشرح البخارى: (١٧/ ٢٩٩ـ٣٠٠) شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر: (١٣٨٧ـ١٩٥٩).

(١٥) فتح الباريء: لابن حجر العسقلاني: (١٩/ ٢٩٩-٣٠١) .
(١٦) انظر : ص
(١٧) اعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى الموضوع بها من الانفاق فى علوم القرآن للسيوطى الطبعة الثالثة: (١٣٧٠ - ١٩٥١). مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر .
(١٨) الفرقـان : (ص: ٢٢٢) .
(١٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل - لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى .
انتشارات آفتاب، طهران - ايران .
والالجاء أى الالزام بالإيمان بدون تحكيم للعقل والفهم والدليل .
(٢٠) فن التدريس للتربية الإسلامية: (ص: ٥٢٢) .
(٢١) ترجمة بتصـرف .
(٢٢) المرجع السابق: ترجمة بتصرف .
(٢٣) الفرقـان : (ص: ٢٢٨) .
(٢٤) الاتقان فى علوم القرآن: (٢/ ١١٦-١١٧) .
(٢٥) المرجع السابق .
(٢٦) المرجع السابق: (ص: ١١٩) .
(٢٧) تفسير القرآن العظيم: «المعروف بتفسير ابن كثير» للإمام اسماعيل بن كثير .
المرجع السابق: (ص: ١٢١). تفسير سورة المدثر: (ص: ٤٤٣). مطبوعات دار الفكر .
(٢٨) الفرقـان: (١) .
(٢٩) النسـاء: (١٧٤) .
(٣٠) الأنعـام: (١٩) .
(٣١) المائــدة: (٦٧) .
(٣٢) الموافقات فى أصول الاحكام لأبى اسحق إبراهيم بن موسى الشاطبى: (٣/١٧٦). المطبعة السلفية بمصر .
(٣٣) الأحــزاب: (٧٢) .
(٣٤) الترجمة بتصـرف .
(٣٥) البقـرة: (٢٦٠) .



تعدد زوجات الرسول ﷺ

- ٢ -

للدكتور ملك غلام مرتضى
رئيس قسم الترجمة بالجامعة

فى هذه الحلقة أتم ما بدأت من موضوع تعدد زوجات الرسول ﷺ فيما يلى :-

٨ - *السيدة : جويرية بنت الحارث - رضى الله عنها :*

وكانت أرملة ماتع بن صفوان الذى كان من ألد أعداء الإسلام وأشدهم خصومة للرسول ﷺ . كان قد قتل يوم المريسيع خلال غزوة بنى المصطلق وتركها فوقعت أسيرة فى يد المسلمين . وهى أيضا بنت الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق الذين كانوا يتآمرون على المسلمين وأحيانا يغيرون عليهم ويوقعون بهم الضرر .

وقد ورد فى صحيح البخارى عن عائشة - رضى الله عنها تعالى - أنها قالت :-

أصاب رسول الله ﷺ نساء بنى المصطلق ، فأخرج الخمس منه ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين والرجل سهما ، فوقعت (جويرية بنت الحارث) فى سهم ثابت بن قيس ، فجاءت إلى الرسول فقالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه ، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت ، وقد كاتبنى ثابت على تسع أواق ، فأعنى على فكاكى ، فقال عليه السلام : أوخير من ذلك؟ . فقالت : ما هو؟ . فقال أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك . فقالت : نعم يارسول الله . فقال رسول الله : قد «فعلت» .

فلما علم أصحاب النبى ﷺ بهذا قالوا : أصهار رسول الله يسترقون؟ . فأعتقوا ما كان فى أيديهم من سبى بنى المصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت بزواجه عليه السلام بنت سيد بنى المصطلق .

ولم يسع لبنى المصطلق بعد اطلاق سراحهم والاحسان عليهم من قبل الرسول ﷺ والمسلمين إلا أن يسلموا ويتخلصوا من حقدهم على الإسلام والنبى ﷺ ويقلعوا عن جرائم قطع الطريق والغارات التى كانوا يشنونها على ديار المسلمين (كانت هذه القبيلة من قطاع الطريق) . وقد ورد فى بعض الروايات أنه وصل أبو السيدة جويرية لعتقها من الأسر قبل

زواجها بالرسول ﷺ وأراد أن يأخذها معه ويدفع تسع أوقيات من عنده وهنا ترك النبى ﷺ الأمر للسيدة جويرية أن تختار بين أمرين .

(١) إما أن تذهب إلى قبيلتها مع أبيها .

(٢) وإما ان تسلم وتختار الزواج بالرسول ﷺ فاختارت الإسلام والزواج بالرسول ﷺ على الكفر والرجوع إلى أهلها وقبيلتها .

فكان هذا الزواج بركة عليها وعلى أهلها وقبيلتها لأنه كان سببا لإسلامهم وعتقهم وترك أعمال قطع الطريق . فقال الناس أن «جويرية أيمن امرأة على قومها» .

من هنا نرى أن هذا الزواج كان ميمونا على بنى المصطلق لأنه استبدل عداوتهم للإسلام إلى حبهم لله والرسول والإسلام وهو مبارك على المسلمين أيضا لأنه خلصهم من غارات بنى المصطلق ومؤ امراتهم وبدأ بنو المصطلق يساعدون المسلمين ويجاهدون فى سبيل الله .

٩ ـ *السيدة : أم حبيبة ـ رضى الله عنها :*

وهى بنت أبى سفيان الذى كان فى جاهليته (ألد أعداء الإسلام بعد أبى جهل) وكانت قد أسلمت وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فرارا بدينها . ومات زوجها فى الحبشة فأصبحت وحيدة ليس لها كفيل ولا معين . إن هى عادت إلى أبيها فى مكة المكرمة فالنتيجة واضحة ، ستجبر على الرجوع إلى الكفر قهرا وإلا عذبت عذاباً شديداً ، أما فى المدينة المنورة فليس لها من يكفلها ويرعاها .

فلما علم الرسول ﷺ بوفاة زوجها ، خطبها وأرسل إلى النجاشى ملك الحبشة ليزوجه إياها . فلما علمت السيدة أم حبيبة بما فعل الرسول ﷺ فرحت وسرت سرورا عظيما ووافقت على هذا الزواج . فزوجها النجاشى بالرسول ﷺ وأصدقها عنه أربعمائة دينار مع هدايا أخرى ثمينة وبعث بها إلى النبى ﷺ مع شرحبيل بن حسنة فوصلت فى سنة سبع من الهجرة إلى المدينة المنورة . وكان عمرها حينئذ سبعاً وثلاثين سنة ، ولما علم أبو سفيان بهذا الزواج أقره وقال : «هو الفحل لا يقدع أنفه» . ونرى حكمة بالغة وراء هذا الزواج وهى تأليف قلب أبى سفيان وقومه فصار هذا الزواج سبباً لتخفيف الأذى عن المسلمين فى مكة المكرمة وأصبح أكثر ميلا إلى الصلح . فنراه قادما إلى المدينة المنورة لتجديد الصلح ويزور ابنته فى بيت الرسول ﷺ والابنة تقنعه أنه لا كرامة لأى إنسان إلا بالإسلام وإن كان والدها . فمن الواقع أن أبا سفيان ما جاء غازيا ضد أهل المدينة بعد هذا الزواج .

١٠ ـ السيدة : صفية ـ رضى الله عنها :

وكانت سيدة بنى قريظة وأيضا سيدة بنى النضير وهما قبيلتان من اليهود عقدتا صلحاً مع الرسول ﷺ والمسلمين ثم نقضتا العهد غدراً وخيانة . والسيدة صفية ابنة حى بن أخطب الذى كان سيد بنى قريظة ومن ناحية الأم هى ابنة صيمويل الذى كان سيد بنى النضير .

وكانت السيدة «صفية» قد أسرت بعد مقتل زوجها فى غزوة خيبر وروى أنها ـ رضى الله عنها ـ لما دخلت على النبى ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود عداوة لى حتى قتله الله . فقالت يارسول الله : إن الله يقول فى كتابه : ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرى**﴾ .

فقال لها النبى ﷺ : إختارى فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى ، وان اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقى بقومك ، فقالت : يارسول الله . لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعونى إلى رحلك ومالى فى اليهودية أرب ، ومالى فيها والد ولا أخ ، وخيرتنى الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلى من العتق ، وأن أرجع إلى قومى . فأمسكها رسول الله ﷺ لنفسه . ونرى كثيراً من اليهود أسلموا بعد هذا الزواج ، ولا نراهم يتآمرون ويؤلبون قبائل العرب ضد رسول الله ﷺ بعده .

١١ ـ السيدة : ميمونة ـ رضى الله عنها :

كانت السيدة «ميمونة» قد تزوجت مرتين قبل زواجها بالنبى ﷺ ومات زوجها الثانى (أرحم بن عبد العزى) فى السنة السابعة من الهجرة ، وهى أيضا أخت أم المؤمنين «زينب بنت خزيمة» من ناحية الأم . وكان فى هذا الزواج مصلحة كبيرة لأن السيدة ميمونة كانت أخت زوج سيد بعض قبائل عربية تآمرت على الإسلام والمسلمين إذ طلبوا من الرسول ﷺ أن يرسل سبعين من الفقهاء ليعلموهم الدين وما لبثوا أن غدروا بهؤلاء المبعوثين فقتلوهم عن بكرة أبيهم ، واستمروا على عدائهم ، حتى أن تمت مصاهرة النبى ﷺ لسيدهم بزواجه ميمونة ـ رضى الله عنها ـ وجدير بالذكر أن نقف برهة لنميز بين هذا النوع من الزواج بين ملوك وأباطرة العالم وبين الرسول ﷺ ، فإن مثل هذه الزيجات كانت معروفة لدى أباطرة العالم بمصاهرة أعدائهم إتقاء شرهم ولكسبهم إلى صفوفهم أو ضمان حيادهم على أقل تقدير ويكون الإصهار دائما فى جانب قوى . لا يتمكن الصهر من كسر شوكتهم . . . أما الرسول عليه الصلاة والسلام فلم يكن زواجه من هذا القبيل وإن اتفق فى النهاية بمصاهرة أقوام ناصبوه العداء فمصاهرته لم تكن خاضعة للمفاوضات والمبادلات ، ولكنه مصاهر بعد كسر

شوكتهم وتغلبه عليهم ودحرهم وحتى لم يكن هناك طلباً رسميا مقدم إلى رئيس القبيلة أو القوم المعاديين لهذه المصاهرة .

والجانب الآخر أن الإسلام لم يكن قط طريقا للعبودية والسخرة التى دأبتها البشرية فى عصورها وما تناله النساء خاصة بعد انكسار قواتهم فى الحروب من هتك لأعراضهم وذل وعار بهيمى فى الدرك الأسفل من البهيمية ، فقد كان الرسول ﷺ بذاته قدوة للمؤمنين ، خيرهن بين خير الإسلام وعتقهن . ومن ثم تشريفهن بالزواج بعد إيمانهن لا بالرق ليتمثل به المؤمنون . . . والوقائع تشهد لنا بذلك والقرآن الكريم يؤكد هذا الأمر : ﴿**ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم**﴾ .

مزاعم أعداء الإسلام ودفعها :

يزعم أعداء الإسلام أن الرسول ﷺ أنه عدد زوجاته لإشباع رغباته ، وفيما سبق أشرت بإيجاز إلى الظروف والملابسات التى أدت إلى كل زيجة من زيجات النبى ﷺ ومنها يمكن أن يرد على أولئك الأعداء فيما يزعمون من جهة ، ومن جهة أخرى لو أن الرسول ﷺ كما يزعمون لما ظل وفيا لخديجة ـ رضى الله عنها ـ التى كانت قد بلغت الخامسة والستين من العمر وهو ما يزال فى الخمسين من عمره . فكيف يقنع بامرأة متقدمة فى السن تكبره خمس عشرة سنة ولا يختار امرأة أخرى حتى توفيت وهى فى الخامسة والستين من عمرها ، فهل يمكن لرجل شهوانى أن يصبر على شهوته إلى هذا الحد حتى يهرم ويصير شيخاً كبيراً؟ .

فضلا عن ذلك ، فإن قريشا عرضت عليه ﷺ أن ينصبوه ملكا عليهم ، وأن يزوجوه أجمل النساء على أن يترك دعوته ولو كان كما يزعم أعداء الإسلام لرحب بهذا العرض ، واختار لنفسه إحدى الشابات الجميلات .

ولكنه عاش حياة البساطة والتقشف رغم أن الله تعالى يسر للمسلمين غنائم كثيرة . وأسوق شاهدا لهذا حادثين موجزين فيما يلى :-

١ ـ *حادث الإيلاء* :

عندما كثرت الفتوحات والغنائم والأموال ، طالبت أزواج النبى ﷺ بزيادة يسيرة فى نفقات المعيشة حتى ينتقلن من حياة الفقر إلى حياة اليسر والراحة مما أزعج النبى ﷺ إزعاجا شديداً . وعندما علم سيدنا أبوبكر وسيدنا عمر بهذا جاءا إلى بنتيهما أم المؤمنين السيدة عائشة وأم المؤمنين السيدة حفصة ونبهاهما إلى قلق النبى ﷺ ازاء موقفهما . أما الأزواج الأخريات فلم يرق لهن تدخل أبى بكر وعمر وأصررن على المطالبة بزيادة النفقات على

أساس أن ما يطلبن يعتبر شيئا يسيرا بل متوفرا لدى غالبية المسلمين . وجئن بدليل قوى وهو أنهن قد صبر ن على آلام الفقر والحرمان والمسكنة فى الماضى . أما بعد أن أفاء الله بنعمائه وكثرت الأموال والغنائم والجوارى فلم يبق أى مبر ر لاستمرار حياة الفقر والمسكنة والجوع والفاقة .

فانزعج النبى ﷺ لدرجة أنه هجر أزواجه كلهن لشهر كامل والتزم الصمت معهن حتى ذاع بين الناس أنه قد طلقهن .

٢ ـ *حادث التخيير* :

هذا الحدث تتمة لحدث الإيلاء . فعندما ظلت أزواج النبى ﷺ مصرات على طلب زيادة النفقات ، أنزل الله سبحانه آيات التخيير وجعلهن يختر ن بين أمرين :ـ

(١) إما الحياة مع الرسول ﷺ مع الفقر والمسكنة .

(٢) وإما الحياة بدون الرسول ﷺ مع رغد وبحبوحة فى العيش وأنزل الله سبحانه وتعالى قوله :ـ

﴿يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخره فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ . (سورة الأحزاب : ٢٨ـ٢٩) .

فخير النبى ﷺ زوجاته بين الأمرين وأسمعهن هذه الآيات . وقال للسيدة عائشة : تشاورى مع والديك ولا تتعجلى فى الأمر فردت على الفور: هل أتشاور فى الله والرسول يارسول الله؟ .

والمعروف أن كل واحدة من نساء النبى ﷺ اختارت الله سبحانه وتعالى والنبى ﷺ والدار الآخرة مع حياة الفقر والفاقة والمسكنة والتقشف والبساطة حتى شهد التاريخ أنه ما كان يوجد زيت للإنارة فى بيت النبى ﷺ يوم انتقل إلى رحاب الله .

فهل يمكن هذا لرجل غير النبى أن يعيش مثل هذه العيشة ويجبر زوجاته أيضا عليها؟ .

والشخص الذى يتدبر هذه الأمور ويتعرف على سيرة النبى ﷺ لاسيما حياته العائلية لا يمكن أن يتهم الرسول الكريم ﷺ بالشهوانية والتكالب على الملذات الحسية لو كان لهذا الشخص أدنى وازع من الضمير أو لديه ذرة من الحياء والخجل .

المصالح والغايات وراء تعـدد الزوجات :

وهى خمسة أقســام :ـ

(أ) المصالح التعليمية .

(ب) المصالح التشريعية .

(ج) المصالح الإجتماعية .

(د) المصالح السياسية .

(ر) المصالح الشخصية .

والآن لنتناول بإيجاز كل من هذه المصالح الخـمس :ـ

أ ـ المصـالـح التعليميـة : المرأة كما هو معروف نصف المجتمع لذلك كان لابد للنبى ﷺ أن يهيىء معلمات ومفتيات لتبصير نساء المسلمين بأمور دينهن .

فهذه هى الحكمة الأساسية وراء تعدد الزوجات. وقد عرفنا أن السيدة عائشة ظلت تدرس وتبلغ تعاليم الإسلام وتفتى فى الكثير من المسائل الهامة ثمانى وأربعين سنة بعد وفاة النبى ﷺ وانتقل ربع الأحكام الشرعية إلى الأمة الإسلامية من خلال توجيهاتها ومساعيها . ومن هنا تتضح لنا المصلحة وراء زواجه ﷺ بالسيدة عائشة وهى صغيرة السن .

وكـان النبى ﷺ «أشـد حيـاء من العـذراء فى خدرهـا» وهكذا يكون الأنبياء فما كان يمكنه أن يرد على كل سؤال يوجه إليه من جانب النساء بكل صراحة فكان يجيب بأسلوب الكناية أو يستعين بإحدى أزواجه ﷺ . ومن رواية السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة من الأنصار، سألت النبى ﷺ عن الغسل من المحيض فعلمها النبى ﷺ كيف تغتسل، ثم قال لها : خذى فرصة ممسكة (أى قطعة من القطن بها أثر الطيب) فتطهرى بها، قالت : كيف أتطهر بها، قال : تطهرى بها، قالت : كيف يارسول الله أتطهر بها؟ . فقال لها : سبحان الله تطهرى بها، قالت : السيدة عائشة : فاجتذبتها من يدها فقلت ضعيها فى مكان كذا وكذا، وتتبعى بها أثر الدم .

وهكـذا كان هنـاك الكثـير من الأسئلة المحـرجـة لاسيما عن أحكام الحيض والنفاس والجنابة فكانت تجيب عنها زوجاته الطاهرات فى أكثر الأحيان فى حياته وبعد وفاته ﷺ والسنة المطهرة بعد القرآن الكريم هى المصدر الثانى من مصادر التشريع فى الإسلام وتشتمل على أقوال الرسول ﷺ وأعماله وتقريره ولا يمكن لأحد أن يعرف ما صدر عن النبى ﷺ من قول أو عمـل أو تقـريـر إلا أن يكـون معـه فى جميـع الأوقـات حتى خلال أوقات فراغه متابعاً لكافة

حالات فرحه وغضبه ويسره وعسره ويصاحبه فى كل أمور حياته مهما كانت هامة أوبسيطة، عامة أو شخصية .

وهذا الشرف لم يقدره الله سبحانه وتعالى إلا لزوجاته ﷺ اللاتى ظللن يصحبنه طوال حياته إلى لحظة انتقاله إلى الرفيق الأعلى . فلهذا نرى أن كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يستفتون أمهات المؤمنين ـ رضوان الله تعالى عليهن أجمعين ـ فيما يعن من أمور هامة فى حياة المسلمين العامة والخاصة .

ويقول الإمام الزهرى التابعى : «كانت عائشة أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ » . (طبقات ابن سعد : ج٢ : قسم٢ : ص٢٦) .

ب ـ **المصالح التشريعية** : كما تزوج رسول الله ﷺ لتحقيق بعض الغايات التشريعية ومنها إبطال بعض العادات التى سادت زمن الجاهلية مثل التبنى والتآخى .

كان بعض الناس من العرب يقول للآخر : «أنت ابنى» فكان يتخذه إبنا حقيقيا فكان له حكم الأبناء من النسب فى جميع الأحوال، فى الزواج والطلاق ومحرمات النكاح ومحرمات المصاهرة والميراث .

وكذلك كان بعض الناس يقول للآخر : «أنت أخى» فكان يتخذه أخاً حقيقيا بنفس الطريقة وكان يحل له كل ما يحل للأخ الحقيقى ويحرم عليه كل ما يحرم على الأخ الحقيقى أيضاً .

فأبطل رسول الله ﷺ عادة التبنى بزواجه بمطلقة متبناه زيد وهى أم المؤمنين السيدة زينب بنت جحش. الحق أن النبى ﷺ كان يخشى أيضا من ألسنة الناس ويتردد فى هذا الزواج فنزلت الآية : ﴿**وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ . فالنقطة الهامة أنه ما كان لأى إنسان غير النبى يستطيع أن يبطل عادة التبنى إذا لم يبطلها النبى ﷺ لخشيته من الناس. ففرض الله على النبى ﷺ هذا الزواج ليبطل نظام التبنى .

وبالمثل فقد أبطل النبى ﷺ عادة التآخى بزواجه بأم المؤمنين السيدة عائشة لأنها ابنة أخيه فى الإسلام سيدنا أبى بكر الصديق . وقال له رسول الله ﷺ كما سبق أن ذكرنا «أنت أخى فى الإسلام» ولا يعنى هذا أنك أخى من ناحية النسب. ففرق رسول الله ﷺ بين التآخى فى الإسلام والأخوة على أساس النسب .

ج - المصالح الإجتماعية : حاول رسول الله ﷺ أن يربط أهم وأبرز أعضاء الأمة الإسلامية بعضهم ببعض عن طريق المصاهرة فمثلا زواجه بالسيدة عائشة بنت أبى بكر الصديق والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب جاء تتويجاً للوشائج الوثيقة التى ربطت بينه وبين أهم وأعظم أصحابه وهما سيدنا أبوبكر وسيدنا عمر بن الخطاب اللذان أسديا خدمات جليلة للإسلام والمسلمين وقد تقلد كل منهما أمور المسلمين بعد وفاة المصطفى ﷺ .

ومن ناحية أخرى فقد زوج الرسول ﷺ بعض بناته بسيدنا عثمان بن عفان، وعلى ابن أبى طالب وقربهما إليه وقد كان هذا حافزا لهما بالتضحية فى سبيل الله بكل شىء. وهكذا صار سيدنا أبوبكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا على من أعاظم الرجال وأتقاهم وأقربهم إلى قلب النبى ﷺ .

د - المصالح السياسية : ونرى الكثير من المصالح السياسية التى تحققت من وراء زيجات النبى ﷺ فمثلا زواجه بالسيدة جويرية بنت سيد بنى المصطلق. وعتق أسرى بنى المصطلق فأسلموا وتخلوا عن أعمال قطع الطريق وغاراتهم التى كانوا يشنونها ضد المسلمين ولا نرى أية مؤامرة يحيكها بنو المصطلق ضد المسلمين بعد هذا الزواج .

وهكذا زواجه بالسيدة صفية بنت حى بن أخطب سيد بنى قريظة قد خفف بل قضى على موقف العداء الذى وقفه اليهود ضد الإسلام ووضع حداً لمؤامرتهم ضد النبى ﷺ بعد هذا الزواج. وهكذا زواجه بالسيدة أم حبيبه بنت أبى سفيان سيد قريش. فنرى أبا سفيان الذى كان ألد أعداء الإسلام قبل إسلامه، خفيفاً غير ممعن فى عداوته ضد الإسلام حتى جاء إلى المدينة المنورة يلتمس تجديد عقد صلح الحديبية ولا نراه يأتى غازيا إلى المدينة المنورة بأحزابه بعد هذا الزواج .

وزواجه ﷺ بالسيدة ميمونه أخت زوج سيد بعض قبائل سعت فسادا فى الأرض واغتالت سبعين من كبار الصحابة بالمكر والخديعه. كان له أثر بالغ فى تلطيف مخاصمة هذه القبائل للمسلمين .

ر - المصالح الإنسانية : وهناك المصالح الإنسانية أيضا وراء بعض زيجاته ﷺ . فقد تزوج النبى ﷺ بعض النساء رأفة بهن بسبب ظروفهن الخاصة. وكانت هناك بعض النساء العجائز اللاتى مات عنهن أزواجهن فلم يبق لهن سند أومعين فى الحياة أو هناك الأمهات اللاتى افتقدن الكفيل لهن ولأطفالهن. وكانت هناك بعض الأرامل اللاتى لورجعن إلى أهلهن لعذبن عذاباً شديداً ولفتن فتوناً كبيراً. فتزوجهن رسول الله ﷺ صيانة لهن ورعاية

لإنسانيتهن فمنهن السيدة سودة ـ رضى الله عنها ـ (عمرها ٥٥ سنة وقت الزواج) . والسيدة زينب بنت خزيمة (كان عمرها ٦٠ سنة حينئذ) . والسيدة أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ (كان عمرها حوالى ٦٠ سنة حينئذ) .

فما رأى الأفاكين والمغرضين من المستشرقين فى زواج الرسول ﷺ بهؤلاء النسوة؟ ، هل تمت هذه الزيجات بدافع الأنانية كما يزعمون أو هو منتهى الإيثار والتضحية وتكريم الإنسانية؟ .

■■ الخاتمة ■■

إذا كان ذهن ومستوى فكر بعض الناس أضيق من أن يتصور حقيقة الكرامة والشرف للإنسان فما هو ذنب أهل الكرامة والشرف؟ . وما على هؤلاء الناس إلا أن يعالجوا أذهانهم ومستوى فكرهم ويوسعوا أفق تصورهم . إنما الحق أن زيجات الرسول ﷺ كلها تدل على نبوته ورسالته وهى دلائل قاطعة وبراهين ساطعة على أنه لم يأت ولن يأتى رجل مثل النبى ﷺ الذى ضحى بكل ما يملك مرضاة لله سبحانه ثم حباً للإنسانية .

إن الرجل هو فى الحقيقة أنقى وأطهر الناس فى العالم بدليل أنه لا يختار لنفسه إلا الأرامل والعجائز والوحيدات اللاتى فقدن كل سند ومعين فى الحياة .

والسيدة عائشة هى الوحيدة بين كل أمهات المؤمنين التى كانت بكراً ، وأما الأخريات فهن كلهن أرامل ومسنات ـ هل هذه شهوانية وأنانية أم هذه قمة الإنسانية؟ .

والأمر الهام جدا أن نرى هذه الزيجات فى اطار الظروف والملابسات التى أحاطت الرسول الداعى إلى الإسلام وإمام الإنسانية . ما الذى كان يناسبه لنشر دعوته إلى الناس جميعا ، فمنهم الرجال والنساء ، ومنهم أصحابه وأعداؤه ومنهم قبائل العرب ودول العجم وقد أرسله الله رسولا إلى الناس كافة فكان عليه أن يؤم الحركة الإسلامية ويبلغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة . ويعطيها نفوذاً وقوة فى كل مجال وفى كل ناحية . فإذا نظرنا إلى زيجات الرسول ﷺ من هذه الناحية نرى أنها أمر لابد منه وهكذا سنة النبيين جميعاً .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين . . .

الإسلام والمسلمون فى أنجلترا
ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم

للدكتور محمد إبراهيم الجيوشى
أستاذ بالدراسات العليا

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من امرنا رشداً، وبعد . . .

فإن الحديث عن الإسلام والمسلمين فى بريطانيا يقتضينا أن نقدم له بتمهيد سريع عن نظرة أمم الغرب بوجه عام إلى الإسلام والمسلمين .

فكرة الغرب عن الإسلام ومصدرها :

مثل الشعب الإنجليزى مثل غيره من شعوب بلاد الغرب جميعاً فى فكرتهم عن الإسلام والمسلمين، فقد ظلوا فترة يستقون معلوماتهم عن الإسلام مما يكتبه رجال الكنيسة والمبشرون، الذين دأبوا على تصوير الإسلام لهم بصورة منفرة، وتصوير المسلمين فى صورة همجية بشعة، وقد ظلت هذه الفكرة سائدة عند عامة الناس فى أوروبا بوجه عام حتى أوائل القرن العشرين الميلادى، وإن كان كثيرون من القادة ورجال الدين يعرفون الكثير عن حقائق الإسلام، ولكنهم كانوا يكتمون ذلك، ويقدمون للإسلام صورة مشوهة تعصباً منهم وحسداً، واستغلالاً لجهل السواد الأعظم من الأوروبيين بحقائق الإسلام الناصعة، وعقائده القويمة، ومثله العليا، وأخلاقه النبيلة، ومنهجه السوى المستقيم .

الإسلام يجذب أحرار المفكرين الغربيين :

فلما أتيح لكثير من الأوروبيين أن يتعاملوا مع المسلمين مباشرة بعد موجة الاستعمار التى ملكوا فيها أغلب مقدرات العالم الإسلامى تهيأت عن طريق ذلك فرصة لكثير من أحرار مفكريهم أن يروا المسلمين فى بلادهم، ويعرفوا عن دينهم ونبيهم ﷺ الشىء الكثير، مما وجدوه مخالفاً كل المخالفة لما سمعوه من المبشرين ورجال الكنيسة على مدى القرون

الماضية، فبدأت فكرتهم عن الإسلام تتغير، حينما اطلعوا على ما فيه من سمو العقيدة وصفائها، وأخذ كثير منهم يتعرف على الإسلام مباشرة من مصادره الأولى، ويعرف المسلمين من خلال تعامله معهم، لا من خلال كتابات المستشرقين ورجال الدين، وقد هالهم أن وجدوا شيئاً فذاً بعيداً كل البعد عما حاول رجال الكنيسة أن يصبوه فى عقول الناس ووجدانهم، وأثمرت حركة التعرف المباشر هذه ثمرتها، إذ اعتنق عدد من أحرار مفكريهم الإسلام، وأخذوا يكتبون عنه، وفى مقدمة هؤلاء عدد من الفرنسيين يقف فى الطليعة منهم الفيلسوف المسلم «جينيه رينو»، أو الشيخ عبد الواحد يحيى، كما سمى نفسه بعد ذلك، وبلغ من سيادة هذا الاتجاه بين أحرار الفكر الغربى أن كتب تولستوى الأديب الروسى المشهور مقالاً يعبر فيه عن أعجابه بعظمة رسول الله ﷺ مما أزعج الكنيسة والقائمين عليها، ولم تستطع الكنيسة أن تكتم ضيقها بمثل هذه الكتابات، فأصدرت قراراً بحرمان تولستوى خشية أن ينهج سواه على منواله، وقد كتب له الشيخ محمد عبده رسالتين يحييه فيهما، ويشيد بشجاعته فى الجهر بالحق، ويذكر له أن القرار الذى صدر بحرمانه، إنما هو وسام يعلى بين طلاب الحق مكانته فى العالم كله، ومن يريد التعرف على المزيد من رجالات الفكر الغربى الذين اعتنقوا الإسلام فليقرأ كتاب الدكتور عبد الحليم محمود: «أوروبا والإسلام». وعلى الرغم من انبثاق هذا الاتجاه بين المثقفين إلا أنه ظل يمثل ظاهرة فردية، لم تتعد آثارها أصحابها إلى غيرهم من سواد الناس وعلى الرغم من ذلك، فقد شهدت هذه الفترة كتابات متحاملة على الإسلام، وتصدى علماء المسلمين للرد عليها، ومن أشهر هذه المعارك كتابات (هانوتو) الوزير الفرنسى عن الإسلام، وتصدى الشيخ محمد عبده للرد عليها وتفنيدها، وتجد وقائع هذه المعركة مسجلة فى كتاب تاريخ الإمام محمد عبده الذى جمعه الشيخ محمد رشيد رضا فى مجلدين.

نشأة المجتمعات الإسلامية فى أوروبا:

وكان من طلائع من أسلموا من الإنجليز فى هذه الظروف رجل يسمى «اللورد هيدلى» وقد سمى نفسه عمر الفاروق، وقام برحلات متعددة إلى العالم الإسلامى، ولكن على الرغم من كل ذلك فإن الأمر ظل محصوراً فى النطاق الفردى، ولم يتخذ شكلاً جماعياً، وظل كذلك. حتى اندلعت الحرب العالمية الأولى، واضطرت الدول الغربية إلى الاستعانة بأعداد من سكان البلاد الواقعة تحت سيطرتهم، فنزحت لذلك، جماعات كثيرة من سكان المستعمرات إلى بلاد أوربا، واستقرت بها، ومما شجعها على الإقامة والاستقرار أنها وجدت فرصاً للعيش خيراً مما هو مهيأ لها فى بلادها، فأغراها ذلك بالبقاء، ونشأت جاليات فى

انجلترا تنتمى غالبيتها إلى شبه القارة الهندية ـ الهند آنذاك ـ وتمثل حاليا باكستان وبنجلادش والهند، ثم باقى دول الكومنولث الأخرى، ويلاحظ أنه لم يشارك فى هذا الزحف إلى انجلترا من البلاد العربية إلا بعض الإخوة من اليمن الذين كانوا يعملون فى السفن، وترتب على ذلك أن تكونت منهم جاليات فى عدد من المدن الساحلية .

أولاً : مثل مدينة كارديف عاصمة ويلز، وليفربول فى شمال انجلترا، وساوث شيلد فى الشمال الشرقى، وجلاسجو عاصمة اسكتلندا وعدد آخر من المدن الصغيرة الواقعة على الشاطىء .

وثانيا : فى المدن الصناعية مثل شيفيلد وبرمنجهام ومنشستر وسواها، وقد لوحظ أنه كلما استقرت جالية يمنية فى مكان ما قامت بجانبها جالية صومالية تشاركها فى كل شىء .

وعلى غرار نشأة المجتمعات أو الجاليات الإسلامية فى انجلترا قامت جاليات إسلامية تنتمى إلى بلاد أخرى فى عدد من بلاد أوربا الغربية فتكونت جالية كبيرة من بلاد المغرب العربى فى فرنسا ربما كانت أكثر عدداً لقرب فرنسا من بلاد المغرب العربى، وتكونت كذلك جالية أندنوسية فى هولندا، وفى أعقاب الثورة الكمالية فى تركيا هاجر عدد من الأتراك إلى المانيا والنمسا حفاظاً على دينهم، ولحق بهم جماعات من أوربا الشرقية بعد سيطرة الشيوعيين على بلادهم وهكذا نشأت الجاليات الإسلامية فى أوروبا الغربية وأخذت تنمو مع الأيام ويزداد عددها، وبدأت تستقر فى تلك البلاد الجديدة وتميل إلى الإقامة الدائمة بها بعد أن كانت قادمة بنية العودة إلى أوطانها بعد حين، ومن بينها انجلترا موضع حديثنا اليوم .

وقد لوحظ أن عدداً كبيراً من شباب البلدان التى منيت بالاستعمار قد رحلوا إلى طلب العلم فى جامعات البلاد المستعمرة، ولئن كان المستعمرون قد استهدفوا من وراء ذلك إعداد جيل من المثقفين بالثقافة الغربية ليكونوا همزة الوصل بينهم وبين شعوبهم، وليقوموا بالتبشير بالفكر الغربى والحضارة الغربية فى بلادهم، فإن جماعة من هؤلاء الوافدين استطاعوا أن يزاحموا بفكرهم الإسلامى فى خضم تيار الحياة الأوربية الجارف، وأن يسمعوا أصواتهم المسلمة فى ساحات البحث وعلى موائد الحوار مع كبار مفكرى الغرب، كما فعل الشيخ هداية الله الهندى، الذى دخل فى حوار مع سير جيمس أكبر علماء الفلك فى عصره، وانتزع منه شهادة إعجاب بالإسلام وتقدير لنبى الإسلام ﷺ وقد أورد وحيد الدين خان تفصيل هذا الحوار فى كتابه «الإسلام يتحدى» . وكما صنع العلامة إقبال، فقد عاد إلى بلاده، وهو أشد حماساً للإسلام، وتفانياً فى الدعوة إليه، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن بعضهم حاول تقديم الإسلام للغربيين فى لغاتهم كما فعل عبد الله يوسف على الذى عكف

على ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية على مدى أربعين عاما قضاها فى بلاد الإنجليز، ولا زالت ترجمته حتى الآن تعتبر أكثر الترجمات قبولا من جمهورالمسلمين، وإن كانت لنا عليها بعض الملاحظات كنا ننبه إليها قراء الترجمة من المسلمين الإنجليز، أو الراغبين فى اعتناق الإسلام .

والذى لاشك فيه أن حياة بعض الغربيين فى بلاد المسلمين، وإقامة جاليات إسلامية فى بلاد الغرب قد هيأ فرصة لمزيد من المعرفة بالإسلام، والاهتمام به، والفهم الصحيح لأصوله مما سنرى آثاره فيما بعد، وترتب على ذلك أن توارت بعض كتابات المستشرقين التى كانت تحاول بكل ما أوتيت من وسائل الباطل أن تغض من قيمة الإسلام، وتسىء إلى كتابه ونبيه وتاريخه .

وليس يعنى ذلك أن هؤلاء قد كفوا عن هذا المنهج الظالم إلى الأبد، ولكنهم يحاولون أن يقدموا ما يريدون بطريقة ملتوية ماكرة، لا يظهر فيها أثر الهجوم السافر الملىء بالحقد، الذى كان السمة الغالبة لكتابات المتقدمين منهم . والسبب فى ذلك أن مبادىء الإسلام أصبحت فى متناول الكثيرين، وأن ما يكتبه هؤلاء سيقرأ بواسطة كثير من المسلمين الذين يتقنون لغات الغرب، ومن اليسير عليهم أن يظهروا زيفه، ويكشفوا خطأه مما يعرض سمعة الكاتب العلمية إلى السقوط، فأمسكوا عن مهاجمة الإسلام صراحة خوفاً على سمعتهم العلمية، لا اقتناعاً بالحق واكتفوا بمحاولة التأثير على طلابهم فى ساحات الدرس إن وجدوا إلى ذلك سبيلا .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد وجد فى مراكز الدراسات الإسلامية عدد ممن اهتدوا إلى الإسلام، ولهم مكانتهم العلمية فى حقل الاستشراق، وكذلك كان لليقظة التى عمت العالم الإسلامى والمصالح المتبادلة بين الشرق والغرب أثر كبير فى أن يحسب هؤلاء ألف حساب وحساب حين يكتبون عن الإسلام .

عدد المسلمين الآن : لعلنا نتساءل بعد أن عرفنا كيف تكونت الجاليات الإسلامية فى أوربا والمنابع التى جاءت منها، والجالية الإسلامية فى انجلترا بالذات أقول لعلنا نتساءل. كم عدد المسلمين الآن فى هذه البلاد؟ . والحق أنه ليس هناك إحصاء ثابت لعدد المسلمين هناك، ولكننا نستطيع على ضوء ما عرفناه من أحوالهم والعيش معهم عددا من السنين أن نقول إن عدد المسلمين فى انجلترا الآن يتراوح ما بين المليون والمليون ونصف مليون مسلم، وأن الغالبية العظمى منهم قادمون من باكستان وبنجلاديش والهند .

وقـد يتسـاءل البعض هل كل المسلمـين فى تلك البـلاد من الـوافـدين من البـلاد الإسـلاميـة؟ أم أن هنـاك من المسلمـين من ينحـدر من أصـل إنجليزى، والجواب عن هذا التساؤ ل أن هنـاك آلافـاً عدة من الإنجليـز الـذين اعتنقـوا الإسـلام واتخذوه منهجاً لهم فى الحياة، وقد كان إقبالهم على الإسلام فى البداية بطيئاً جداً، إلا أن العقدين الأخير ين من هذا القرن قد شهدا تحول عدد كبير من أبناء الإنجليز إلى الإسلام، ولا زال هذا التحول فى اضطراد مستمر .

نوعيـات المقبلين على الإسـلام : والمتتبع للنوعيات البشرية التى تقبل على الإسلام من بين الإنجليـز يجدهم يمثلون كل المستـويـات الفكرية والاجتماعية، والأعمار المختلفة مع كثـرة الشبـاب من الجنسـين الـذكـور والإناث، فأنت تجد من بين هؤلاء الأستاذ فى الجامعة والطـالب وصـاحب العمـل والعـامـل، والـرجل والمرأة، والكاتب والمفكر والرجل العادى، وهناك أعداد كبيرة تعيش مع الناس، ولا تكشف إسلامهم إلا إذا ساقتك الصدف للالتقاء بهم، ومن هذا القبيـل أن أحـد الشبـاب تقـدم لعـدد من الجـامعات بطلبات التحاق بقسم الـدراسـات العليا فى إحدى كليات الزراعة وجاءه خطاب من إحدى الكليات بلندن يدعوه لمقابلة الأستاذ المشرف وحدد له الاسم واليوم والمكان والساعة، وفى الوقت والمكان المحددين كان الشـاب يدق باب الحجـرة، فأذن له بالـدخـول واستقبله أحد الأساتذة المتخصصين فى علم الحشـرات ودار الحـوار بينهـما حول المـوضـوع الـذى جاء الشـاب من أجله، ثم أحضر الأستـاذ كأسـين زجـاجين وتهيأ لتقديم تحية للضيف الشاب، وأبصر الشاب بجانب الأستاذ زجـاجـة مغلفـة بغطـاء مفضض، ونحن فى الشـرق قد تعودنا على أن ننظر إلى الزجاجات المغلفة بهذه الطريقة على أن بها شراباً محرماً، فاعتذر الشاب عن المشاركة فى الشراب قائلا باللغـة الإنجليـزية (Ido not Drink wine) أنا لا أشرب الخمر، فطمأنه الأستاذ قائلاً له إنها ليست خمراً وإنما عصير فاكهة (This is not wine itis Frout Joes) . ثم أفرغ من الزجاجة فى الكأسين وقدم احـدهما للشـاب الـذى لم يتعود مذاق هذا العصير من قبل، فنحن نفضل فى بلادنا أن نأكل الفاكهة طازجة ولم نكن تعودنا ذلك بعد، وكان ذلك منذ أكثر من خمسة عشر عاماً .

ولمـا رفـع الشـاب الكأس وامتص رشفـة منهـا وجـد طعمها لم يألفه من قبل، فاضطرب ووضعها على المنضدة ثم اتجه إلى الأستاذ يسأله (Are you sure this is not wine) . هل أنت متأكد أن هذه ليست خمراً، فأجابه الأستاذ: أنا متأكد إنها ليست ليست خمرا أنا أعرف أنك مسلم لا تشرب الخمر، وأنا مسلم كذلك لا أشربها :

(yes iam sure I Know you are muslim you dont drink and Iam muslim to)

وكانت المفاجأة للشاب الذى فتح فاه من الدهشة، ولكن الأستاذ ابتدره قائلاً: (Do not speak one word) لا تنطق بكلمة واحدة. ثم أصطحبه معه إلى منزله، وهناك وجد حجرة مخصصة للصلاة، وحينما أوشك على الانتهاء من الوضوء لحق بهما ثلاثة من أصدقاء أستاذ علم الحشرات، وصلوا العصر جماعة، وكان هذا الأستاذ يتردد فيما بعد على المسجد كما يجلس الطفل المبتدىء يحاول أن يتعلم كيف يقرأ سورة الإخلاص وسواها من آيات القرآن الكريم وينطقها نطقاً عربيا سليما، وكنت تلمح السعادة تغمر آفاق وجهه كلما أحس من نفسه تقدماً فى استظهار سورة وقراءتها قراءة عربية صحيحة.

هذا مثل من أمثلة كثيرة تجده منتشراً بين رجال الجامعات ومن فى مستوياتهم الثقافية والفكرية، وياحبذا لو استطعنا ان نتعرف على هذه النماذج فى المؤسسات العلمية والجامعات لنستعين بهم إذا احتجنا إلى خبرات علمية لإنجاز بعض المشروعات فى بلادنا وما أكثرها، فإن ذلك سيكون من ورائه خير لنا ولهم وإعزاز لرابطة الإسلام التى تجمعنا وإياهم.

اما المثل الآخر فقد بدأت وقائعه فى ساحات المركز الإسلامى فى لندن، وكان ذلك فى أواخر عام ١٩٦٧ الميلادي حين زار المركز رجل وامرأة، وطلب الرجل الحديث إلى أحد المسئولين، وبدأ حديثه قائلاً: إنه زار الأردن، وأبصر المسلمين يصلون، فتذوق طعماً جديدا لم يستشعره من قبل، وإنه يرجو أن يجد غذاءً يشبع به هذا الإحساس الجديد، وتعبيره بالإنجليزية هكذا؛

(Ihave been Jurdon to Ihave seen Muslems Praying I tested some thing new,I want Food)

ولما نصح بأن يواصل القراءة عن الإسلام فى بعض الكتب المقترحة لتزويده بمعلومات أكثر أجاب قائلاً: (No Sir; I want a Life Example to talk to him and talk to me) وترجمتها: «لا يا سيد إننى أريد مثلاً حياً يتحدث إلى وأتحدث إليه، وهنا تم الاتفاق على اللقاء من وقت لآخر حسبما تواتى ظروف العمل مع توجيهه للالتقاء ببعض المسلمين من الإنجليز الذين أوتوا حظاً وافراً من المعرفة، وقبل أن ينصرف طلب فى أدب جم أن يؤذن له بحضور صلاة الجمعة فى اليوم التالى، واستجيب إلى طلبه على الرحب والسعة، وأقبل فى اليوم التالى وهو مطبق على خير وجه قول الله تعالى: ﴿**يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾. وأخذ مكانه فى المسجد إلى جانب المصلين فاستمع إلى تلاوة للقرآن الكريم، وألقيت الخطبة، فلما تهيأنا للصلاة وكان قد طلب إليه أن يظل جالسا ولا حرج عليه ولكنه قام للمشاركة فى الصلاة معنا وكذلك فعل لما أتينا بالنافلة بعد الصلاة، وقبل أن ينصرف أقبل شاكرا وهو يقول فى أدب جم: (Would you please Let me know which Chapter was decided to day).

قل لى من فضلك أى سورة كانت تقرأ اليوم ، فأخبر أن القراءة كانت من سورة آل عمران بصوت الشيخ عبد الباسط عبد الصمد ، ثم غاب الرجل عن بصرى فترة ، وذات يوم وأنا داخل المسجد لأداء صلاة العصر إذا بى أبصر به جالساً ينتظر الصلاة وبعد أن أدينا الصلاة أقبلت عليه محيياً وأن أقول كيف حالك يا مستر : ثم انتظرت ليذكر لى اسمه ، فأجابنى قائلا : اسمى الآن عبد القادر، ودار بيننا حديث طويل أخبرنى فيه أنه قام برحلة إلى المغرب العربى وهناك فى مدينة (مكناس) التقى بأحد الشيوخ الأتقياء ، واعتنق الإسلام على يديه ، وكانت السعادة والبهجة تطلّان من خلال كلماته ، وهو يحدثنا عن رحلته إلى النور الذى قذفه الله فى قلبه ، وكتب له الهداية إلى الإسلام ، فانعكس ذلك سلاماً فى نفسه ، وطمأنينة فى قلبه ، وإشراقاً فى أساريره .

ولم يلبث ان عاد بعد أيام ، وبصحبته بعض الشباب الذين فتح الله قلوبهم للإيمان ، وطلب أن يتلقوا دروساً فى القرآن والحديث كل أسبوع ، وأتخذت الترتيبات لذلك ، وأخذوا يترددون على مبنى المركز فترة من الزمن زاد فيها عددهم ونما ، ورأوا أن يتخذوا لهم مقراً فى أحد أحياء لندن يباشرون منه نشاطهم فى دعوة الناس إلى الإسلام ، وكان أمرهم عجباً حقاً فى تلك الفترة فقد حصلوا من بلدية لندن على الإذن باستعمال إحدى المبانى التى تقرر إزالتها ولكنها أرجئت إلى حين بعد أن هجرها سكانها فلم يكن بها إلا الجدران والأبواب ، فتعاونوا على إعادة الكهرباء إليها وإدخال المياه ، وإجراء الإصلاحات اللازمة لاستئناف الحياة بدون أن يكلفهم ذلك شيئا لأنهم تولوا تنفيذ ذلك بأنفسهم كل فى مجاله ، وسرعان ما أخذوا فى استقبال الزائرين من المسلمين وغير المسلمين ، وقد زارهم فى مقرهم هذا الشيخ صالح القزاز الأمين الأسبق لرابطة العالم الإسلامى وبصحبته الأستاذ على حافظ صاحب مجلة أخبار العالم الإسلامى الذى كتب عن هذه الزيارة فى حينها ، ثم زارهم شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود ـ رحمه الله ـ وأخذ عددهم يتزايد بشكل ملحوظ ، وتزوج فتيانهم من فتياتهم ، وبدأ التفكير فى ضمان جو إسلامى خالص للنشىء الجديد ، فبدأ لهم أن يقيموا قرية إسلامية فى قلب انجلترا فأخذوا يعدون العدة لذلك .

وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا يملكون شيئا إلا انهم كانوا على يقين أن ذلك الأمل سيتحقق ، وأعدوا كتبا بفكرتهم بعثوا بها إلى عدد من حكام العالم الإسلامى يدعونهم إلى معاونتهم على تحقيق الفكرة التى يبغون من ورائها أن يهيئوا لأنفسهم جواً إسلامياً خالصاً يعيشون فيه فى قلب الحضارة الغربية ، وقد حقق الله لهم ما أرادوا بفضل صدق إيمانهم وإخلاصهم ، فاشتروا قرية فى مقاطعة «نورج» . بشرق انجلترا ، بها عدد من الأبنية اتخذوا

إحـداهـا مسجـداً ، وأقاموا فى واحد منها مطبعة لنشر الكتب الإسلامية وطبعها ، واتخذوا لهم مسـاكن فيهـا ، ثم أخـذوا يستغلون الأرض لتربيـة الطيـور والأغنام التى تهيىء لهم مصدرا للطعام الحلال بعيداً عن أى شبهة ، وقد تركتهم منذ أكثر من خمس سنوات ، وهم يستعدون لاستغـلال مسـاحة الأرض البالغة حوالى سبعين فداناً فى الزراعة ، وقد أعانهم الله فافتتحوا مسجـداً فى عاصمـة المقاطعة التى تبعد عدة كيلو مترات عن القرية حضرت الصلاة الأولى فيـه مع سماحـة المرحـوم الشيخ عبد الله المحمود الرئيس العام للمركز الإسلامى بالشارقة ، والـذى قدم لهم ثمن القـريـة البالغ ستين ألف جنيه استرلينى تبرعاً من سمو الشيخ سلطان القاسمى حاكم الشارقة .

وحسبكم أن تعلموا أن هؤلاء الإخوة قد انتقلوا بنشاطهم إلى أمريكا وغيرها من بلاد أوربـا ، ومنهـا قرطبـة بأسبـانيـا وقد تحدثوا إلى بما يدور فى خواطرهم عن الإسلام فى أسبانيا وأنهم يريـدون أن يجد العـالم مسجـد قرطبـة وقـد أفتتـح للصلاة بعد هذه القرون العدة من تعطيل الصلاة فيه وأعتقد أنهم بدأوا الطريق لتحقيق هذا الهدف .

ومن المألوف إذا حضرت صلاة الجمعة فى مسجد لندن أن ترى أعداداً منهم يشاركون فى الصلاة .

وأصبحت قريتهم مقصـد كثـير ين من رجـال الدعوة والمشتغلين بالعمل الإسلامى ، فقلما يمـر أحـدهم بلنـدن إلا ويتطلع لرؤ ية هذا النموذج ويقدم لهم المعونات المادية والأدبية وأعتقـد أن رابطـة العـالم الإسـلامى تستضيف عدداً منهم فى موسم الحج من كل عام ، ولهم مجلة فصلية باسم الإسلام تصدر باللغة الإنجليزية .

ومن ميـزاتهم أنهم كلما وجهـوا لأمـر من الأمـور وعـرفـوا أنـه من سنن الإسلام أخذوا أنفسهم به وحرصوا عليه .

بقى ان تعرف أن الشخص الذى بدأ هذا التحرك كاتب ومؤلـف مسرحى كان يكتب للإذاعـة والتليفـزيـون من قبل ، فلما اعتنق الإسلام وقف قلمه على الإسلام والدعوة إليه ، ولست أنسى يوماً التقيت فيه بمدير المركز الإسلامى فى وشنطن الدكتور محمد عبد الرؤ وف فإذا به يخبرنى عن مقـال فى جريـدة (الهـيرالـد تريبـون) الأمـريكية عن الإسلام كتبه رجل يسمى . إيان دلاس ، ويبدى إعجابه الشديد بما فى المقال من معلومات قيمة وصحيحة عن الإسلام ثم يعلق قائلاً : إننا حينما نبعث لأصحاب هذه الصحف لا ينشرون لنا ولكن حينما يأتيهم اسم غربى ينشـرون له بدون تأخـير وكـانت سعادته وسعادتى بالغة حينما أخبرته أن إيان دلاس هذا هو عبد القادر المسلم الذى نتحدث عنه .

وهكـذا أصبـح المجتمـع الإسـلامى فى انجلترا يتكون **أولا** من المهاجرين من البلاد الإسـلاميـة عربيـة وغـير عربيـة ، وقد شهدت السنوات الأخيرة استقرار أعداد ضخمة من المثقفين من البلاد العربية فى انجلترا من أطباء ومهندسين وعلماء ورجال أعمال وسواهم .

وثانيا من أهل البلاد الأصليين الذين أقبلوا على اعتناق الإسلام بكثرة ملحوظة .

احتمال المشاق فى سبيل الرغائب

قال عمر بن عبد العزيز :

إن لى نفسا تواقة ، وإن نفسى تاقت إلى أشرف منازل الدنيا ، فلما بلغته وجدتها تتوق إلى أشرف منازل الآخرة .

«ولا يخفى أن عمر بن عبد العزيز هذا تولى الخلافة فكان أعدل خلفاء بنى أمية» .

وقال حكيم :

لا ينبغى للعاقل أن يكون إلا فى إحدى منزلتين : إما فى الغاية من طلب الدنيا ، وإما فى الغاية من تركها . ولا ينبغى له أن يرى إلا فى مكانين : إما مع الملوك مكرما ، وإما مع العباد متبتلا . ولا يعد الغرم غرما إذا ما ساق غنما ، ولا الغنم غنما إذا ساق غرما .

وقال كعب بن زهير :

وليس لمن لم يركب الهول بغية وليس لرحل حطه الله حامل
إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخفا أصبت حليما أو اصابك جاهل


سيرة
و
تاريخ



الملك عبد العزيز آل سعود
بين
نصره لله ونصر الله له

للشيخ إبراهيم محمد حسن الجمل
المدرس بالمعهد الثانوى التابع للجامعة

إن المتتبع لسيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود رحمهم الله ليلمس أن توفيق الله العلى القدير كان دائما يلازمه، ولم يكن نصره سبحانه وتعالى، وتأييده له، وعنايته به، إلا لنشره دعوته، ولتثبيت عقيدته، وأى دعوة أحب إلى الله جل وعلا، وإلى رسوله ﷺ من إعلاء شأن الدين والتمسك بكتابه الكريم، والسنة الشريفة، وأى عقيدة أسمى من عقيدة التوحيد، التى سار عليها الملك عبد العزيز فى كل حياته، حتى أفناها فى سبيل ذلك .

قال رحمه الله :

«إننى والله لا أحب إلا من أحب الله حبا خالصا من الشرك والبدع، وأنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمنى أن أكون ملكا أو فقيراً» .

وقال أيضا :

«والله ثم والله إنى لأفضل أن أكون على رأس جبل، آكل من عشب الأرض وأعبد الله وحده من أن أكون ملكا على سائر الدنيا وما فيها»[1].

ونصر الله وتأييده لا يكونان لذات شخص، ولا لإظهار إنسان؛ فكم من قادة وأبطال ملكوا كل مقومات الحرب، والقتال من قوة وعتاد، وشجاعة وبسالة، لم تلحظهم عناية الله؛ لأن ما قاموا به لم يكن لنصرة الله، ولا لتثبيت كلمته، ولا للدعوة إلى دينه، وإنما لإشباع رغبة، ولإظهار شخصية، ولتحقيق هدف دنيوى، فارتدت إليهم سهامهم فخارت قواهم من حيث لا يدرون، ولا يعرفون لذلك سببا، ولم يعرفوا الاستقرار، والاطمئنان والهدوء، ومنوا بالهزيمة والخذلان :

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

(١) مع عاهل الجزيرة العربية : لعباس محمود العقاد: (ص: ١٩) «من أحاديث وأقوال الملك عبد العزيز آل سعود» .

فنصر الله وعنايته إذا لاحظت إنسانا أو مجتمعا، فليس فى حاجة إلى القوة الزائدة، وليس فى حاجة إلى كثرة العدد والمعدات، وإنما هو فى حاجة إلى إيمان عميق، وقرب منه سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع، والإخلاص لوجهه الكريم، ثم بعد ذلك الاستعداد والأخذ بالأسباب .

وما أرى الملك عبد العزيز إلا قد أخذ بكل هذه الأسباب، فكم من موقعة دخلها، ومن معركة خاضها، وكان العدو الذى أمامه اكثر عدة، وسلاحا ونفرا، ولكن نصر الله كان معه، فتنهى المعارك بالتأييد والغلبة. ﴿**وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم**﴾ (الأنفال: ١٠)

ولعلنا نذكر دائما تلك الحفنة من التراب التى أخذها الرسول ﷺ من الأرض، ثم رمى بها القوم، حينما أراد الهجرة من مكة إلى المدينة، وقد تجمعوا حول بيته طوال الليل، ينتظرون خروجه لقتله، وقد كانوا مدججين بالسلاح، فى جمع غفير من مشركى أهل مكة، تجمعوا على الباطل، وعلى إطفاء كلمة الله، فلم تغن عنهم أعدادهم، ولا وفرة ما كان معهم من وسائل القوة، وكأنما حفنة التراب هذه، كانت محملة بمادة كيماوية، تنشر سحابة ضبابية، تحجب الرؤية عندما تتدخل المقادير، فتمنع النور أن يصل إلى الأبصار.

﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾ (يس: ٩).

ولحفنة التراب موقعة أخرى، ورمية ثانية، وكأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يؤكد لنا أن نصره لعباده المخلصين لا يكون بما يقدمون، ويستطيعون من قوة، ومن رباط الخيل وحده، وإنما النصر والفوز من عنده سبحانه وتعالى؛ فنحن ما نزال نقرأ ونسمع ونلتمس العلل والأسباب، ونذكر يوم بدر والرسول الأعظم ﷺ يدعو الله، ويتضرع إليه، ثم يسجد لربه جل وعلا، ويطيل السجود، ثم يرفع بصره إلى السماء، وقد رمى ﷺ القوم بحفنة من التراب وقال :

«شاهت الوجوه»[1]

ثم يستمر فى تضرعه ومناجاته قائلا :

«**اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة، لا تُعْبد فى الأرض بعد**»[2].

---

(١) حياة محمد : لهيكل : (ص: ٢٧٩) .
(٢) سيرة الرسول ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب .

ولقد مَنّ الله على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ بالنصر على أعدائه، مع الفارق الكبير فى العتاد والعدة، فكان هذا تأييدا منه سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ الذى يدعو إلى سبيله، وينشر دعوته، ويجاهد لتكون كلمة الله هى العليا.

يقـــول عز من قائل:

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومـا رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾ (الأنفال: ١٧).

﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين. وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾. (الأنفال: ٩-١٠)

﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان﴾. (الأنفال: ١٣)

وليست عناية الله، ونصره سبحانه وتعالى، خاصَيْن بزمن الرسول ﷺ بل هما لكل زمان ومكان، ولكل من يدعو إلى الله، وإلى كل من تمسك بدينه القويم، وشريعته الغراء إلى يوم القيامة: **﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾** (المجادلة: ٢٢).

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون. نزلا من غفور رحيم. ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾. (فصلت: ٣٠-٣٣).

وإن الملائكة على استعداد للقتال فى صفوف الداعين إلى الله المخلصين لدعوته، والمتمسكين بشريعته، إلى أن تقوم الساعة، إذا استغاث بالله داع إلى سبيله، ومتبع لشريعته، ومنفذ لأحكام كتابه، وسنة نبيه.

﴿سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾. (الأحزاب: ٦٢).

ولقد قال الذين رأوا الملك عبد العزيز، عقب كل معركة ينصره الله فيها، أو عندما يأتيه خبر نصر، وتأييد له من الله فى مكان ما، إنه كان يخرّ ساجدا لله، شاكراً له حسن

تأييده، ورعايته له بما أولاه من نعمة الانتصار، وكثيرا ما كانت دموع الفضل والعرفان بما مَنّ الله عليه مِن كرمه، تنهمر من عينيه رحمه الله .

لا يصلح كل شخص لأن يقوم بمهمة فينجح فى أدائها، ويوفيها حقها، إلا إذا كان خليقا بأن يتحمل متاعبها وآلامها، ثم إنه لا يستطيع أن يتحمل أعباءها إلا إذا كان عنده قدرة فائقة، يتفوق بها على أقرانه والمناوئين له .

لقد أعطى الله الإمام عبد العزيز آل سعود العقل الراجح والذهن الثاقب، وهيأه لدعوته سبحانه وتعالى، فعمل على نشر التوحيد وإقامة الحدود، ودعا إلى أخوة الإسلام وإلى الجهاد فى سبيل الله، فاستطاع أن يوحد البلاد تحت راية الإسلام، وأن يجمع المسلمين على التضحية والفداء، حتى استقرت الأمور فى هذه البلاد .

قال الملك فيصل رحمه الله :

وما أحسب أن شبه الجزيرة العربية رأت من وحدها، ولمّ شتاتها إلا فى الزمان الأول من تاريخنا الإسلامى، ومن أعاد إليها الأمن والنظام تحت راية الإسلام الخالدة، فنفذ شريعته الغراء، وأقام حدوده وقوانينه فيها، وكانت من قبل بقاعاً تسودها الفوضى، ويهددها الخوف فى طرقاتها وأرجائها، وتتألف من مقاطعات، وإمارات شتى، فى مساحات واسعة إلا الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله[1].

لقد حمل مشعل النور والهداية التى دعا إليها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وهى الدعوة الصحيحة التى كان عليها الأوائل من الصحابة والتابعين ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ والتى دعا إليها الرسول الأمين ﷺ ثم حمّلها الشيخ لآل سعود، وجعل منهم القادة والأئمة، فأخلصوا لله سبحانه وتعالى، وبنوا المُلك له جل وعلا، وجاهدوا، وصابروا، وصبروا، فكانوا بين الجهاد المستميت، والتمسك بعقيدة التوحيد، والتفانى فى سبيلها، وثبتوا أمام الطغاة، والجاهلين بأمر الدين الصحيح، والمؤلبين عليهم الدول والأمصار، فلم يهنوا، ولم يضعفوا، واستشهدوا فى ساحات الجهاد هنا وهناك، بعيدا عن بلادهم وأوطانهم، وصمدوا للفتن والخلافات التى كثيرا ما أثارها الأعداء والحاقدون .

وقفوا أمام الصليبية العالمية التى يقض مضجعَها دعوةُ الإسلام الصحيحة، والتى يرون فيها توحيد صفوف المسلمين، وتأليفَ قلوبهم، ووعيا صادقا لدينهم .

---

(١) من مقال : للملك فيصل ـ رحمه الله ـ شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز: لخير الدين الزركلى (ج: ١ : ص: ٢٢) .

قال الـدكتـور/ مصطفى الحفنـاوى : يوضـح لنا دور فرنسا ، التى كانت تتزعم دائما الدور الصليبى فى الشرق ، والتى كانت تتولى دور إضعاف الدين الصحيح ، حتى لا يتحد المسلمـون ، فهى ترى فى اتحـادهم على الطـريق المستقيم قوه ، لا يمكن لأى قوة دنيـوية أن تقف أمامها ، فبدأت فى محاولة تأليب الباب العالى بتركيا على دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله .

قال الدكتور / الحفنـــاوى :

«عثـرت أثنـاء بحثى بملفات وزارة الخارجية الفرنسية ، حين كنت مستشارا صحفيا بها ، على مكـاتبـات متبـادلـة بين الـوزارة وسفـرائهـا فى الشرق أثناء الحملة الفرنسية على مصر ، وعلى وثائق تلقى الضوء على شدة اهتمام فرنسا بل أوربا جميعها بأمر محمد بن عبد الوهاب داعية الجزيرة العربية ، ومحاولة تأليب الباب العالى عليه ، للتقليل من شأن دعوته ، التى كان يقـوم بها حينئـذ لجمـع العالم الإسلامى ، وتكتله مرة ثانية ضد الحروب الصليبية ، التى بدأت تشنها بزعامة فرنسا لغزو الشرق الإسلامى مبتدئة بمصر»[1].

لقد استجاب لهم الباب العالى بتركيا ، من غير وعى أو تفكير ، فأرسلت الجيوش تلو الجيـوش ، واجتمعت الفئـة الضـالـة والجـاهلة بأمـر هذا الـدين الحنيف ، فقتلت وخربت ، وأفسـدت ، لكن الله ردهم مدحـورين منهـزمـين ، وبقيت كلمـة الله تسرى فى طريق النور ، تتحـدى الظـلام والانقسـامـات والخـلافـات ، حتى حمل لواءها الرجل الصالح الإمام عبد الـرحمن بن فيصـل آل سعـود ـ رحمهـما الله ـ فقـد جاهد وكافح وسط فتن وخلافات ، وابتلاء واختبـار ، ثم دفعـه رحمـه الله إلى ابنه الشاب عبد العزيز ، الذى كان على موعد مع القدر ، كى ينفذ أمر الله سبحانه وتعالى .

كانت مقومات الملك عبد العزيز آل سعود فريدة ، فقد خصه الله بصفات نادرة ، حتى يستطيع أن يقوم بدوره فيجاهد ، ويكافح لتكون كلمة الله هى العليا ، كما أرادها الله ، لا كما يريـدهـا أصحـاب الغـايـات ، للوصـول بها إلى حكم ، ليحققـوا من ورائهـا ما يريـدون ، ويستحلوا به سلطانا ، يجدون فيه متعة ، ورغبات دنيوية فانية .

هذه الصفات منها ماهى خِلْقِيّةٍ ، ومنها ما هى خُلُقيّة :

أمـا الصفـات الخِلْقيّـة : فلقـد كان ـ رحمه الله ـ طويلا بائن الطول ، قالوا عنه : يبلغ سته أقـدام وأربع بوصات ، مفتول الساعد ، شديد العصب ، متين البناء ، ضخم الجسم ،

---

(١) كتاب آل سعود : لأحمد على : (٤١ ، ٤٢) .

رأسه كبير يناسب هذا البناء الشامخ، خفيف العارضين، عريض المنكبين، رحب الذراع؛ ولهذا الجسم من القدرة الفائقة على التحمل الشيء الكثير، فقد بلغ من القوة الجسمية بلغا عظيما .

قال فيه صاحب كتاب صقر الجزيرة :

إذا وقف المرء تجاهه، شعر بضآلته تجاه جسمه الصلب الوثيق الفارع، وإذا نظر إلى وجهه، زادته هيبة غير راعبة عن التحديق فيه، فيختلس النظر إليه، يتملى محياه الباسم، وطلعته القوية البارزة، وتفيض مهابته على مجلسه، فلا يطيق أحد الكلام إلا إذا مدّ له حبل تواضعه وسماحته، بل إن بعض من يحضرون للسلام عليه، يفاجأون بمهابته، فما يستطيعون النطق بحرف، فيبسم لهم، ويهدىء منهم، ويستدرجهم إلى البوح بما فى أنفسهم، ويدنو إليهم، ويسألهم عن حالهم، حتى يتكلموا، ويشعروا كأنهم بمحضر صديق أو أب رحيم، ويفارقونه، وما يزال فى نفوسهم رنين صوته العذب، وذكريات عن تواضعه، وسماحة نفسه، ورجاحة عقله، وصفاء قلبه، وحسن نيته، وطيب سريرته[1].
وتلك ـ لعمرى ـ صفات العبقرية .

ولقد قالوا فى تحمل هذا الجسم الشامخ ما وقع فى وقعة «كنزان» : فقد هاجمه الأعداء فى الليل، وانهزم جنده، فرجع معهم، وفى أثناء سيره لحق به اثنان من خدم أخيه سعد، كانا مرافقين لأخيه، فسأل عن أخيه فقيل : قتل !!

فقال : سعد لم يقتل . . . أصيب، وترك . . . وأنا يجب أن أرجع إليه .

فقالوا له :

إن الأعداء كانوا قابضين على زمام فرسه وقتلوه . . .

ولكنه عاد، ولما عرف الأعداء شخصية سعد، قالوا : عبد العزيز لن يترك سعدا، وسوف يعود إليه، فتركوه ملقى على أرض المعركة، وكمنوا حواليه، ينتظرون قدوم عبد العزيز .

فلما رأى بياض سعد فى الليل، نزل عن فرسه، وحمله، وصار يقبله، فأطلقوا النار عليه، فأصاب الرصاص حزامه المملوء بالرصاص حول وسطه، فانفجرت أربع أو خمس رصاصات منها، وشقت بطنه، شقا تدلت منه أمعاؤه، فأسرع إلى ربطها بعمامته، ولما عاد إلى خيمته طلب قماشا وشاشا، ولما فك الحزام، وجد أن الجرح مفتوح حوالى ١٥

---

(١) صقر الجزيرة : لأحمد عبد الغفار عطار: (٣: ٥٠٣) .

سنتيمترا، وكان الشحم على الامعاء، فأعيدت الامعاء والشحم، وربط الشاش على الإصابة، ولو كان جسمه عاديا ما تحمل كل هذه الطلقات، ولأثرت فيه تأثيرا كبيرا، ولكنه تحمل لقوته، ومناعة جسمه، وكان كلما سئل عما أصابه أجاب قائلا: إن الأصابة بسيطة فى جلد الفخذ، حتى لا يضعف من الروح المعنوية فى جنده .

ولقد قالوا : إنه خطب فى تلك الليلة إمرأة من الأحساء وتزوج. . . ولم يكن ذلك رغبة فى الزواج، ولكن لإيهام أعوانه أن إصابته خفيفة[1].

وقالوا : إنه لكز جملا له فى بعض غزواته - وهو فى سن العشرين - فركض الجمل، ووقع رحمه الله على الأرض فى الزحام، فوطئته جمال رجاله، ولكنه استطاع أن يركب، ويحارب فى اليوم الثانى عدوا جبارا يفوقه أضعافا فى الرجال والعتاد .

وقفز مرة على ظهر فرس له، وكان ثائرا غاضبا، فأثر فيه تأثيرا كبيرا، ولقد أعطاه الله ساعدين قويين لا يكلان، زادهما المران قوة، فقد تدوم المعركة ساعات متواليات، ويده فيها تتحرك، فتلقى بالأعداء، تصيب هذا، وتعجز ذاك، ويفر من أمامه الجبان والشجاع على السواء، وهو بطول قامته ماشيا، أو راكبا .

ومما تفرد به الملك عبد العزيز، وما لا نسمع بمثله إلا عن قليل ممن أعطوا قوة الجسم، وتحمله فوق المعتاد، أنه لا يحتاج للنوم كما يظهر كثيرا، ولا ينام إلا حين لا يرى أحدا غيره ساهرا، وإذا نام، فلا ينام إلا ثلاث أو أربع ساعات، ولو خير لجلس الليل كله، يتحدث إلى أحد رجاله، من الذين يروق له حديثهم، وتلذ له عشرتهم .

وتلك - لعمرى - صفات العبقرية .

أما الصفات الخُلقية : فقد تجمعت فيه كل الصفات الكريمة، التى تعارف عليها الناس، فنراها متأصلة فيه، ومكتملة بلا حدود، ولقد برّز فيها، وفاق الخاصة والعامة، وأصبحت وكأنها عَلَمٌ عليه وحده؛ لأنها نابعة من وجدانه وقلبه، ومن ذكائه النادر، لقد كان فريدا فى كل ما كان يقوم به، وقد استفاد مما لاقاه فى صغره، وقد ترك عاصمة ملك آبائه وأجداده، واتجه إلى الصحراء القاتلة متحملا شظف العيش، وقسوة الأيام، يتنقل من مكان إلى مكان، إلى أن وصل إلى الكويت، وهناك كانت العبرة والعظة .

ولقد ترك فيه أعظم الأثر الروح الدينية العالية، والعقيدة الصافية الصحيحة، التى آلت إلى الإمام الوالد - رحمه الله - وهى التى توارثها عن الأجداد، وعض عليها بالنواجذ،

---

(١) شبه الجزيرة العربية : (ج: ٣ : ص:٩٢٣) .

واسلمهـا إلى ابنـه عبـد العزيز الذى توسم فيه الخير، فعاهد الله على الحفاظ عليها، وبناء الدولة من أجلها، وظلت تنبع من كوامنه، وقلبه وعقله، ولم يفضل عليها أبدا غيرها .

«والله ثم والله إن العجـوز القـابعـة فى وكـرهـا، والتى لا تملك من الثياب إلا الأطمار البـاليـة، وهى تعبـد الله وحـده عبـادة خالصـة، هى أحب إلى قلبى من أى إنسـان بلغ من العظمـة والشأن ما بلغ، إذا كان لا يؤمن بالله إيـمانـا صادقـا خالصـا، ولا يعمـل بما جاء فى كتاب الله»[1].

من هذا المنبع الأصيل، ومن هذا البيت العريق، ومن الدين القويم، استمد الإمام عبد العزيز كل صفاته، فجاءت نموذجا لا يبارى .

كان رحمــه الله كريـما، وهـى أول صفــة يجب أن يتـحلى بها أصحــاب المبــادىء والقيـادات، وإذا تحلى المـرء بهذه الصفـة، فقد هانت بعدها كل الصفات؛ لأن الكرم أول انطـلاقـة للإنسـان ليمحو بها الحرص على الحياة، ويقضى على الاستماته فى سبيلها، وإذا هان المال فى عين الإنسان، فليس فى الدنيا عزيز يقلل من همته .

لقـد كان الإمـام كريـما إلى حد الإسـراف فى الجود والعطاء، فهو سمح لا قيمة للمال عنده ما دام ينفق فى سبيل الله، وفى أوجه الخير، وإنه ليصطحب معه دائما فى سيارته بِدَراً من الريالات، يوزعها على الفقراء فى طريقه فى ذهابه إلى مقر عمله الرسمى، وفى عودته .

أعطى ذات مرة فقــيرا صرة من المـال، فأخـبره السـائق أنهـا صرة من الجنيهـات لا الريالات الفضية، وبها ٣٠٠ جنيه ذهبى، فنادى السائل، ولما أقبل قال له رحمه الله :

«أردت أن أهبــك ريــالات، ومـا نويت إلا هذا، ولكن الله هو الـذى وهبـك هذا الذهب، فاشكر الله وحده، واشتر بها أخذت نخيلا، واعمل ولا تكسل»[2].

ولقد عتب عليه أحد رجاله يوما، وسأله أن يفكر بالإقتصاد قليلا، فقال له :

«وهـل أغنت عن عبـد الحميد ملايينه، إن أجدادى لم يحملوا فى خزائنهم فلسا، وأنا أسير سيرتهم، وأفعل ما فعلوا» .

قال له يوما بعض النـــاس : **«إنك تعطى كثيرا ! ! فلو اقتصدت ! !»** .

فقـــــال :

«إن الله عودنى عادة أن يتفضل علىّ وعودْتُ عباده عادة أن أوسع عليهم، فأخاف أن

---

(١) مع عاهل الجزيرة العربية : لعباس العقاد : (ص: ٢٠) .

(٢) مع عاهل الجزيرة العربية : (٢٩) .

أقطع عادتى، فيقطع الله عادته عنى، وأنا لن أبنى بها قصرا، ولن أشترى بها مزرعة. كل ما يرد أنفقه على المسلمين؛ وهذا حقِ لهم»[1].

وسمعت من أحد كبار العلماء الأفاضل، وهو واحد من ثلاثة، أتوا إلى الملك عبد العزيز، ليعرضوا عليه مشروع نشر بعض كتب السلف، من التفسير والحديث والمذهب الحنبلى والتاريخ الإسلامى، وكان ـ رحمه الله ـ يعرف جهدهم، وخبرتهم، مما اطلع عليه من تحقيق وتأليف لهم، وحدث فى أثناء وجودهم معه أن جاء أول مبلغ من البترول، وكان مبلغا لا يستهان به فى ذلك الوقت، فقسمه ثلاثا، وأعطاهم الثلث قائلا :

«**انشروا ما استطعتم من كتب السلف**» .

إن كرمه وجوده كان مضرب المثل. فقد روى الذين أرخوا لسيرة جلالته: أنه كان جوادا سمحا لين العريكة سريع النجدة والنخوة، فقد كان يرى فى المال أنه حطام الدنيا، والحطام فان والروح باق خالد .

ولقد نصحه أصدقاؤه بالكف عن البذل والسخاء والكرم، فقال له :

«**ما أغنت قارون خزائنه**» .

والمال كالعلم يربو بالانفاق، وأى إرباء خير من أن يمحو به عن المحتاجين آلامهم، ويأسو كلومهم.[2].

وأما الشجاعة فهى صفة متأصلة فى عبد العزيز منذ صغره، وهى فائقة فيه، فلم ير له نظير فى إقدامه على المخاطر، وغزواته التى غزاها دليل قوى على شجاعته، فليس فى نجد والأحساء على سعة مساحتها أرض لم يقاتل عليها .

وهذه الشجاعة البالغة لازمته منذ أن كان صبيا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وقد أخذ الغضب منه مأخذه، وهو يرى الأعداء يحيطون بالرياض بلده الحبيب، وعاصمة ملك الآباء والأجداد، وقد أخذ الحماس منه مأخذه، ورأى رجلا من الأعداء، قد قُتِلَ فرسه، وراح يحمل على عاتقه كل ما خف حمله، طالبا النجاة، ولكن عبد العزيز الصبى الشجاع الغيور على وطنه، ومسقط رأسه، وثب على الرجل وضربه بسيفه ضربة أودت بحياته.[3].

---

(١) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز : (ج: ٣: ص: ٩١٩) .

(٢) صقر الجزيرة : (ج: ٣: ص: ٥١٣) .

(٣) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز : (ج: ١: ص: ٥٩) .

وينقل عنه رحمـــه الله :

أنه أحسن استعمال البندقية، وركوب الخيل كأحد الفرسان، وهو فى سن الصبا، وأنه كان فى السابعة حاد الطبع، دائم الحركة، لا يستطيع الاستقرار فى مكان واحد فترة طويلة .

ومواقفه البطولية كثيرة، ولا يخلو يوما من مواقف مشهورة نذكر منها موقفه فى معركة «الحـريق»[1] فقـد هاجمهـا ـ رحمـه الله ـ من بطن الوادى، وكان أهل الحريق متمنعين بأعلى الجبـل، وعنـدما هاجمهم ومعه جيشه، أمطروهم بوابل من الرصاص من أعلى الجبل، ومن جوانبه، ففر جيش الملك عبد العزيز، وكان هو فى المؤخرة يمشى على رجليه، ومعه سائسه يقود فرسه، وعندما قابله جيشه منهزما، أخذ يبث فيهم النخوة، ولكن القوم لم يلتفتوا إليه، فما كان منه إلا أن سلّ سيفه، وضرب عضد فرسه، وقطعه .

وقال : « . . . **لا تقولوا ما رأينا عبد العزيز، فالذى يريد أهله فهم أمامه، والذى يريد طريقى، فأنا هاجم وحدى**» .

هجم عليهم وحـده، مخالفـا بذلـك قومـه، فتوقفوا وصاروا ينظرون إليه، فلما وجدوه سائـراً وحـده، رُدّت إليهم روحهم المعنـويـة، وهجموا معه، ولم يتوقفوا إلاّ فى داخل البلد، وهم محتلوه[2].

ورغم شجاعته الفريدة التى كان نسيج وحدها، وانتصاراته المتوالية، فإنه لم يركن إلى قوته، وإنما كان دائما يركن إلى إيمانه القوى، فهو يؤمن بالله، ويؤمن بأن له أجلا لا يتقدم ولا يتأخر، وكان حينما ينتهى من معركة بالنصر، يدخل خيمته ويسجد لله، ويطيل السجود شاكراً لله على تفضله عليه بالرعاية والتأييد .

كان رحمـه الله لا يميـل ـ رغم شجـاعتـه ـ إلى سفـك الـدمـاء، وكـان يتجنب بقدر الإمكان إشعال الحرب، ويدفع فى سبيل تجنبها أى ثمن لدرجة أن المحيطين به كانوا يشكون ـ بعض الأحيان ـ فى شجاعته .

لقـد كان يميـل إلى الأنـاة والـرويـة، حتى قال له بعض قواده، وقـد طال حصارهم لجدة، وهو يتعجل الهجوم :

«سوف نتهم بالجبن ! !» .

فاجـــابه : «**الرأى الرأى ! الأناة . . . الأناة ! !**» .

---

(١) وقعة بين جبلين .

(٢) مقال للأمير عبد الله الفيصل حفيد الملك عبد العزيز : «شبه الجزيرة» : (ج : ٣ : ص : ٩٢٢) .

أما إذا كان لابد من الحرب ، فهو الفارس المغوار، الذى لا يشق له غبار، ولكن أعظم من الشجاعة أن يتملك الإنسان نفسه فلا يتهور، فما أكثر الشجعان الذين أدت بهم شجاعتهم إلى ما لا تحمد عقباه ، لكن الملك عبد العزيز كان أملك لها ، ولا يدعها تكون عليه ، بل دائما كانت له .

كثيرا ما سنحت الفرصة لينتقم من أعدائه ، وكثيرا ما أُتِيَ له بالجلادين والسفاحين ، والدم يتقطر من سيوفهم ، بل وكثيرا ما حاصر المعتدين فى أماكنهم ، وكان فى إمكانه أن يشعل فيهم النار جزاء صنيعهم ، ولكنه كان يقدر على أن يتحكم فى نفسه ، وأن يكظم غيظه ، وأن يعفو عنهم ، بل وأن ينزلهم منزلة أولاده وأهله ، وهو يحمد الله على أن أعانه على وجهة الخير التى جبله عليها .

لقد كان بين الملك عبد العزيز والحكام فى تركيا عداء مستحكم فى ذلك الوقت ، وإبان الحرب العالمية الأولى انتهز الانجليز الفرصة فأشاروا على الملك بأن يقوم بعمل ضد تركيا وهى مشغولة بالحرب ، فأبى أن ينتهز هذا الموقف لصالحه ، فدل ذلك على الحزم والصراحة والنخوة والعفو .

وهذا تفصيل ما حدث .

فلقد كان الانجليز يؤلبون العرب على تركيا ، التى انضمت إلى المانيا فى الحرب العالمية الأولى ، وحاربت الانجليز، وبالرغم من أن تركيا لا تزال يتساقط من يديها دم الجريمة فى حق آل سعود وعبد العزيز، فقد حضر مبعوث الانجليز السير يرسى كوكس ، ودار بينه وبين عبد العزيز الحديث التالى :

قال السير :

أتذكر يا طويل العمر ما قاسيت من نجدات الترك لعدوك ابن الرشيد؟

قال :

ما حان لى أن أنسى !! .

قال السير :

ألا ترى ما يراه الناس من تحفز العراق والشام والحجاز للثورة على الترك؟ .

قال :

أرى !! .

قال السير :

ألا تكون رايتهم رايتك ، ولك بعد ذلك ملك العرب ، وإن شئت فخلافة الإسلام؟ .

قال رحمه الله :

لا !! .

قال السير :

ألا تنتهز الفرصة فتنتقم؟ .

قال :

لا . . . لن يقول الناس: ثار عبد العزيز على دولة تتسمى بدولة الخلافة فى عهد محنتها[1].

وذلك ـ لعمرى ـ أروع ما أعطى الله من جمال التخلق بخلق الدين الحنيف .

إن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أول من رسم السياسة الواضحة الخالية من المداهنة والمراوغة، وإلْبَاس الباطل ملابس الحق، والقول «لا» حينما يجب أن يقول «نعم» والقول «نعم» حينما يجب أن يقول «لا» .

كلا لم يحدث منه ذلك أبدا، بل كان صادقا فى أحلك الأيام التى لوداهن أوراوغ لقضى على كثير من المشاكل، لكنه لم ينحرف أو يترك جانب الصدق الواضح والخالى من كل ما يشوبه .

كان يكره المراءاة والكذب والخداع، فإذا ابتلى بمن يتحلون بهذه الصفات ظل بهم حتى يجبروا على أن يظهروا ما أخفوه، ويُعْرَفوا على حقيقتهم، ولذلك فإن المولى سبحانه وتعالى كان دائما ناصره ومؤيده عليهم .

وهذا ما أجبر كل من اتصل به من الحكام والملوك على احترامه وتقديره، ولقد كان له قدرة عجيبة فى عمق تفهمه للأمور، ودقة إجابته عما يُسْأَل، وإقناع من أمامه بوجهة نظره، حتى يضطره إلى التسليم له بما يريد .

ولقد شهد له كل من رأوه وجالسوه، من أهل الخبرة والمعرفة، سواء أكانوا من العرب الأذكياء، أم من غيرهم ممن لهم دراية بأخلاق الرجال .

قال الدكتور : فون وايزل الكاتب النمساوى، وقد خبر الملك عبد العزيز وجالسه فكتب الكثير عنه، ومما قاله :

«حسبى أن أقول إنى معجب به، فقد خيّل إلىّ وأنا أحادثه أنى أمام بسمرك منشىء الوحدة الألمانية. ولا أظنكم تخالون أنى أبالغ فى القول» .

---

(١) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز : (ج: ١ : ص: ٢٦) .

لقد عاش الملك عبد العزيز فى الصحراء، وتعلم فى البيئة والبادية، وعاشر الأحداث الجسام، لكنه كان يزن كل ما عرفه بميزان ما تعلمه من الشريعة الغراء، واخضاع كل الحوادث لما عرف وتعلم من مدرسة محمد بن عبد الله ﷺ ولم يذهب إلى الشرق أو الغرب، لكنه أدهش الناس بتفكيره وآرائه .

قال الدكتور • فون :

«وقد اتضح لى أن ابن سعود يشبه الساسة الانجليز كثيرا فى سياسته وخططه. فهو مثلهم لا يضيع الوقت بإعداد النظريات ورسمها. لكنه يصبر متحينا الفرصة إلى أن تسنح فينتهزها» .

وقال أيضا :

«وفى ابن سعود ميزة أخرى هى أنه كريم صادق، وحادثته مرتين فى شئون مختلفة، كان بعضها دقيقا جدا، فلم الحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق» .

«نعم كان سياسيا أحيانا فى أجوبته، فلا يقول كل ما يعرفه، ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة» .

ويكمل الرجل الألمانى حديثه فيقول :

«والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع، فإنى لما قابلت القناصل فى جدة. قالوا لى : إذا قال لك ابن سعود شيئا، فثق أنه يقول لك الحقيقة التى لا تشوبها شائبة[1].

والفضل ما شهد به الأعداء .

أما الإمام ـ رحمه الله ـ فقد قال، وعمل بما قال، وكان يعرف جيدا أن مقت الله وغضبه على المؤمن أن يقول ما لا يفعل، وكان يعى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. (الصف : ٢-٣) .

قال رحمه الله :

«أنا ترعرعت فى البادية، فلا أعرف آداب ـ تنظيم ـ الكلام وتزويقه، ولكنى أعرف الحقيقة عارية من كل تزويق» .

(١) شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز : (ج : ١ : ص : ٣٠٣) .

«**أنا لست من رجال القول الذين يرمون القول بغير حساب، فأنا رجل عمل إذا قلت فعلت، وعيب عليّ فى دينى وشرفى أن أقول قولا لا أتبعه بالعمل، وهذا شىء ما اعتدت عليه ولا احب أن اتعوده أبدا**»[1].

لقد أجمع كل الذين عرفوا الملك عبد العزيز، سواء أكانوا من الأصدقاء أم من غيرهم، على ما يميز به من صفات، وعلى ما وهبه الله مما ميزه به عن غيره، والتى أثارت الإعجاب والدهشه، ولعل المستر تشارلز رجل الاقتصاد الأمريكى، الذى ما أظنه إلا موفدا من قبل الإدارة الامريكية لمهمة، أرسل من أجلها رسالة إلى الرئيس الأمريكى المستر فرانكلين روزفلت فى عام ١٣٥٨هـ، وهذه الرسالة نضيفها إلى الكثير ممن قابلوا الملك عبد العزيز وكتبوا عنه، وبالرغم من قصر المدة التى عاشها تشارلز فى المملكة إلا أنه استطاع أن يعى كل الوعى هذه الشخصية الفذة :

يقول مستر تشارلز :

«إن الملك عبد العزيز شخصية إسلامية كبرى يعمل من أجل دينه وعقيدته، وهو أعظم من ظهر فى جزيرة العرب منذ عهد الرسول ﷺ . . . وإنه رجل إدارى قدير فى إدارة شئون دولته وبلاده، وقد سار على نهج السلف الصالح، وطبق تعاليم الشريعة الإسلامية . . .

ولقد استطاع استرداد حكم نجد، موطنه الأصلى، وهو فى سن يقارب التاسعة عشرة سنة، وبعدها أخذ يضم باقى أجزاء الجزيرة العربية بشكل تدريجى، وفى فترات زمنية متلاحقة، حتى أصبح بعد ذلك أقوى قوة فى الجزيرة العربية .

إنه رجل حليم، ويعتمد فى معاملاته على الحلم، وما تبعه من صفات، وبالحلم والأخلاق كان يدير شئون بلاده، وكانت هذه الصفات هى نهجه فى معاملاته مع أبناء شعبه .

ثم يكمل رسالته فيقول :

«إننى التقيت ببعض خصوم الملك السابقين، فوجدتهم الآن من أكبر أعوانه، ومن أكبر المطيعين، والمؤيدين له، ويعود هذا إلى معاملة الحلم، وهى النهج والأسلوب الذى كان يعامل به خصومه بعد انهزامهم أو استسلامهم» .

---

(١) المصحف والسيف : (ص: ١١٠) .

«إن الملك كان يقـول : إن هدفى هو مصـالحتهم والتـوافق معهم ، وكلى أمـل فى أن يعيشوا فى جو من السعادة والاطمئنان»[1] . . .

ليس من السهـل أن تلتمس الثنـاء على إنسـان من مسئول أوربى أو أمريكى إلا إذا كان يستحق هذا الثنـاء ، وعن جدارة ، وحكمهم على إنســان إنـما يكـون بعـد دراسـات مستوفاة ، واختبارات قلما تخطىء ، أو يخيب ظن الواحد منهم ؛ فلهم من الذكاء والتجربة ما يجعلهم صادقين فى حكمهم ، نافذين فى نظراتهم .

ولقـد زار الملك عبـد العـزيـز إبـان جهـاده ، وبعـد استقراره فى حكم البلاد كثيرا من الرؤ ساء والكتاب والمسئولين فكلهم أجمعوا على أن الملك عبد العزيز من الشخصيات النادرة التى لا يجود الـدهـر بمثلهـا إلا نادرا ، بل لقـد اجمعوا على أن من النادر جدا أن يعطى رجل القوة والتوفيق بمثل ما أوتى الملك عبد العزيز .

وهذا ما نلمسه فيما كتبوا عنه وصرحوا به :

قال د . جرمانوس المستشرق المجـرى :

«الملك الـذى جرد السيف فى سبيـل دينـه وعقيـدتـه ، يجمع فى طبيعته روح الحرب . وروح السلم ، لا يقـاتـل الناس ، ولا يعتدى عليهم ، وإنما يحارب الجهل ، ويقاتل الجمود ، ويكافح التأخر»[2].

وقال الكاتب الأمريكى روى لبكيتشر :

«كـان أبـرز ما ظهـر من صفـات ابن سعـود بعـد استيـلائـه على الـرياض : القوة ، والشجـاعـة ، والحيـوية البالغة ، والجاذبية الخلابة ، والشخصية المحبوبة ، وصواب الفكرة ، والإستقـامـة التـامـة ، مضافا إليها خلق المقدرة على العفو عن أعدائه من جهة ، والشدة بل القسوة من جهة أخرى عند الاقتضاء»[3].

وقال تونشـــل :

«من عادة ابن سعـود أن يعـالـج الأمـور بحنكتـه وسيـاسته السلمية ، فإذا اضطر إلى امتشاق الحسام لم يتردد»[4].

---

(١) المتوكل على الودود : لمحمد منير البديوى : (ص: ٣٤١، ٣٤٢) .

(٢) شبه الجزيرة : (ج: ٢ : ص: ٧١٨) .

(٣) ، (٤) مختارات من موضوع «فى كلمات للسياسيين وكبار الكتاب الأجانب» شبه الجزيرة: (ج: ٢ : ص ٧١٥-٧٢٢) .

وقال الكاتب الانجليزى كنث وليمز :

«من النـادر أن تجد رجـلا تجمعت فيـه المزايا التى تجمعت فى ابن سعود : موفق ظافر، ومصلح ومبـدع مبتكـر، وتقى ورع صالـح، وإنسـان لطيف مهذب، وجواد سخى سمح، وراسخ وطيد متين، وذكى حاذق لبيب، وشجاع جرىء مقتحم، نبيل فى تواضعه، جليل فى احتشامه»(١).

وقال حاكم كندا لورد أوف اثلود :

«شهدت بنفسى عندما زرت المملكة العربية السعودية، ماذا صنع الملك عبد العزيز لرفـاهيـة شعبـه، لقـد استقـر بفضله السـلام والأمن فى البـلاد التى كانت من قبـل تمزقهـا المنازعات الداخلية .

واتيـح لى أن أشهـد كيف تم الاعـتراف به ملكـا وزعيـما على شعبـه الذى أضاء له حكمه الطريق إلى الارتقاء فى جميع المناحى الاجتماعية والثقافية»(٢).

وكـان للكـاتبـات الغـربيـات مجال كبير فى الكتابه عن الملك عبد العزيز، فقد تناولن شخصيتـه وسـيرتـه بكثير من الدراسة والتحليل، بل إن بعضهن تكلفن المشاق لرؤ ية هذا البطل العظيم وممن كتبن عنه الكاتبة الفرنسية أندريه فيوليس فى مارس **١٩٣٧**م قالت :

«حاد النظرات، كثير الحذر فى حديثه، ينظر إلى محدثه ويدرسه دراسة سريعة، هذا هو ملك الجزيرة العربية، الذى قام بما يشبه المعجزات، وأسس ملكه بين عشية وضحاها، بغـير وجـل، وهـو بعيـد المطـامح طويل التروّى، لا يحب المجازفة، ويعتقد أن الإستعداد للأمر ودراسته هما الوسيلتان للنجاح»(٣).

ولقـد تنـاول الكُتّـابُ العـرب شخصيـة الملك عبـد العزيز وسيرته العطرة على طول وعرض الوطن العربى بالإكبار والإجلال جزاء ما قدم للإسلام ولبلاد المسلمين من تضحية وفداء .

قال عبد الرحمن عــزام :

«تميز الملك عبد العزيز، فوق خصال الشجاعة والكرم والعقل، بتبسطه فى الحديث، وعـدم التكلف فيـه، والمـؤانسة لزائره، وهو فى جزيرة العرب ليس ملكا فحسب، بل رئيس أسـرة، ومن عجيب شأنـه أن هذه الأسرة جمعت خصومه الأولين وأعداءه وأولياه فى ساحته .

---

(١)، (٢)، (٣) مختارات من موضوع «فى كلمات للسياسيين وكبار الكتاب الأجانب» شبه الجزيرة (ج : ٢ : ص : ٧١٥-٧٢٢) .

وكـان مما يعجبنى ، وقـد تشـرفت بأن كنت ضيفا له مرتين ، أن أرى على مائدته أوفى الصيد معه ، أولئك الذين قاتلهم أو قتل آباءهم من قبل ، يعاملون معاملة الإخوة والأبناء»[١].

وقال الكاتب المشهور محمود أبو الفتح فى عام ١٩٣٠م :

«ليس ابن سعـود من أعظم رجـال القـرن العشرين فحسب ، بل هو من أعظم رجال التاريخ . . . ولست أنا الذى أصدر هذا الحكم ، وإنما أصدره انكليزى عرف عبد العزيز من زمان طويل ، وتتبع سيرته منذ كان فتى شريدا طريدا إلى أن أصبح الملك المطلق فى جزيرة العرب»[٢].

وقال عونى عبد الهادى فى عام ١٩٣٦م :

«شيئان هائلان فى الجزيرة . . .

الصحراء وابن سعود عبارة عن عَالَمٍ فى رجلٍ . ملمّ كل الإلمام بدخائل مُلكه ، مؤمن متـدين إلى حد عظيم . قالـوا : إن الـذى يصغى إليـه وهـو يقرأ كتاب الله فى الليل لا يملك نفسه من البكاء[٣].

وقال القائد عزيز على المصرى وهو من أعظم القادة العرب فى العصر الحديث :

«اهتـمام ابن سعـود بالأسلحـة الحديثة وشجاعته ، وقدرته على تحمل المشاق ، وبعده عن الترف ، وذكاؤه ، وصدق عزيمته ، وسخاؤه ، كل هذا يجيز أن ننتظر منه العظائم»[٤].

هذا إجمـاع من كل الـذين عنـوا بدراسـة شخصيـة هذا الـرجل الموهوب الموفق ، وما اكثرهم من جميع الأجناس والبلاد ، وما اعتقد أن رجلا حاز اعجاب جميع الناس بمثل ما ناله الملك عبد العزيز آل سعود فهو جدير بأن يقتدى به ويتخذ مثلا أعلى فى سيرته وأعماله .

وإذا كان الكُتَّـاب والمفكـرون والسـاسـة فى جميـع أنحاء العالم قد شغلهم ظهور هذه الشخصيـة الفـذة ، فقـد أجمعوا على الحب والتقدير والإعجاب بما قام به الملك عبد العزيز ، فقـد تسـابق رؤسـاء الـدول الكبـيرة إلى اللقـاء به ، ورؤيتـه عن قرب ، وإلى الاجتـماع به للصـداقـة ، ولصـالـح العالم ، ولمعرفة رأيه فى كثير من المشاكل الدولية ، ولقد حرص الرئيس الأمريكى فرانكلن روزفلت رئيس الجمهوريات الأمريكية على رؤيته والتحدث إليه ، ففى

---

(١) شبه الجزيرة : (ج : ٢ : ص : ٧٣٩) .

(٢) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٨) .

(٣) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٨) .

(٤) المصدر نفسه : (ج : ٢ : ص : ٧٣٧) .

إبان الحرب العالمية الثانية طلب الاجتماع بالملك عبد العزيز، وكان روزفلت بمصر والحرب لا تزال مستمرة، والمانيا موجهة كل عتادها إلى منطقة الشرق الاوسط، لذلك فقد كان أمر هذه المقابلة فى غاية السرية خوفا من الطائرات، ووافق الملك، فجاء أحد الطرادات الامريكية إلى جدة، وأبحر الملك عبد العزيز ومن معه إلى قناة السويس، ثم إلى البحيرات المرة قريبا من مدينة الاسماعلية، حيث كان الرئيس ينتظره على سطح طراد آخر.

رحب الرئيس روزفلت بالملك عبد العزيز، وقال :

«إن على رؤساء العالم أن يتحينوا الفرص، ليتحدث بعضهم إلى بعض، ويتفاهموا، ويتعاونوا على حل ما استعصى عليهم من أمورهم»[1].

ولقد أعجب روزفلت بابن سعود إعجابا لا حد له، فلقد بهرته شخصية الزعيم العربى الأكبر، وقد طابق ما سمع عنه ما رأى الآن، بل ما رآه كان أعظم بكثير مما سمع، وقال له :

«كنت أود أن أجتمع بك قبل هذا».

ولقد أبدى الرئيس سرورا وفهما لكل ما عرضه عليه الملك عبد العزيز من أمور دولية، واقتنع بوجهة نظر الملك، ووافقه على كل ما ذكره، ووعد بحل كل مشكلة عرضها عليه، وكان فى مقدمة ما عرضه عليه استقلال سوريا ولبنان ـ وكانتا لا تزالان ترزحان تحت الحكم الفرنسى.

ولقد قال المقربون من الرئيس روزفلت :

إن الرئيس روزفلت لم يكن يتوقع أن يرى فى ابن سعود الذى طلب مقابلته ما رآه فيه، ولقد رأى أنه رجل ذو مهابة خارقة وقوة عظيمة، فلقد ولد جنديا وقضى حياته كلها فى خوض المعارك، وهو عربى من أوله إلى آخره، وفى كل وقت[2].

ولما رجع الرئيس روزفلت إلى إمريكا قال فى الكونجرس عن الملك ـ رحمه الله :

«فقد وعيت مثلا عن مسألة الجزيرة العربية، تلك المشكلة بحذافيرها، مشكلة المسلمين، ومشكلة اليهود، وعيت عنها فى حديث دام خمس دقائق مع ابن سعود أكثر مما كنت استطيع معرفته بتبادل ثلاثين أو أربعين رسالة»[3].

---

(١) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٥٨).

(٢) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٦٣).

(٣) شبه الجزيرة : (ج : ٤ : ص : ١١٦٥).

ولقد علقت مجلة «تايم» الأمريكية على تلك المقابلة فقالت :

«لعل الكثيرين دهشوا لاجتماع هاتين الشخصيتين المختلفتي النشأة والتربية، ولكن الواقع أن مقابلة الرئيس الأمريكي الذى نشأ فى هايد بارك، ودرس فى جامعتى جرتون وهارفارد، وعاهل بلاد العرب الذى لم يدرس إلا فى مدرسة الإسلام والقرآن الكريم، ولم ير إلا الصحراء المحيطة به من كل جانب، هذه المقابلة كانت ناجحة إلى حد بعيد، وقد استمرت المحادثات بينهما فترة طويلة ظهر خلالها بوضوح مقدار ما يكنه كل منهما للآخر من صداقة وتقدير[(١)].

كان مستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، قد رغب فى اللقاء مع الملك عبد العزيز وكان قد اجتمع بالرئيس الأمريكى، فسهلت له الدبلوماسية البريطانية هذا اللقاء، فهيأوا كل شىء ليتم اللقاء فى الفيوم، وكانت السرية قد خفت برحيل الرئيس الأمريكى إلى بلاده، فركب الملك عبد العزيز ومن معه الطراد إلى مدينة الإسماعيلية، ومنها اتجه الركب ليلا إلى القاهرة، واخترقوا وسطها إلى الجيزة، فطريق الفيوم الصحراوى، حتى وصلوا إلى مكان الإقامة وهو فندق الفيوم على بحيرة قارون وذلك فى يوم الجمعة ٣ ربيع الأول عام ١٣٦٤هـ، وفى اليوم التالى حضر إلى الملك عبد العزيز فى الفندق الملك فاروق، وكان معه الرئيس السورى شكرى القوتلى، وفى اليوم الثالث وصل إلى الفندق رئيس الوزراء البريطانية، ومعه وزير الخارجية، وآخرون من كبار السياسيين، والقادة العسكريين، فانفرد بهم وقتا غير قصير، وكلهم أبدى إعجابهم بتفكير الملك، وعرض آرائه، فكان موضع إعجاب وتقدير. ثم عاد إلى بلاده بعد أن وعد الملك فاروق ـ رحمه الله ـ بزيارة خاصة لمصر[(٢)].

وهكذا كلما تطرقنا لصفة من الصفات التى تحلى بها الملك عبد العزيز آل سعود، وجدنا أنه قد فاق فيها أقرانه، وقد ضرب لنا على الطريق العملى أمثالا وأمثالا ملأ بها حياته المباركة .

---

(١) نفس المصدر : (ج: ٤ : ص ١١٦٧) .

(٢) لقد برّ الملك عبد العزيز بوعده، وزار مصر زيارة رسمية وشعبية فى صفر عام ١٣٦٥هـ وقوبل من الشعب المصرى والحكومة بما لا لم يقابل به أحد من قبل لا فى السابق ولا فى اللاحق من التكريم والحفاوة والترحيب والحب والإخلاص، وسيظل كل هذا عنوانا على تقدير مصر لما قام به الملك عبد العزيز من أعمال عظيمة، وبخاصة ما قام به تجاه الحرمين والأراضى المقدسة، وسنفرد لهذه الزيارة بحثا آخر إن شاء الله .

فمن هذه الصفــات الشجاعــة التى أصبحت جزءا من حيــاتــه ـ رحمـه الله ـ فى كل المجـالات التى صادفتـه ، والحـزم الـذى لازمـه فى كل ما قام به من أعمال ، والصراحة التى كانت نبراسه فى كل ما تحدث عنه صغر أو كبر ، والخشونة التى عاشها منذ صغره ، وكان لها أثـرهـا البعيـد فى كل ما قابله من مصاعب ومتاعب ، والغيرة على الشرف ، وعلى حدود الله وشريعته ، وهى من أوائل ما دعاه إلى القيام بما قام به من حروب وقتال ، والنجدة لكل من طلب مساعدته ، وهذا ما جعله يستجيب لنداء الشيخ مبارك فيذهب إليه فى أحرج أوقاته ، والنظـام وقـد تعلمـه من مواظبتـه على الصلاة ، وإقامتها فى أوقاتها الخمسة المنتظمة فى اليوم والليلة ، ومحـافظتـه الـدائمـة عليها ، وعلى كل عمل قام به فكان عمله منتظما طيلة حياته لم يغـيره ، والطـاعـة ، وتظهر واضحة فى امتثاله لكل ما يأمر به والده الإمام عبد الرحمن ـ رحمهما الله ـ وتقـديـره لكـل واجب عليـه ، والإيمان بالحق الذى يطالب به ، وحب الانجاز فى حدود التبعات وهو الذى جره إلى أعظم عمل قام به وهو فتح «الرياض» .

إن هذه الصفــات كلهــا متمثلة فيــه ، ولم تتخـل عنـه واحـدة ، حتى أصبحت من خصائصه ، ولقد قالوا إن هذه الصفات ، وهذه الخصائص قد تجمعت بعد الوف السنين من تجارب الأمم فى تعبئة الجيوش ، حتى عرف الناس أخيرا أنها لازمة للقائد ، والجندى الموهوب فى أمثل حالاته ، فما من خاصة منها يستغنى عنها القائد الكامل الذى يتحلى بأجمل الصفات .

وإنهـا متكـاملة ومتأصلة كلهـا فى الملك عبـد العزيز آل سعود ، وقلما تتجمع إلا فيمن وهبهم الله من الصفات ما لم يهبها سبحانه وتعالى لغيرهم .

ومن تفـرد بهذه عن غيره ، فهـو جديـر بأن يوصف بالعبقـرية ، ولقد أصبح من المسلّم به ، أن الملك عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ كان عبقريا .



إحياء التراث الإسلامي

تحقيق جزء الضعفاء والمتروكين

للإمام الدارقطني

- ٢ -

للشيخ عبد الرحيم محمد القشقري

محاضر بكلية الحديث الشريف بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد :

فان علم الحديث يحتاج إلى معرفة الرواة الذين أوصلوا السنة النبوية إلينا من حيث

جرحهم وتعديلهم ولما كان كتاب الإمام الدارقطنى من الأصول المهمة فى هذا الفن والذى طوته ايد الاهمال فى عدم اخراجه عزمت على نشره فى مجلة الجامعه الإسلاميه ليتسنى لأكبر قدر ممكن من طلاب العلم الوقوف عليه والاستفادة منه .

وها أنذا اطرح الحلقة الثانيه من كتاب الضعفاء والمتروكين لخاتمة الحفاظ ارجو ان اكون قد وفقت على اقل تقدير فى تصحيح النصوص الواردة فى كتاب المصنف .

وقد سبق وان قمت بتحقيق كتاب أسئلة البرقانى للإمام الدارقطنى تحقيقاً واستفدت فيه من كتاب الضعفاء .

وسيقدم الكتاب المذكور للطبع بعد الانتهاء من الدراسة العلميه حول المصنف وكتابه السؤالات .

ارجو الله ان يوفقنى فى اخراجه وان ينفع به طلاب العلم . انه على كل شىء قدير .

حرف الحاء

١٥١ ـ الحارث بن عبد الله الأعور. كوفى همدانى[١].

١٥٢ ـ الحارث بن عمران. أبو سهل الجعفرى. كوفى عن محمد بن سوقه وهشام بن عروة[٢].

١٥٣ ـ الحارث بن نبهان الجرمى. بصرى عن عاصم بن بهدله. وأيوب السختياني. والأعمش. ليس بالقوى[٣].

١٥٤ ـ الحارث بن شبل البصرى. عن أم النعمان. مقل. وليست بمعروفه[٤].

١٥٥ ـ الحارث بن سريج البقال. بغدادى. عن ابن عيينه. ويحى القطان. ويزيد إبن زريع، غمزه يحى بن معين. وهو كما قال[٥].

١٥٦ ـ الحارث بن حصيره. يغلوا فى التشيع[٦].

١٥٧ ـ الحارث بن حجاج بن أبى الحجاج. مجهولان[٧].

١٥٨ ـ حكم بن ظهير الفزارى. عن عاصم. وعلقمه بن مرثد السدى. يروى عنه مروان الفزارى. يقول ابن أبى خالد.

١٥٩ ـ حكم بن عبد الله بن سعد الأيلى. قرشى. عن القاسم بن محمد وابن أبى مليكة والزهرى وابن أبى على. متروك[٨].

١٦٠ ـ حكم بن عبد الله. أبو مطيع الخراسانى. بلخى. عن إبراهيم بن طهمان. وأبى حنيفة.

١٦١ ـ حكيم بن جبير. كوفى عن سعيد بن جبير. والنخعى والشعبى.

---

(١) قال ابن حجر : كذبه الشعبى فى رأيه ورمى بالرفض. وفى حديث ضعف ـ على ـ تقريب التهذيب ٦٠

(٢) ضعيف رماه ابن حبان بالوضع من التاسعة ـ ق ـ تقريب التهذيب ٦٠

(٣) متروك من الثامنة ـ ت ق ـ تقريب التهذيب ٦١ .

(٤) لسان الميزان ١٥٢/٢ .

(٥) لسان الميزان ١٤٩/٢ .

(٦) ميزان الاعتدال ٤٣٢/١ .

(٧) قال ابن حجر : قال الدارقطنى مجهولان لسان الميزان ١٤٩/٢ .

(٨) قال الذهبى : ضعفوه ولم يترك ديوان ٧١ .

١٦٢ ـ حماد بن عمرو النصيبى . أبو اسماعيل عن الأعمش . وزيد بن رفيع[١].
١٦٣ ـ حماد بن عيسى . غريق الجحفة[٢].
١٦٤ ـ حماد المالكى . قدرى . عن الحسن . كذاب .
١٦٥ ـ حميد بن عطاء وقيل ابن عامر المكتب، عن عبد الله بن الحارث، متروك .
١٦٦ ـ حفص بن عمر الفرخ العدنى ، عن الحكم بن ابان[٣].
١٦٧ ـ حفص بن عمر بن أبى سليمان أبو عمران الإمام النجار الواسطى .
١٦٨ ـ حفص بن سليمان بن المغيرة أبو داود . هو القارى وهو حفص بن أبى داود سليمان .
١٦٩ ـ حبيب . كاتب مالك . متروك .
١٧٠ ـ حبيب الاسكاف . أبو عميره كوفى عن أنس[٤].
١٧١ ـ حبيب بن حبان . هو ابن أبى الأشرس . ضعيف .
١٧٢ ـ حجاج بن بصير . بصرى . أجمعوا على تركه .
١٧٣ ـ حجاج بن فروخ . واسطى ، عن العوام بن حوشب ، وابن جريج متروك .
١٧٤ ـ حبان بن على العنزى . عن الأعمش . وليث بن أبى سليم . ضعيف وأخوه مندل ضعيف أيضا .
١٧٥ ـ حرام بن عثمان مدنى . عن ابنى جابر[٥].
١٧٦ ـ حبه بن جوين العرنى . عن على رضى الله عنه[٦].
١٧٧ ـ حصين بن مخارق . متروك .
١٧٨ ـ حصين بن عمر أبو عمر الاحمسى . كوفى عن مخارق بن عبد الله . واسماعيل بن أبى خالد[٧].

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ١/٥٩٨ .
(٢) قال ابن حجر : حماد بن عيسى بن عبيده غرق بالجحفه سنة ثمان ومائتين . تقريب التهذيب ٨٢ .
(٣) قال ابن حجر : حفص بن عمر الفرخ بالفاء وسكون الراء والخاء المعجمة . تقريب التهذيب ٧٨ .
(٤) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١/٤٥٦ .
(٥) قال الإمام أحمد : ترك الناس حديثه ميزان الاعتدال ١/٤٦٨ .
(٦) قال الذهبى : قال الدارقطنى ضعيف ديوان ٤٩ .
(٧) قال ابن حجر : متروك من الثامنة ـ ت ـ تقريب التهذيب ٧٦ .

١٧٩ ـ حمزه بن أبى حمزه النصيبى . عن أبى الزبير . وعمرو بن دينار[١].
١٨٠ ـ حسام بن مصك أبو سهل . بصرى . عن قتادة[٢] وعبد الله بن بريده .
١٨١ ـ حديج بن معاوية الكوفى . يغلب عليه الوهم . عن أبى اسحاق .
١٨٢ ـ حسان بن سياه . كوفى . عن ثابت وعاصم بن أبى النجود .
آخر ما وجد فى كتاب البرقانى .
١٨٣ ـ حسن بن دينار وقيل ابن واصل وقيل ابن دينار زوج امه عن الحسن وابن سيرين وأيوب[٣].
١٨٤ ـ حسن بن عمارة كوفى[٤].
١٨٥ ـ حسن بن زياد اللؤلؤى[٥].
١٨٦ ـ حسن بن على الهاشمى ، عن الأعرج . عن أبى هريرة[٦].
١٨٧ ـ حسن بن أبى جعفر . وفى نسخة حسن بن أبى جعفر الجفرى . بصرى . يروى . عن أيوب . ومحمد بن جحادة . وأبى الزبير[٧].
١٨٨ ـ حسن بن يحى الخشنى شامى . عن هشام بن عروه . متروك .
١٨٩ ـ حسين بن عبد الله بن ضميرة . عن أبيه عن جده مدنى[٨].
١٩٠ ـ حسين بن علوان . عن هشام بن عروة . والأعمش . كذاب .
١٩١ ـ حلبس بن محمد المصرى . الكلبى . عن الثورى[٩].
١٩٢ ـ حسين بن قيس الرحبى . ويقال حنش . عن عكرمه . وعن عطاء واسطى[١٠].
١٩٣ ـ حسين بن خالد الأشقر . كوفى . عن شريك وقيس وجعفر الأحمر وهريم بن سفيان . ليس بالقوى .

---

(١) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١ / ٦٠٦ .
(٢) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١ / ٤٧٧ .
(٣) قال ابن حجر : تركه وكيع وابن حنبل . لسان الميزان ٢ / ٢٠٣ .
(٤) قال ابن حجر : متروك من الثامنة ـ ت ق ـ تقريب التهذيب ٧١ .
(٥) قال الذهبى : كذبه ابن معين ديوان ٥٧ .
(٦) قال ابن حجر : ضعيف من الثامنة ـ ت ق ـ تقريب التهذيب ٧١ .
(٧) ميزان الاعتدال ١ / ٤٨٢ .
(٨) قال البخارى : منكر الحديث التاريخ الكبير ٢ / ١ / ٢٨٨ .
(٩) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك الحديث . ميزان الاعتدال ١ / ٥٨٧ .
(١٠) قال الذهبى : قال الدارقطنى متروك . ميزان الاعتدال ١ / ٥٤٦ .

باب الخـــــاء

١٩٤ ـ خالــد بن القــاسم أبــو الهيثم مدائنى من الحفــاظ . عن كعب بن سعيــد وهشيم[١].

١٩٥ ـ خالد بن الياس مدنى . عن ربيعه بن أبى عبد الرحمن و وهشام بن عروة[٢].

١٩٦ ـ خالد العبدى بصرى . أكثر روايته عن الحسن . متروك .

١٩٧ ـ خالد بن يزيد بن أبى مالك . شامى . عن أبيه . وأبوه من الثقات .

١٩٨ ـ خالد بن محدوج . أبو روح واسطى . عن أنس[٣].

١٩٩ ـ خالــد بن عمـرو الأمـوى . كوفى . عن الثـورى والنـاس من ولـد سعيـد بن العاص[٤].

٢٠٠ ـ خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين . بصرى عن أبيه عن جده .

٢٠١ ـ خليد بن دعلج . شامى . عن قتادة والحسين[٥].

٢٠٢ ـ خارجه بن مصعب سرخسى عن العالم[٦] .

٢٠٣ ـ خصيب بن جحـدر . بصـرى عن أبى صالـح . وعمـرو بن دينار والنعمان ابن نعيم لا يعرف إلا برواته .

٢٠٤ ـ خصيب عنه خالد بن اسماعيل . أبو الوليد المخزومى مدنى .

٢٠٥ ـ خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت . مدنى ضعيف .

---

(١) قال يعقوب بن شيبه : خالد المدائنى صاحب حديث متقن . متروك الحديث . ميزان الاعتدال ١/ ٢٣٨ .

(٢) قال ابن حجر : متروك الحديث من السابعة ـ ت ق ـ تقريب التهذيب ٨٧ .

(٣) قال الذهبى : ديوان ٨٣ . ميزان الاعتدال ١/ ٦٤٢ .

(٤) رماه ابن معين بالكذب من التاسعة ـ د ق ـ تقريب التهذيب ٨٩ .

(٥) قال النسائى : ليس بثقه الضعفاء والمتروكون ٣٧ .

(٦) قال النسائى : متروك الحديث الضعفاء والمتروكون ٣٧ .

حرف الدال والذال

٢٠٦ ـ داود بن المحبر يضع بصرى كان ببغداد متروك .

٢٠٧ ـ داود بن عبد الجبار أبو سليمان . كوفى . عن إبراهيم بن جرير وسلمه بن المجنون[١] .

٢٠٨ ـ دجين بن ثابت أبو الغصن بصرى عن أسلم مولى عمر . وعن هشام بن عروه[٢] .

٢٠٩ ـ دينار أبو سعيد عقيصا . كوفى عن على مناكير . رماه أبو بكر بن عياش بالكذب .

٢١٠ ـ دهثم بن قران قدم المدينة عن يحى بن أبى كثير ونحران لا يعرف الا به مجهول[٣] .

٢١١ ـ درست بن زياد القشيرى . بصرى عن يزيد الرقاشى وابان بن طارق . لا يروى عنه غيره[٤] .

٢١٢ ـ درست بن حمزة بصرى . عن مطر الوراق[٥] .

٢١٣ ـ ذؤيب بن عمامة بن عمرو السهمى . عن مالك والمدنيين[٦] .

حرف الراء

٢١٤ ـ ربيع بن بدر . ويقال عليلة بن بدر . بصرى عن الأعمش . ويونس بن عبيد . منكر الحديث . عن مالك والمدنيين[٧] .

٢١٥ ـ ربيع بن حبيب . أخو عابد كوفى عن نوفل بن عبد الملك عن أبيه عن على .

---

(١) قال الذهبى : تركوه . ديوان ٩٢ .

(٢) قال الذهبى : بصرى لا يحتج به . ديوان ٩٥ .

(٣) قال ابن حجر : متروك من الثامنة ـ ق ـ تقريب التهذيب ٩٨ .

(٤) قال ابن حجر : ضعيف من الثامنة ـ د ق ـ تقريب التهذيب ٩٧ .

(٥) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى . ديوان ٩٥ .

(٦) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى . ديوان ٩٨ .

(٧) قال الذهبى : تركه الدارقطنى وغيره، ديوان ١٠٠ .

٢١٦ ـ فاما الـربيـع بن حبيب الـرقـاشي . فهـوبصرى مقل يروى عن المصريين لا يترك[١] .
٢١٧ ـ ربيع بن سهل بن الدكين . كوفى عن سعيد بن عبيد . وعبد الله بن شريك العامرى .
٢١٨ ـ رشدين بن سعد أبو الحجاج . بصرى . ضعيف .
٢١٩ ـ رشدين بن كريب مدنى[٢] .
٢٢٠ ـ رشيد الهجرى . عن أبيه عن عبد الله بن عمرو[٣] .
٢٢١ ـ روح بن أسلم . أبو حاتم بصرى عن حماد بن سلمة .
٢٢٢ ـ روح بن عطاء بن أبى ميمونه عن أبيه .
٢٢٣ ـ روح بن مسافر . كوفى عن أبى إسحاق . وحبيب بن أبى ثابت . كناه لؤى . أبو المعطا .
٢٢٤ ـ روح بن غطيف جزرى . عن الزهرى . وعمرو بن مصعب الكوفى .
٢٢٥ ـ رباح بن عبيد الله بن عمر القرشى . قال بعضهم أبو بكر مدنى .
٢٢٦ ـ ركن بن عبد الله الشامى . عن مكحول . مقل .
٢٢٧ ـ رواد بن الجراح أبو عصام عسقلانى . عن الثورى وسعيد .

حرف الزاي

٢٢٨ ـ زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . عن أبيه منكر الحديث .
٢٢٩ ـ زيد بن الحسن بصرى . يحدث عن مالك بن أنس بمناكير .
٢٣٠ ـ زيد بن جبيره بن محمود بن أبى جبيره الانصارى . عن أبيه لا يعرف أبوه إلا به . وعن داود بن الحصين[٤] .
٢٣١ ـ فهد بن عوف أبو ربيعه ويقال زيد . بصرى عن حماد بن سلمة[٥] .

---

(١) وثقه الإمام أحمد وابن معين، ميزان الاعتدال ٢ / ٤٠ .
(٢) ميزان الاعتـدال ٢ / ٥١ .
(٣) ميزان الاعتـدال ٢ / ٥١ .
(٤) قال ابن حجر : متروك من الثامنة ـ ت ق ـ تقريب التهذيب ١١٢ .
(٥) قال الذهبى : زيد بن عوف ولقبه فهد . قال الدارقطنى ضعيف . ميزان الاعتدال ٢ / ١٠٥ .

٢٣٢ ـ زياد بن المنذر أبو الجارود. كوفى عن أبى الطفيل، وأبى جعفر محمد بن على[١] .
٢٣٣ ـ زياد بن أبى حسان. أبو عمار بصرى عن أنس وعن عمر بن عبد العزيز[٢] .
٢٣٤ ـ زياد بن ميمون أبو عمار عن أنس[٣] .
٢٣٥ ـ زياد بن أبى زياد الجصاص عن الحسن وابن سيرين وأبى عثمان النهدى[٤] .
٢٣٦ ـ زياد بن المنذر. وإنما هو منذر بن زياد الطائى. بصرى عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر حديث منكر وله أيضا مناكير[٥] .
٢٣٧ ـ زكريا بن حكيم الحبطى. كوفى عن الشعبى .
٢٣٨ ـ زكريا بن يحى الكسائى. الكوفى عن يحى بن سالم الأسدى. متروك أيضا .
٢٣٩ ـ زنفل أبو عبد الله العرنى. عن ابن أبى مليكه .
٢٤٠ ـ زبير بن سعيد الهاشمى النوفلى. مدنى حمل عنه ابن المبارك وجرير بن حازم. يعتبر به بما رواه عن عبد الله بن على بن زيد بن ركانه فأما ما يرويه عن محمد بن المنكدر فإنه يترك[٦] .

حرف السين

٢٤١ ـ سلمة بن صالح الأحمر. كوفى سكن واسط وبغداد عن أبى إسحاق وحماد بن أبى سليمان. ومالك بن أوس الحدثانى[٧] .
٢٤٢ ـ سلمه بن وردان. مدينى عن أنس[٨] .
٢٤٣ ـ سليمان بن عبد الله بن سليمان. أبو بكر الهذلى. بصرى عن الحسن وابن سيرين .

---

(١) قال الإمام أحمد متروك. ديوان ١١٢ .
(٢) قال الذهبى : تركه الجماعة. ديوان ١١١ .
(٣) قال الذهبى : يقال له زياد بن أبى حسان وزياد بن أبى عمار هالك اعترف بالكذب. ديوان ١١٢ .
(٤) قال الذهبى : تركوه ١١٢ .
(٥) قال الذهبى : قال الدارقطنى : منذر بن زياد الطائى، متروك ووهم فيه من قبله فقال زياد بن المنذر، ميزان الاعتدال ١٨١/٤ .
(٦) قال ابن حجر : لين الحديث من السابعة ـ د ت ق ـ تقريب التهذيب ١٠٦ .
(٧) قال الذهبى : تركوه، ديوان ١٢٨ .
(٨) قال ابن حجر : ضعيف من الخامسة ـ بخ ت ق ـ تقريب التهذيب ١٣١ ديوان ١١٦ .

٢٤٤ ـ سرى بن اسماعيل الكوفى . عن الشعبى . ضعفه يحى القطان وغيره .
٢٤٥ ـ سرى بن عاصم بغدادى . عن أيوب وحفص بن غياث . وغندر والناس[١]
٢٤٦ ـ سليمان بن أرقم أبو معاذ . عن الزهرى وابن سيرين وقيل أن داود عن الزهرى حديث الصدقات أنه هو .
٢٤٧ ـ سليمان بن الحكم بن عوانه . واسطى . عن الأعمش .
٢٤٨ ـ سليمان بن خالد واسطى . عن قتاده وطلحة بن مصرف . هو أخو العلاء بن خالد والعلاء يعتبر به .
٢٤٩ ـ سليمان بن داود الخولانى . عن الزهرى .
٢٥٠ ـ سليمان بن داود أبو أيوب الشاذكونى . بصرى .
٢٥١ ـ سليمان بن زيد أبو ادام . عن ابن أبى أوفى[٢] .
٢٥٢ ـ سليمان بن سفيان مدينى . أبو سفيان . عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحى . سمع منه أبو عامر العقدى ومعمر بن سليمان[٣] .
٢٥٣ ـ سليمان بن سفيان الجهنى مداينى . عن قيس بن الربيع عن ورقاء[٤] .
٢٥٤ ـ سليمان بن عمرو النخعى . أبو داود كوفى[٥] .
٢٥٥ ـ سليمان بن يسير . أبو الصباح كوفى . عن النخعى والحكم وقيس بن رومى وقال سليمان بن بشير[٦] .
٢٥٦ ـ سليمان بن أبى سليمان القافلانى . أبو محمد بصرى . عن الحسن وابن سيرين روى عنه عبيد الله بن موسى . فقال سليمان الخوزى[٧] .

---

(١) قال الذهبى : متهم، ديوان ١١٦ .
(٢) قال ابن معين : ليس بثقه، التاريخ ٢/٢٣١ .
(٣) قال ابن معين : ليس بثقه، التاريخ ٢/٢٣١ .
(٤) قال الذهبى : ضعفوه، ديوان ١٣١ .
(٥) قال الذهبى : كذاب، ديوان ١٣٢ .
(٦) ميزان الاعتدال ٢/٢٢٨ .
(٧) قال الذهبى : متروك الحديث بصرى مقل، ميزان الاعتدال ٢/٢١٠ .

٢٥٧ ـ سالم بن عبد الأعلى أبو الفيض. كوفى عن نافع وغيره [١] .
٢٥٨ ـ سالم الخياط. عن الحسن وابن سيرين[٢] .
٢٥٩ ـ سليمان بن أبى سراج[٣] .
٢٦٠ ـ سلم بن سالم البلخى. عن عبيد الله بن عمر. وابن جريج والثورى [٤] .
٢٦١ ـ سليمان بن مسلم الخشاب. مكى. عن ابن جريج والمكيين[٥] .
٢٦٢ ـ سلام بن أبى خبزه بصرى. عن العالم
٢٦٣ ـ سلام بن سليمان وقيل ابن سلمان وقيل ابن سالم الطويل. المداينى. متروك عن زيد العمى.
٢٦٤ ـ سعد بن طريف الاسكاف. كوفى عن عكرمه والاصبغ[٦] .

٢٦٥ ـ سعد بن سنان وقيل سنان بن سعد. عن أنس. روى عنه يزيد بن أبى حبيب[٧] .
٢٦٦ ـ سعد بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى. أخو عبد الله[٨] .
٢٦٧ ـ سعيد بن سلام العطار. أبو الحسن بصرى نزل مكة عن الثورى والعالم[٩] .
٢٦٨ ـ سعيد بن سنان أبو مهدى. حمصى. عن أبى الزاهرية[١٠] .
٢٦٩ ـ سعيد بن زون بصرى. عن أنس[١١] .
٢٧٠ ـ سعيد بن زربى أبو معاوية بصرى. عن أبن سيرين وأبى المليح متروك.

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/١١٢ .
(٢) هو سالم بن عبد الله الخياط، قال ابن حجر: صدوق سيء الحفظ من السادسة، تقريب التهذيب ١١٥ .
(٣) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى، ديوان ١٣١
(٤) ديوان ١٢٧ .
(٥) ميزان الاعتدال ٢/٢٢٣ .
(٦) ميزان الاعتدال ٢/١٢٢ .
(٧) قال ابن حجر : صدوق له افراد من الخامسة ـ د ت ق ـ تقريب التهذيب ١١٨ .
(٨) قال ابن حجر : لين الحديث من الثامنة ـ ق ـ تقريب التهذيب ١١٨ .
(٩) قال الذهبى : قال الإمام أحمد، كذاب، وتركه الدارقطنى، ديوان ١٢١ .
(١٠) قال الذهبى : هالك ـ ق ـ ديوان ١٢١ .
(١١) سعيد بن زون بضم الزاى وسكون الواو وبعدها نون ـ ضعيف عندهم ـ ديوان ١٢٠ .

٢٧١ ـ سعيد بن عبد الجبار الحمصى. العطار. عن أبى بكر بن أبى مريم والحمصيين[١] .

٢٧٢ ـ سعيد بن واصل أبو عمرو الحرشى. ويقال أبو عمر بصرى عن شعبة[٢] .

٢٧٣ ـ سعيد بن راشد أبو محمد السماك المازنى. بصرى عن عطاء والزهرى[٣] .

٢٧٤ ـ سهيل بن ذكوان واسطى. عن عائشة[٤] .

٢٧٥ ـ سكين بن عبد العزيز العطار. بصرى[٥] .

٢٧٦ ـ سوار بن مصعب[٦] .

٢٧٧ ـ سويد. أبو حاتم بصرى. عن قتادة[٧] .

٢٧٨ ـ سدير بن حكيم الصيرفى. كوفى له مقاطيع .

٢٧٩ ـ سيف بن محمد بن أخت الثورى. كوفى عن الأعمش. وحصين والثورى[٨] .

٢٨٠ ـ سيف بن هارون البرجمى. عن اسماعيل بن أبى خالد. كوفى أخو سنان. وسنان يعتبر به[٩] .

٢٨١ ـ سيف بن عمر الأسيدى. كوفى عن العالم. الكوفيين والبصريين والحجازيين[١٠] .

٢٨٢ ـ سيف بن أبى المغيرة كوفى. عن مجالد وغيره[١١] .

---

(١) قال النسائى ليس بثقة الضعفاء والمتروكين ٥٢ .

(٢) قال النسائى : متروك الحديث، الضعفاء والمتروكين ٥٤ .

(٣) قال النسائى : متروك بصرى الضعفاء والمتروكين ٥٤ .

(٤) قال الذهبى : متروك، ديوان ١٣٧ .

(٥) قال ابن حجر : صدوق يروى عن الضعفاء. تقريب التهذيب .

(٦) قال أحمد والدارقطنى : متروك، ديوان ١٣٨ .

(٧) هو سويد بن ابراهيم، ميزان الاعتدال ٢/٢٤٧ .

(٨) قال ابن حجر : كذبوه من صغار الثامنة ـ ت ـ تقريب التهذيب ١٤٢ .

(٩) قال ابن حجر : ضعيف افحش ابن حبان القول فيه من صغار الثامنة، تقريب التهذيب ١٤٢ .

(١٠) قال ابن حجر : ضعيف فى الحديث. عمدة فى التاريخ، تقريب التهذيب ١٤٢ .

(١١) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى، ديوان ١٤٠ .

حرف الشـــــين

٢٨٣ ـ شبيب بن سليم بصرى. له مقاطع .

٢٨٤ ـ شبيب بن شيبه أبو معمر الخطيب. بصرى. عن البصريين وهشام بن عروة[١] .

حرف الصـــــاد

٢٨٥ ـ صالـح بن بشـير المـرى. رجـل صالـح قل ما يوافق فيـما يرويـه عن الحسن والجريرى .

٢٨٦ ـ صالح بن حسان مدنى . عن محمد بن كعب القرظى . وعروة[٢] .

٢٨٧ ـ صالـح بن حبـان . كوفى عن ابن بريـده روى عنـه زهير وسماه واصل وهم فى اسمه ليس بالقوى .

٢٨٨ ـ صالح بن محمد بن زايده أبو قدامه الليثى . مدنى ضعيف .

٢٨٩ ـ صالـح بن موسى بن عبـد الله الطلحى . كوفى عن منصـور وعبـد العزيز ابن رفيع وهشام وعبد الله بن الحسن بن الحسن أبوه ثقة روى عنه أبو اسامة وعيسى بن داود .

٢٩٠ ـ صالح بن أحمد بن مقاتل القيراطى . حدثونا عنه .

٢٩١ ـ صلة بن سليمان واسطى . يترك حديثه عن ابن جريج وشعبة ويعتبر بحديثه عن اشعث بن عبد الملك الحمرانى .

٢٩٢ ـ صالـح بن سهـل أبـو سهـل . كوفى سكن البصرة عن حصين بن عبد الرحمن ومحمد بن عمرو .

٢٩٣ ـ صلت بن دينار. أبو شعيب المجنون بصرى متروك .

٢٩٤ ـ صغدى بن سنان . بصرى اسمه عمر عن يونس وخالد[٣] .

٢٩٥ ـ صدقة بن عبد الله السمين أبو معاوية شامى ضعيف .

---

(١) قال الذهبى : ضعفـوه، ديوان ١٤٢ .

(٢) قال الذهبى : ضعفه أبو حاتم والناس، ديوان ١٤٧ .

(٣) ميزان الاعتـدال ٢/٣١٦ .

بـــاب الضـــاد والطـــاء

٢٩٦ ـ ضحاك بن حمزة واسطى سكن الشام[١] .

٢٩٧ ـ ضحاك بن نبراس . بصرى . عن ثابت ويحى بن أبى كثير[٢] .

٢٩٨ ـ ضرار بن صرد . أبو نعيم كوفى[٣] .

٢٩٩ ـ ضرار بن عمرو. ببغداد والبصره عن يزيد الرقاشى يروى عن بكر بن حبيش القاص متروك أيضا .

٣٠٠ ـ طلحة بن عمرو. المكى عن عطاء وابن المنكدر[٤] .

٣٠١ ـ طلحة بن زيد الشامى . عن الأوزاعى والوضين بن عطاء[٥] .

٣٠٢ ـ طريف بن سليمان . أبو عاتكه . كوفى عن أنس[٦] .

٣٠٣ ـ طريف بن عيسى جزرى[٧] .

٣٠٤ ـ طريف بن عبيد الموصلى . حدث عنه الشافعى أبو بكر[٨] .

٣٠٥ ـ طريف بن شهاب السعدى . أبو سفيان . ضعيف .

حرف العـــــين

٣٠٦ ـ عبد الله بن زياد بن سمعان . مدنى متروك ، وسعيد بن سمعان ثقة تابعى مدنى .

٣٠٧ ـ عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى . أبو عباد مدنى وأخوه يحى متروك .

٣٠٨ ـ عبد الله بن مسلم بن هرمز. مكى . عن مجاهد وعطاء[٩] .

---

(١) قال الذهبى : يضع الحديث قاله الدارقطنى ، ديوان ١٥٢ .

(٢) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٨ .

(٣) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٥٩ .

(٤) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .

(٥) قال النسائى : متروك الحديث ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .

(٦) قال النسائى : ليس بثقة ، الضعفاء والمتروكين ٦٠ .

(٧) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٥٤ .

(٨) قال الذهبى : ضعفه الدارقطنى ، ديوان ١٥٤ .

(٩) قال ابن حجر : ضعيف من السادسة ـ بخ مد ت ق ـ تقريب التهذيب ١٨٩ .

٣٠٩ ـ عبد الله بن واقد. أبو قتادة الحرانى[١] .
٣١٠ ـ عبد الله بن سلمة الأفطس. عن الأعمش وهشام[٢] .
٣١١ ـ عبد الله بن جعفر بن نجيح المدينى. والد على كثير المناكير .
٣١٢ ـ عبد الله بن ميسرة الكوفى عن الشعبى وابراهيم بن أبى حره يكنية هشيم أبا إسحاق، وأبو عبد الجليل وغيره يكنيه أبا ليلى[٣] .
٣١٣ ـ عبد الله بن عامر الأسلمى. مدنى ضعيف .
٣١٤ ـ عبد الله بن بشير الشامى. عن عبد الله بن بسر وأبى كبشه صحابيان وقيل أن اسم أبى كبشه عمر بن سعيد .
٣١٥ ـ عبد الله بن حكيم أبو بكر الداهرى. أصله بواسط عن هشام بن عروة[٤] .
٣١٦ ـ عبد الله بن محرر بصرى سكن الشام. عن الزهرى وقتادة[٥] .
٣١٧ ـ عبد الله بن عبد القدوس. كوفى. سكن الرى. عن الأعمش[٦] .
٣١٨ ـ عبد الله بن عمرو بن حسان الواقعى بصرى. يكذب عن شريك .
٣١٩ ـ عبد الله بن لهيعة بن عقبة وربما نسب إلى جده يعتبر بما يروى عنه العبادلة ابن المبارك والمقرى وابن وهب .
٣٢٠ ـ عبد الله بن مسور. أبو جعفر المداينى. يرسل عن النبى ﷺ وعن ابن مسعود وابن عباس .
٣٢١ ـ عبد الله بن محمد بن سنان الدوحى. متروك حدث بالدينور وولى قضاءها
٣٢٢ ـ عبد الله بن خراش كوفى عن العوام بن حوشب[٧] .
٣٢٣ ـ عبد الله بن حمدان بن وهب الدينورى. حدثونا عنه[٨] .

---

(١) قال ابن حجر : متروك من التاسعة، تقريب التهذيب ١٩٣ .
(٢) قال النسائى متروك الحديث، الضعفاء والمتروكين ٦٥ .
(٣) قال الذهبى : عبد الله بن ميسره أبو ليلى وهو أبو إسحاق وأبو جرير وأبو عبد الجليل كناه بهذه الأربعة هشيم يدلسه، ميزان الاعتدال ٢/٥١١ .
(٤) ميزان الاعتدال ٢/٤١٠ .
(٥) قال ابن حجر : متروك من الثامنة ـ ق ـ تقريب التهذيب ١٨٧ .
(٦) صدوق رمى بالرفض وكان أيضا يخطىء من التاسعة ـ خت ت ـ تقريب التهذيب ١٨٠ .
(٧) ضعيف واطلق عليه ابن عمار الكذب .
(٨) قال الذهبى : متهم، ميزان الاعتدال ٢/٤١٢ .

٣٢٤ ـ عبيد الله بن زحر. عن على بن زيد نسخةٍ باطلة .
٣٢٥ ـ عبيد الله بن الوليد الوصافى . كوفى عن عطية[١] .
٣٢٦ ـ عبيد الله بن تمام بن قيس. بصرى عن التيمى وداود بن أبى هند ويونس مقلوبه[٢] .
٣٢٧ ـ عبيد الله بن أبى حميد. وهو ابن غالب بصرى عن أبى المليح[٣] .
٣٢٨ ـ عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عبد الرحمن بن عبد الله العمرى عن أبيه وعمه سعيد وأخوه القاسم . متروك .
٣٢٩ ـ عبد الرحمن بن قيس الزعفرانى . أبومعاوية بصرى خرج إلى نيسابور. عن شعبة والثورى وحميد ومحمد بن عمرو[٤] .
٣٣٠ ـ عبد الرحمن بن مالك بن مغول. كوفى عن أبيه وعبيد الله بن عمر[٥] .
٣٣١ ـ عبد الرحمن بن مسهر. أخوعلى بن مسهرعن أبى سعد البقال وهشام بن عروه . وأخوه ثقة .
٣٣٢ ـ عبد الرحمن بن يزيد بن تميم . شامى أبوأسامه يغلط فى نسبه يروى عن الزهرى واسماعيل بن عبيد الله بن أبى المهاجر الدمشقى واسماعيل هذا ثقة .
٣٣٣ ـ عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى . ليس بالقوى .
٣٣٤ ـ عبد الرحمن بن إسحاق بن الحارث أبوشيبه[٦] واسطى عن النعمان بن سعد. عن أبيه. لا يعرف إلا به .
٣٣٥ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العزرمى . أخوإسحاق وإسحاق متروك أيضا ولهما أخ ثالث يسمى حسن له مقاطيع يعتبر به .
٣٣٦ ـ عبد الرحمن بن أبى المليكى . ابن أخى بن أبى مليكة عن ابن أبى مليكة والزهرى[٧] .

---

(١) قال الذهبى : ضعفوه، ديوان ٢٠٦ .
(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٤ .
(٣) قال النسائى : متروك الحديث، الضعفاء والمتروكين ٦٧ .
(٤) قال النسائى : ضعيف مدنى ، الضعفاء والمتروكين ٦٧ .
(٥) قال الذهبى : يأتى بالطامات، ديوان ١٩٠ .
(٦) قال ابن حجر : ضعيف ـ د ت ـ تقريب التهذيب .
(٧) قال ابن حجر : ضعيف من السابعة ـ ز ق ـ تقريب التهذيب ١٩٩ .

٣٣٧ ـ عبد الرحمن بن إسحاق . يعرف بعباد . يرمى بالقدر ضعيف الحديث روى عن الزهرى . روى عنه ابراهيم بن طهمان واسماء وعباد والبصريون رووا فقالوا عبد الرحمن بن إسحاق[١] .

٣٣٨ ـ عبد الرحيم بن زيد العمى . بصرى عن أبيه . أبوه صالح[٢] .

٣٣٩ ـ عبد الواحد بن زيد القاضى . بصرى عن الحسن وثابت[٣] .

٣٤٠ ـ عبد الواحد بن قيس .

٣٤١ ـ عبد الواحد بن ميمون . أبو حمزة مدنى . عن عروة[٤] .

٣٤٢ ـ عبد الوهاب بن مجاهد . مكى . عن أبيه وعطاء[٥] .

٣٤٣ ـ عبد الوهاب بن الضحاك العرضى . حمصى عن اسماعيل بن أبى عياش له مقلوبات وبواطيل .

٣٤٤ ـ عبد الأعلى بن أبى المساور . كوفى عن حماد والشعبى[٦] .

٣٤٥ ـ عبد العزيز بن ابان . أبو خالد القرشى كوفى عن الثورى[٧] .

٣٤٦ ـ عبد العزيز بن عمران أبو ثابت الزهرى مدنى[٨] .

٣٤٧ ـ عبد العزيز بن عبد الرحمن البالسي عن خصيف[٩] .

٣٤٨ ـ عبد الحميد بن سليمان مُدنى . أخو فليح عن أبى حازم وأخوه ثقة .

٣٤٩ ـ عبد الحميد بن الحسن الهلالى . كوفى حدث بالبصرة عن أبى إسحاق . وعبد الملك بن عمير[١٠] .

٣٥٠ ـ عبد الصمد بن سليمان الواسطى . الأزرق ، ضعيف عن الضعفاء عن سليمان بن أبى سراج وخصيب بن جحدر متروك .

---

(١) قال ابن حجر صدوق رمى بالقدر من السادسة ـ خت بخ م ع ـ تقريب التهذيب ١٩٨ .

(٢) انظر تقريب التهذيب : ٢١٢ ، تهذيب التهذيب ٤٠٨/٣ .

(٣) انظر لسان الميزان ٤ /٨٠ .

(٤) قال النسائى : ليس ثقة الضعفاء والمتروكين ٦٩ .

(٥) قال النسائى : متروك الحديث الضعفاء والمتروكين ٦٩ .

(٦) قال النسائى : متروك الحديث الضعفاء والمتروكين ٧٠ .

(٧) قال النسائى : متروك الحديث الضعفاء والمتروكين ٧٢ .

(٨) قال النسائى : متروك الحديث الضعفاء والمتروكين ٧٢ .

(٩) قال النسائى : ليس بثقة الضعفاء والمتروكين ٧٢ .

(١٠) قال ابن حجر : صدوق يخطىء من الثامنة ـ ت ـ تقريب التهذيب ١٩٦ .

٣٥١ ـ عبد الرزاق بن عمر. الشامى ضعيف .
٣٥٢ ـ عبد الجبار بن عمر الايلى . ضعيف .
٣٥٣ ـ عبد الغفار بن القاسم. أبو مريم كوفى ضعيف حدث عنه شعبة ولعله لم يخبره .
٣٥٤ ـ عبد الغفور بن عبد العزيز بن سعيد. أبو الصباح الواسطى له عن أبى هاشم الرمانى نسخة .
٣٥٥ ـ عبد الخالق بن زيد بن واقد دمشقى . عن أبيه وأبوه ثقة روى عن حزام بن حكيم ومكحول(١) .
٣٥٦ ـ عبد المنعم بن ادريس بن سنان. سكن بغداد عن أبيه وأبوه متروك عن وهب ابن منبه(٢) .
٣٥٧ ـ عبد المنعم بن نعيم أبو سعيد بصرى رياحى . عن يحى بن مسلم مجهول لا يعرف إلا به وعن الأعمش(٣) .
٣٥٨ ـ عبد الكريم بن أبى المخارق. أبو أمية البصرى. عن نافع وابن سيرين والحسن. يروى عنه ابن أبى ليلى . ويروى عنه وعن الجزرى الثورى. وابن جريج يرويان عنه وعن عبد الكريم الجزرى(٤) .
٣٥٩ ـ عبد الملك بن هارون بن عنتره الكوفى . روى عن حبيب بن أبى ثابت وأبى إسحاق(٥) .
٣٦٠ ـ عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعى . عن البصريين والكوفيين .
٣٦١ ـ عبد السلام بن أبى الجنوب. عن الزهرى وخالد بن قدامة .
٣٦٢ ـ عبد القدوس بن حبيب. شامى أبو سعيد عن الشعبى وعكرمة والحسن والزهرى(٦) .
٣٦٣ ـ علاء بن زيدل. بصرى عن أنس .

---

(١) قال النسائى : ليس بثقة، ديوان ١٨٥ .
(٢) انظر ديوان ١٥ ـ ٢٠١ .
(٣) قال الذهبى : مقل ضعفه الدارقطنى، ديوان ٢٠١ .
(٤) قال ابن حجر : عبد الكريم بن أبى المخارق ضعيف من السادسة وقد شارك الجزرى فى بعض المشايخ فربما التبس به على من لا فهم له، تقريب التهذيب ٢١٧ .
(٥) قال الذهبى : تركوه، ديوان ٢٠١ .
(٦) قال الذهبى : متروك لقى التابعين، ديوان ١٩٧ .

٣٦٤ - علاء بن زيد. أيضا. متروك من أهل البصرة.
٣٦٥ - عمر بن هارون البلخى. ضعيف.
٣٦٦ - عمر بن رياح الضرير بصرى. ويقال عمر بن أبى عمر عن ابن طاوس وهشام بن عروة[1].
٣٦٧ - عمر بن حفص أبو حفص بصرى. عن ثابت ويزيد الرقاشى.
٣٦٨ - عمر بن اسماعيل بن مجالد. بغدادى عن أبيه وأبى معاوية ويحى الأموى.
٣٦٩ - عمر بن موسى بن وجيه الوجيهى. كوفى عن أبى الزبير وأبى إسحاق وقتادة يروى عنه يحى بن يعلى الاسلمى. فيقول: عن عبيد الله بن موسى وقيل انه عمر هذا[2].
٣٧٠ - عمر بن سعيد أبو حفص الدمشقى. عن سعيد بن عبد العزيز وسعيد بن بشير بواطيل.
٣٧١ - عمر بن صالح بن أبى الزاهرية واسطى عن أبى حمزة.
٣٧٢ - عمر بن غياث وقيل عمرو كوفى. عن عاصم وعبد الملك بن عمير[3].
٣٧٣ - عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة الثقفى. عن أبيه عن جده وأبوه لا يعرف إلا به، وروى أيضا عن زياد بن علاقه عن المنهال بن عمرو[4].
٣٧٤ - عمر بن محمد بن صهبان. مدنى عن الزهرى وأبى حازم[5].
٣٧٥ - عمر بن قيس. سندل مكى. عن الزهرى وعطاء وعمرو بن دينار.
٣٧٦ - عمر بن راشد اليمامى. عن يحى بن أبى كثير.
٣٧٧ - عمير بن عمران الحنفى. عن علاء بن خالد والعلاء يعتبر به.
٣٧٨ - عمارة بن جوين. أبو هارون العبدى متلون خارجى وشيعى يصلح أن يعتبر له بما يرويه عنه الثورى والحمادان[6].

---

(١) انظر ميزان الاعتدال ٣/١٩٧.
(٢) انظر ميزان الاعتدال ٢/٢٢٤.
(٣) انظر ميزان الاعتدال ٢/٢١٦.
(٤) قال الذهبى: قال الدارقطنى، متروك، ميزان الاعتدال ٣/٢١١.
(٥) قال الذهبى: قلت هو عمر بن صهبان نسب إلى جده، ميزان الاعتدال ٣/٢٢٠.
(٦) قال الذهبى: قال الدارقطنى، متلون خارجى وشيعى فيعتبر بما روى عنه الثورى، ميزان الاعتدال ٣/١٧٣.

٣٧٩ ـ عماره بن زاذان الصيدلانى . بصرى عن ثابت وأبى غالب جزور[١] .
٣٨٠ ـ عباد بن جويريه بصرى . عن الأوزاعى .
٣٨١ ـ عباد بن كثير بصرى . نزل مكة عن الحسين .
٣٨٢ ـ عباد بن كثير . رملى فلسطينى . عن البصريين وعن قتيلة عن ابنها .

٣٨٣ ـ عمرو بن جابر أبو زرعة . مصرى تابعى عن جابر .
٣٨٤ ـ عمرو بن جميع . كوفى . وكان بحلوان .
٣٨٥ ـ عمرو بن عطية العوفى . ضعيف .
٣٨٦ ـ عمـــرو بن أبى روق[٢] .
٣٨٧ ـ عطيه بن الحارث . ضعيف .
٣٨٨ ـ عمرو بن الحصين العقيلى . متروك عن الأعمش ويحى بن سعيد وابن جريج .
٣٨٩ ـ عمرو بن زياد الثوبانى . يضع الحديث .
٣٩٠ ـ عمرو بن عثمان الكلابى . ضعيف .
٣٩١ ـ عمرو بن واقد دمشقى . عن عمر بن يزيد البصرى ويونس بن ميسرة[٣] .
٣٩٢ ـ عمرو بن الأزهر بصرى . قاضى جرجان كذاب . عن البصريين .
٣٩٣ ـ عبيد بن القاسم كوفى ضعيف .
٣٩٤ ـ عبيد بن إسحاق العطار . كوفى ضعيف .
٣٩٥ ـ عمـروبن جريـر أبـو سعيد البجلى . كوفى . عن محمد بن عمرو واسماعيل بن أبى خالد[٤] .
٣٩٦ ـ عمرو بن قائد بصرى . قد روى عن بصريين ومكيين ومدنيين .
٣٩٧ ـ عمرو بن شمر أبو عبد الله . كوفى . عن جابر وعن جعفر بن محمد .
٣٩٨ ـ عمرو بن عبيد أبو عثمان . بصرى عن الحسن .

---

(١) قال الإمام أحمد : كذاب، ديوان ١٦٠ .
(٢) قال الذهبى : اسم أبيه عطيه ضعفه الدارقطنى، ديوان ٢٣٥ .
(٣) قال ابن حجر : متروك من السادسة ـ د ق ـ تقريب التهذيب ٢٦٣ .
(٤) قال الذهبى : متهم واه، ديوان ٢٣٤ .

٣٩٩ ـ عمرو بن ثابت بن هرمز. أبو المقدام . كوفى[١] .

٤٠٠ ـ عمرو بن خالد أبو خالد الواسطى . كذاب . عن أبى هاشم الرمانى وزيد بن على .

٤٠١ ـ عثمان بن عبد الرحمن يعرف بالوقاصي مدنى . عن الزهرى وابن أبى مليكة .

٤٠٢ ـ عثمان بن مقسم البرى بصرى. أبو سلمه عن يحى بن سعيد وهشام بن عروة[٢] .

٤٠٣ ـ عثمان بن عمير أبو اليقظان . كوفى . عن أبى الطفيل وسعيد بن جبير .

٤٠٤ ـ عثمان بن مطر بصرى. عن ثابت.

٤٠٥ ـ على بن يزيد الدمشقى . أبو عبد الملك بن القاسم .

٤٠٦ ـ على بن أبى على اللهبى . مكى . عن ابن المنكدر وجعفر بن محمد والزهرى .

٤٠٧ ـ على بن حزور. وهو ابن أبى فاطمة . كوفى عن أصبغ بن نباته وأبى مريم الحنفى[٣] .

٤٠٨ ـ على بن ظبيان . كوفى عن عبيد الله بن عمر وأبى حنيفة .

٤٠٩ ـ عاصم بن سليمان الكوزى . بصرى كذاب . عن هشام وغيره .

٤١٠ ـ عيسى بن أبى عيسى الحناط . مدنى . عن الشعبى وأخوه موسى بن أبى عيسى صالح الحديث واسم أبى عيسى ميسره[٤] .

٤١١ ـ عيسى بن ميمون . عن القاسم بن محمد وهشام بن عروه .

٤١٢ ـ فأما عيسى بن ميمون المكى . فهو ثقة يعرف بابن دايه يروى عن ابن أبى نجيح سكن البصرة .

٤١٣ ـ عيسى بن قرطاس . كوفى عن عكرمه والنخعى .

٤١٤ ـ عيسى بن هاشم البرى . أبو معاوية .

٤١٥ ـ عيسى بن المسيب . كوفى . عن عطية والشعبى .

---

(١) قال الذهبى : تركوه، ديوان ٢٣٤ .

(٢) قال الذهبى : كذبه جماعة ديوان ٢١١ .

(٣) قال الذهبى : قال الدارقطنى ضعيف، ويقال له على بن أبى فاطمة يدلس بذلك، ميزان الاعتدال ١١٨/٣ .

(٤) قال الذهبى : عيسى بن أبى عيسى ميسرة المدنى الحناط وهو الخياط . والخياط، ميزان الاعتدال ٣٢٠/٣ .

٤١٦ ـ عيسى بن مهران المستعطف. بغدادى. رجل سوء ومذهب سوء. روى عنه ابن جرير الطبرى[١] .
٤١٧ ـ عنبسة بن سعيد أخو الربيع السمان اشعث بن سعيد. ضعيف. عن الزهرى .
٤١٨ ـ عيسى بن ميمون بصرى. أبوعبيدة عن يزيد الرقاشى ويحى بن أبى كثير .
٤١٩ ـ عنبسة بن عبد الرحمن القرشى. أظنه بغدادى عن زيد بن أسلم وعبد الله بن نافع .
٤٢٠ ـ عقبه بن عبد الله الرفاعى. الاصم بصرى عن عطاء بن أبى رباح والحسن .
٤٢١ ـ عطاء بن عجلان بصرى. عن أنس وأبى ضمره[٢] .
٤٢٢ ـ عباس بن بكار الضبى بصرى. كذاب .
٤٢٣ ـ عباس بن الفضل الانصارى موصلى. ضعيف .
٤٢٤ ـ عطاف بن خالد المخزومى مدنى. ضعيف[٣] .





(١) قال الخطيب : كان من شياطين الرافضة ومردتهم وقع إلى كتاب من تصنيفه فى الطعن على الصحابة وتضليلهم واكفارهم وتفسيقهم فوالله لقد وقف شعرى عند نظرى فيه، وعظم تعجبى مما أودع ذلك الكتاب من الاحاديث الموضوعة. تاريخ بغداد ١١/١٦٧ .

(٢) قال الذهبى : قال الدارقطنى. ضعيف لا يعتبر به وقال مرة متروك، ميزان الاعتدال ٣/٧٥.

(٣) فى أصل المخطوط عطاف بن خالد العزرمى، والتصويب من كتب الرجال، انظر ميزان الاعتدال ٣/٦٩، تقريب التهذيب ٢٤٠ .

المـــروءة

قدم وفد على معاوية فقال لهم :

ما تعدون المروءة؟

قالــوا :

العفاف وإصلاح المعيشة .

وقيل للأحنف :

ما المروءة؟

قـــال :

العفة ، والحرفة .

وقـــال :

لا مروءة لكذوب ، ولا سؤدد لبخيل ، ولا ورع لسيىء الخلق .

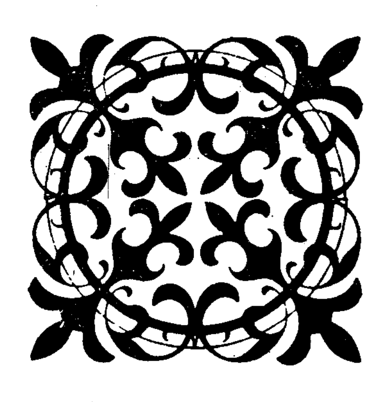
وقال العتبى عن أبيه :

لاتتم مروءة الرجل إلا بخمس :

أن يكون عالما ، صادقا ، عاقلا ، ذا بيان ، مستغنيا عن الناس .

وقال الشـاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه   ففى صالح الأعمال نفسك فاجعل




لغة
و
أدب





أختى العزيزة هـل :

فى رسـائلى التسـع السـابقة كان حديثى إليك عن همزة الاستفهام الداخلة على «لم» النافية الجازمة للفعل المضارع ، وقد انتهى ذلك الحديث واكتمل ، أما فى رسالتى العاشرة هذه فسوف أحدثك عن شىء جديد هو حالى مع لا النافية للفعل المضارع .

لقد جئت أنا همزة الاستفهام مع لا النافية هذه على صور متعددة وصيغ مختلفة كان أكثرها ورودا ﴿**أفلا تعقلون**﴾ ، فقد جاءت هذه الصيغة فى أربع عشرة آية من آيات القرآن الكـــريم :

الآية الأولى قوله تعالى ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ الآية (٤٤) من سورة البقرة .

وقد نزلت هذه الآية فى أحبار اليهود من زمن الرسول ﷺ ، كانوا يأمرون الناس بطاعة الله وعمل الخير واتباع ماجاء فى التوراة - وفيها صفة الرسول ﷺ والأمر بتصديقه - ثم هم لا يتبعون ماجاء فيها ، مع أنهم يقرءونها ويعلمون ما اشتملت عليه .

وفى هذه الآيـة ينكـر الله سبحانه وتعالى على أولئك الأحبار ويوبخهم وينعى عليهم أن يجمعوا بين هاتين الحالتين : أن يأمروا الناس بالبر وأن يتركوا هم أنفسهم فعله ، مع أنهم يتلون التوراة وفيها النهى عن هذا الوصف الذميم ، غير أن معنى الإنكار والتوبيخ عام يشمل كل ما يسلك سبيل أولئك الأحبار فيخالف عملُه قولَه : يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويأتيه .

وقـد ختمت هذه الآيـة بقـولـه تعـالى ﴿**أفـلا تعقلون**﴾ وهـو استفهـام إنكار وتوبيخ وتقريع ، يخاطب الله سبحانه وتعالى به أحبار اليهود أولئك ، وينكر عليهم انتفاء العقل عنهم وقبح إد راكهم وسـوء تفكـيرهم ، ويوبخهم على ذلك ويقرع . إذ لو كان فيهم إدراك سليم وفهم مستقيم لمنعهم ذلـك من قبـح ماارتكبـوه من أمـر غيرهم بالـبر وإمسـاك أنفسهم

عنه، فحالهم هذه حال من سلب عقله، لأن العاقل يسعى أولا إلى تحصيل الخير لنفسه، ثم بعد ذلك إلى تحصيل الخير لغيره .

الآية الثانية قوله تعالى ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون**﴾ الآية (٧٦) من سورة البقرة .

تبين هذه الآية الكريمة أن منافقى اليهود فى المدينة زمن الرسول ﷺ كانوا يقولون للذين آمنوا إذا لاقوهم قد آمنا بما آمنتم به، ويذكرون لهم أن سبب إيمانهم ما وجدوه فى التوراة من نعت النبى ﷺ والتبشير به، وإذا خلا اليهود بعضهم إلى بعض بعيدا عن المؤمنين أخذ الفريق الذى لم يؤمن ولم ينافق ينكر على الفريق الآخر المنافق أن يحدثوا المؤمنين بأن التوراة قد ذكرت صفة النبى ﷺ وبشرت به، لأن عاقبة ذلك أن يكون للمؤمنين فى هذا الحديث حجة عليهم عند ربهم، ثم يختمون إنكارهم قائلين لهم ﴿**أفلا تعقلون**﴾ وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكرون عليهم عدم التعقل ويوبخونهم على غروب الفهم السليم عنهم ﴿**فيما يزعمون**﴾ ، ويقرعونهم على انتفاء الأدراك القويم ﴿**فيما يظنون**﴾ ، إذ لو كان لديهم بصر فى الأمور وحسن إدراك للعواقب ما حدثوا ذلك الحديث الذى يكون حجة للمؤمنين على المنافقين عند الله يوم يقوم الحساب .

الآية الثالثة قوله تعالى ﴿**يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون**﴾الآية (٦٥) من سورة آل عمران .

جاء فى تفسير ابن كثير : (ج ١ ص ٣٧٢) : عن ابن عباس رضى الله عنه قال : إجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ ، فتنازعوا عنده. فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا، فأنزل الله تعالى ﴿**ياأهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم**﴾ . . . الآية. أى كيف تدعون أيها اليهود أنه كان يهوديا وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تدعون أيها النصارى أنه كان نصرانيا وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر، ولهذا قال ﴿**أفلا تعقلون**﴾ . اهـ ماجاء فى تفسير ابن كثير .

فهذا الاستفهام ﴿**أفلا تعقلون**﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك اليهود والنصارى ادعاء كل منهم أن إبراهيم عليه السلام كان على شريعته، والحال أن شريعتيهما متأخرتان عنه فى الوجود، فكيف يكون إبراهيم على إحداهما مع تقدمه عليهما .

وهـو أيضـا استفهـام توبيـخ على ذلك الادعاء، لأنه ادعاء من لا يعقل، إذ أن العقل يمنع من ذلك لاستحالته، فما هو إلا غلط وخلط ومكابرة .

الآية الرابعة قوله تعالى : **﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾** الآية (٣٢) من سورة الأنعام .

﴿أفـلا تعقلون﴾ استفهـام إنكـار وتوبيخ : ينكر الله جل وعلا على المكذبين بالبعث القـائلين **﴿إن هى إلا حيـاتنـا الـدنيا وما نحن بمبعوثين﴾** ويوبخهم على انتفاء العقل عنهم وعدم التدبر والتفكير فى حال الدنيا وحال الآخرة :

فى أن الحياة الدنيا لعب ولهو، ليس لها نفع يدوم، وليس من ورائها طائل، فالانصراف إلى اللعب واللهو فيها اشتغال بما لاغنى فيه ولا فائدة من ورائه .

وفى أن الحيـاة الآخـرة هى خير للذين يتقـون الله بطاعته واجتناب معاصيه، فالآخرة هى التى تدوم وتبقى، لا يدركهـا فنـاء ولا موت، فالاشتغال بأعمالها والانصراف إلى ما ينفع فيها هو ما يقتضيه العقل السليم والنظر الثاقب .

الآية الخامسة فى قوله تعالى : **﴿وقطعناهم فى الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلـك وبلونـاهم بالحسنـات والسيئـات لعلهم يرجعـون (١٦٨) فخلف من بعـدهم خلْف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يأخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون﴾** ـ الآيتان (١٦٨-١٦٩) من سورة الأعراف .

تقـدم ما تضمنتـه هاتـان الآيتـان الكـريمتـان فى الـرسـالـة التـاسعة عند بيان معنى الاستفهام فى قوله تعالى **﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب﴾** . . . الآية .

أمـا الاستفهـام الـذى جاء فى قوله تعالى : **﴿أفلا تعقلون﴾** فهو استفام إنكار وتوبيخ لهؤلاء الخلف من اليهـود الـذين ورثـوا التوراة عن أسلافهم يأخذون العرض الأدنى والرشا الخسيسة على أحكامهم المخالفة لما جاء فى التوراة ويقولون سيغفر لنا الله .

إنكـار وتـوبيـخ لهم أن لم يدركوا أن ما عند الله فى الدار الآخرة خير للذين يتقون ربهم فيحكمـون بين النـاس بالعـدل ، خير لهم من هذا العـوض الأدنى والـرشـا الخسيسة التى يستعجلونهـا فى هذه الـدنيـا بالحكم على خلاف ما أمـر الله ، والقضاء بين الناس بالكذب المفترى على التوراة .

الآيـة السـادسة فى قوله تعالى : **﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقـاءنـا إئت بقـرآن غير هذا أو بدلـه قل ما يكـون لي أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما**

يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم (١٥) قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون﴾ (١٦) - الآيتان (١٥ - ١٦) من سورة يونس .

تتضمن الآية الأولى من هاتين الآيتين الكريمتين أن كفار قريش الذين لا يؤمنون بالبعث كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم حين يتلو عليهم آيات من القرآن واضحات نيرات ليس فيها لبس ولا غموض ، كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا القرآن الذى تتلوه علينا أو بدل بعض آياته وغير من أنماطه ، فيقول لهم الرسول ﷺ لا أستطيع أن أفعل ذلك من قبل نفسى ، فأنا لا أتبع إلا ما يوحى إليّ من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تحريف ولا افتراء ، أنا عبدٌ مأمورٌ مبلغٌ ، إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم .

وفى الآية الثانية أمر الله عز وجل رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفار محتجا عليهم موبخا لهم : لو شاء ربى ما تلوت هذا القرآن عليكم ولا أعلمكم به على لسانى ، فأنا أتلوه عليكم بمشيئته تعالى ، فما هذا التكذيب الذى تكذبون ، لقد لبثت فيكم من قبل هذا أربعين سنة أو تزيد ، تشهدون لي بالأمانة والصدق ، لم تأخذوا عليّ نقيصة ولا غمصاً ، فكيف أصبح فجاءة كاذبا على الله بهذا القرآن . لقد ضاعت عقولكم ، وسقم فهمكم ، وساء تفكيركم ، وضل عنكم الهدى والرأى أيها المكذبون .

فالاستفهام فى قوله تعالى : **﴿أفلا تعقلون﴾** استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على أولئك المشركين ويوبخهم على أن لم يعقلوا أن من لبث فيهم عمراً طويلا لم يأخذوا عليه نقيصة ، ولم يرتكب فيهم إثما ، ولم يأت شيئا من هذا اللهو والعبث - لا يمكن بعد هذا أن يفترى على الله الكذب ، وأن يدعى أنه رسول ، وأن يجيء بهذا القرآن العظيم من عنده .

الآية السابعة فى قوله تعالى : **﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون (٥٠) يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون﴾** . (٥١) - الآيتان (٥٠ - ٥١) من سورة هود .

﴿أفلا تعقلون﴾ استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر هودٌ عليه السلام على قومه ويوبخهم أن لا يعقلوا أن من ينصح قومه وهم أقرب الناس إليه لا يبتغى من وراء ذلك أجراً منهم ، وإنما يبتغى ثوابا من عند الله الذى خلقه - ينبغى أن يصدقوه حين ينصح لهم أن ينبذوا الأصنام ، وأن يستجيبوا إلى ما يدعوهم إليه من عبادة الله وحده ، وأن يؤمنوا بأنه رسول الله إليهم .

الآيـة الثـامنـة قولـه تعـالى : **﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القـرى أفلم يسـيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون﴾** . الآية (١٠٩) من سورة الكهف ·

تتضمن هذه الآية الكريمة : وما أرسلنا من قبلك يامحمد إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى، فلم يكونوا نساء ولا ملائكة ولا أعرابا، فإرسالنا إياك ليس بدعا بين الرسل .

ثم ينكـر الله سبحـانه وتعالى على المكذبين بمحمد ﷺ ويوبخهم على أن لم يسيروا فى الأرض فينظروا الدمار والهلاك والعذاب الذى حل بالأمم التى كذبت الرسل، فيعتبروا ويؤمنوا وينالوا بإيمانهم نعيم الآخرة الذى هو خير وأبقى .

وفى ختام هذه الآية يقول جل وعلا **﴿أفلا تعقلون﴾**، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكـر الله سبحـانـه وتعالى على أولئك المكذبين ويوبخهم على أن لم يكن لهم عقول تتـدبـر وتفكـر، وتنظـر فى عواقب الأمور وتبصر، فترى كيف كان عاقبة المكذبين بالرسل من قبـل، فتـؤمن بدل أن تكفـر، وتصـدق برسول الله ﷺ بدل أن تكذب هذا التكذيب القائم على الجهل والعناد وسوء الفهم وضياع العقل السليم .

الآيـة التـاسعـة قوله تعالى : **﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾** الآية (١٠) من سورة الأنبياء .

﴿أفـلا تعقلون﴾ استفهـام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على كفار قريش ويوبخهم على إغفالهم التعقل والتفكر وتركهم النظر والتدبر فيما جاء فى هذا القرآن العظيم الذى أنزله جل وعلا إليهم وفيه موعظة وتذكرة لهم .

الآيـة العـاشـرة فى قولـه تعالى : **﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضـركم (٦٦) أُفٍّ لكم ولـما تعبـدون من دون الله أفـلا تعقلون﴾** . (٦٧) الآيتان :(٦٦- ٦٧) من سورة الأنبياء .

تتضمن هاتـان الآيتـان الكـريمتان أن إبراهيم عليه السلام قال لقومه الذين يعبدون الأصنام موبخا لهم : أتعبدون أصناما لا تستطيع أن تأتى بشىء من الخير، ولا تستطيع أن تدفع عن نفسها ولا عنكم شيئا من الضر، وتتركون عبادة الله القادر على كل شىء ؟ ! .

ثم أظهـر تضجـره منهم ومن أصنامهم فقال : قبحاً لكم ولهذه الأصنام التى تعبدونها من دون الله، وختم قولـه بهذا الاستفهـام **﴿أفـلا تعقلون﴾** ، وهـو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكـر عليهم ويـوبخهم ألا يعقلوا ويفهمـوا قبـح ما يفعلون، قبـح عبادة أصنام لا تعقل ولا

تملك القدرة على القول، ولا تستطيع أن تجلب لهم أو لنفسها الخير، ولا أن تدفع عن نفسها أو عنهم الشر، وقبح ترك عبادة الخالق الرازق القادر على كل شىء .

الآية الحادية عشرة فى قوله تعالى : **﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٧٨) وهو الذى ذرأكم فى الأرض وإليه تحشرون (٧٩) وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾** . الآيات (٧٨ - ٨٠) من سورة المؤمنون .

تتضمن هذه الآيات الكريمة الثلاث أن الله جل وعلا قد أنشأ للناس السمع والأبصار والأفئدة، وجعل فيها من المنافع الدينية والدنيوية ما يفوق العدّ والوصف، فهى من أعظم النعم التى أنعمها الله تعالى على عباده، فكان حقاً عليهم أن يُعملوا هذه الأعضاء فيما خلقها الله جل وعلا من أجله، فيسمعوا آياته التى تسمع، ويبصروا آياته التى تبصر، ويستدلوا بقلوبهم على أن الذى خلق هذه الآيات كلها واحد لا شريك له، فيشكروا له عز وجل هذه النعم ومن شكر النعم الإقرار بالمنعم بها ونفي الند والشريك له، ولكن الناس قليلا ما يشكرون الله تعالى وهو الذى خلقهم فى هذه الأرض وبثهم فيها وإليه يرجعون ليجازيهم على أعمالهم . وهو الذى يحيى ويميت، وهو الذى جعل الليل والنهار يتعاقبان فى دقة وإحكام، ويختلفان على تقدير وانتظام، وفى ذلك عبرة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورا .

وفى ختام هذه الآيات قال تعالى **﴿أفلا تعقلون﴾**، وهو استفهام إنكار وتوبيخ : ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الناس الذين لا يؤمنون، ينكر عليهم ألا يكون عندهم عقل يفكر وينظر ويستبصر وقلب يفقه، ويوبخهم على أن لم يتدبروا آيات الله التى يسمعون، وآياته التى يبصرون، ومنها آية الليل ليسكنوا فيه وآية النهار المبصر ليبتغوا فيه من فضله، يتعاقبان بدقة ويختلفان بانتظام، ويتواليان بحساب فلا خلل ولا اضطراب، يوبخهم على أن لم يتدبروا ذلك فيدركوا أن الله الذى خلق هذه الآيات وهو الذى يحيى ويميت هو الواحد الذى لا شريك له، وهو القادر على أن يعيد الحياة مرة ثانية إلى من أماته بعد إحيائه أول مرة .

الآية الثانية عشرة قوله تعالى : **﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾** . الآية (٦٠) من سورة القصص .

تتضمن هذه الآية الكريمة أن ما تُعطَونه أيها الناس من أشياء حسنة طيبة تفرحون بها وتستمتعون، وأشياء جميلة تتخذونها زينة لكم تتباهون بها وتفخرون، أمدها قليل لا يطول ولا يعمر وسرعان ما تولى وتدبر .

أما ما عند الله من الثواب الذى أعده لعباده المؤمنين فهو الدائم الباقى لا يفنى ولا ينذثر .

وقوله تعالى فى ختام هذه الآية ﴿**أفلا تعقلون**﴾ استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكر عليهم ويوبخهم أن لم يعقلوا ويدركوا أن نعيم الآخرة الذى لا انقضاء له ولا فوت، ولا فناء معه ولا موت، خير لهم من طيبات هذه الحياة الدنيا وزينتها، تلك التى لا تدوم لهم ولا يدومون لها . فأين العقول السليمة التى تحسن الاختيار، فتؤثر نعيم دار القرار على نعيم دار الزوال .

الآية الثالثة عشرة فى قوله تعالى : ﴿**ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٦٦) ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون (٦٧) ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون**﴾ . الآيات (٦٦ ـ ٦٨) من سورة ياسين .

تتضمن هذه الآيات الكريمة الثلاث أن الله سبحانه وتعالى لو يشاء أن يعمى الكافرين جزاء كفرهم لأعماهم فما استطاعوا أن يبصروا الطريق الذى يريدون ولا الجهة التى يسلكون .

ولو يشاء أن يقعدهم فى مساكنهم وأن يفقدهم قواهم فى منازلهم جزاء كفرهم لفعل، فما استطاعوا ذهاباً إلى أمام ولا رجوعاً إلى خلف .

ولكنه سبحانه وتعالى لم يشأ أن يطمس على أعينهم ولا أن يمسخهم على مكانتهم رحمة منه تعالى بهم وإمهالا لهم .

وتتضمن أيضا أن كل من يطيل الله عمره ينكسه فى الخلق فيرده بعد أن بلغ أشده إلى حال شبيهة بحال الطفولة فى ضعف البنية وقلة التمييز والإدراك فلا يعلم من بعد علم شيئا .

وفى ختام الآية الثالثة قال تعالى ﴿**أفلا يعقلون**﴾ **وهو استفهام إنكار وتوبيخ :**

ينكر الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الكافرين ويوبخهم أن لم يعقلوا ويدركوا أن الله القادر على أن ينكس المعمر فى الخلق قادر ـ لو يشاء ـ أن يطمس على أعينهم وأن يمسخهم على مكانتهم جزاء كفرهم، فالله على كل شىء قدير .

الآية الرابعة عشرة فى قوله تعالى : ﴿وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا فى الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخَرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا يعقلون﴾ (١٣٨) . الآيات (١٣٣ ـ ١٣٨) من سورة الصافات .

قوله تعالى ﴿**أفلا تعقلون**﴾ استفهام إنكار وتوبيخ :

ينكـر الله سبحـانـه وتعالى على كفار مكة ويوبخهم أن يغرب عنهم العقل وأن يغيب عنهم التدبر والتفكير وإنهم ليمرون على ديار قوم لوط ليلا ونهارا وهم فى طريقهم إلى الشام للتجـارة ، فلا يعتـبر ون بتـدمـير تلك الـديـار على أهلهـا قوم لوط جزاء كفرهم وتكذيبهم رسولهم ، وانغماسهم فى المعاصى الخبيثة التى كانوا يفعلون .

أختى العزيزة هل :

أكتفى بهذا الـذى كتبت من هذه الـرسـالة ، وأسأله تعالى أن يعين على رسالة قادمة يكون فيها الخير والنفع والسداد .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أختك

همزة الاستفهـــام

المراجـــــــع

١ ـ البحـر المحيـط لأبى حيـان الأنـدلسى ـ النـاشـر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض ج ١ ص ١٨٢ / ج ١ ص ٢٧٢ / ج ٢ ص ٤٨٤ / ج ٤ ص ١٠٨ / ج ٤ ص ٤١٧ / ج ٥ ص ١٣١ / ج ٥ ص ٢٣٢ / ج ٥/ ٣٥٢ / ج ٦ ص ٢٩٩ / ج ٦ ص ٣٣٦ / ج ٦ ص ٤١٧ / ج ٧ ص ١٢٧ / ج ٧ ص ٣٤٥ / ج ٧ ص ٣٧٤ /

٢ ـ تفسـير أبى جعفـر بن جريـر الطـبر ى ـ النـاشر : شركة الحلبى بمصر ـ الطبعة الثـالثــة : ج ١ ص ٢٥٨ / ج ١ ص ٣٧٢ / ج ٣ ص ٣٠٤ / ج ٧ ص ١٨٠ / ج ٩ ص ١٠٧ / ج ١١ ص ٩٥ / ج ١٢ ص ٥٧ / ج ١٣ ص ٨٠ / ج ١٧ ص ٤٢ / ج ١٨ ص ٤٦ / ج ٢٠ ص ٩٦ / ج ٢٣ ص ٢٥ / ج ٢٣ ص ٩٧ / .

٣ ـ تفسير أبى السعود ـ الناشر : مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد ـ القاهرة :

ج ١ ص ٩٧ / ج ١ ص ١١٧ / ج ٣ ص ١٢٥ / ج ٣ ص ٢٢٨ / ج ٤ ص ١٢٨ / ج ٤ ص ٤٠٤ / ج ٦ ص ٧٦ / ج ٦ ص ١٤٦ / ج ٧ ص ٢٠ / ج ٧ ص ١٧٧ / ج ٧ ص ٢٠٥ / .

٤ ـ الفتوحات الإلهية المعروفة بحاشية الجمل على الجلالين ـ الناشر : الحلبى بمصر :

ج ١ ص ٤٧ / ج ١ ص ٦٨ / ج ٢ ص ٢٢ / ج ٢ ص ٢٠٦ / ج ٢ ص ٣٣٨ / ج ٢ ص ٤٨٧ / ج ٣ ص ١٢١ / ج ٣ ص ١٤٦ / ج ٣ ص ٥٥٢ // .

٥ ـ تفسير ابن كثير ـ الناشر : الحلبى بمصر :

ج ١ ص ٣٧٢ / ج ٢ ص ٢٦٠ / ج ٢ ص ٣٣٨ / ج ٣ ص ٢٥١ / ج ٤ ص ٢٠ / .

٦ ـ تفسير الكشاف للزمخشرى ـ الناشر : الحلبى بمصر :

ج ١ ص ٢٧٧ / ج ٢ ص ٢٧٥ / ج ٣ ص ٤٠ / ج ٣ ص ٣٢٩ / .



رذيلة السعاية

سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة . فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك :

إياك . أن تمدحنى فأنا أعلم بنفسى منك ، أو تكذبنى فإنه لا رأى لكذوب ، أو تسعى إلىّ بأحد ، وإن شئت أقلتك .

فقال الرجل : أقلنى يا أمير المؤمنين .

الشاعر الإسلامى

أحمد محرّم فى رأى النقاد

-٢-

للدكتور صلاح الدين محمد عبد التواب
أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

لم يكن ديوان (مجد الإسلام) للشاعر أحمد محرم هو كل ما صدر عن ذلك الشاعر الذى أجله معاصروه فقد كان له بجانب ذلك ديوان كبير فى جزأين (صدر الجزء الثانى منه فى سنة ١٩٢٠م) وهو فى شعره يصدر عن نزعة إنسانية محبة للحق وللخير وللتآلف، وقد أذكى من هذه النزعة فى نفسه ما استقاه من دينه الإسلامى دين الفطرة الخالصة . . فهو فى كل ما يعبر عنه إنما يصدر عن تلك النزعة التى كانت تشب لتعلن عن نفسها دائماً فى شعره، من مثل قوله فى حائيته المشهورة التى يحث فيها على نبذ التناحر والشقاق والعودة إلى حياة الحب والإخاء :

فيمَ التَّناحر والخلائق أخوة ... والعيش حق للجميع مباح؟
والدهر سمح والحياة خصيبة ... والرزق جمٌّ والبلاد فساح
أنظل فى الدنيا يفرق بيننا ... بُغْضٌ ويجمعنا وغى وكفاح؟
ما بالنا نشقى لتنعم عصبة ... ملكت، فلا رفق ولا إسجاح؟

ومن مثل قوله فى الدعوة إلى الإتحاد وضم الصفوف : (١)

ليس الشقاء بزائل عن أمة ... حتى يزول تفرق وتحزب
من لى بشعب فى الكنانة لا القوى ... تنشق منه ولا الهوى يتشعب
متألب ببغى الحياة كأنه ... جيش على أعدائه يتألب

ثم هاهو ذا يؤكد أنه لا عز ولا قوة ولا إستقرار إلا فى التمسك بالدين وقيمه والعمل بمبادئه فيقول : (٢)

---

(١) ديوان محرم جـ٢ ص١٢٥ .
(٢) ديوان محرم جـ١ ص١١٣ .

هل الـــديــن إلا معـــقــل نحــتــمـى به — إذا دلــف الــعــادى إلـيـنـا فأســرعــا
هو الــديــن إن يذهــبْ فلا عز بعــده — وإن جَدَّ ساعــيــنــا على إثــر من سعـى
ولا ديــن حتــى ينــزعــوا عن ضلالهــم — ويــصــبــح منهــم موطــن الـغـى بلقـعـا
وحــتــى يصــونــوا للكـتــاب زمــامــه — وحــتــى يكــونــوا ساجــديــن وركـعــا
هنــالــك يقــوى منهــم ما تضعــضعــا — ويــثــبــت من بنــيــانهــم ما تزعــزعــا

* * *

ومن أجل الدعوة إلى قيام جامعة عربية قوية[1] كانت صرخة الشاعر محرم:

أمــم الــعــروبــة جاء يومــك فاعـلمـى — وإلــى مكــانــك فانهـضـى وتـقــدمـى
لك فى فم الأحــداث دعــوة صارخ — ينــفــى الــقــرارعن الــشــعــوب الــنُّــوَّم
فدعى المضــاجــع وانفضى عنـك الكـرى — وخــذى الــسـبــيــل إلــى المقــام الأعظم
ضمّــي الــقــوى وتجــمـعــى فى وحــدة — عربــيــة تحمــى الــلــواء وتحــتــمــى
هذا زمــان ليس يفــهــم أهــلــه — إلا حديــث الــنــار أو لغــة الــدّم
كثــرت لغــات الــعــالمــين وهــذه — أو فى بيــانــا فى الــلســان وفى الــفــم
والــعــدل أكــثــر ما يكــون حديــثــه — أنــشــودة الجــانــى ودعــوى المــجــرم
أم الــعــروبــة جد جدك فانظـمــى — من عقــدك المــنــثــور مالم ينظــم
لك أن تســودى تحت رايــتــك الــتــى — خفــقــت لها الــدنــيــا فسودى وأسلمى

* * *

بهذه الروح العالية المتوثبة . . وبتلك الشاعرية الفياضة المتدفقة جاء شعر أحمد محرم، سواء ما جاء منه فى الديوان بجزئيه أوما هتف به فى ديوانه (**مجد الإسلام**) وهويمضى فى إتجاه جيل بأكمله أتى بعد البارودى وهوجيل الشعراء المحافظين، حيث حرص ذلك الجيل على رصانــة الشعــر وقــوتــه وسلامة قافيته مع الإحتفاظ بالنغم الموسيقى واللفظ المنتقى ووضوح المعنى وإشراق الصورة، والسير على نهج الأقدمين فى نظام القصيدة وأغراض الشعر إلا ما اقتضته ظروف البيئة والعصر .

---

(١) راجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر د: محمد محمد حسين ص١٧٥ ـ ١٧٦ .

ولقد برز من الأدباء والنقاد فى عصرنا الجديد من قَدَّرَ شاعرية أحمد محرم . . من أمثال خليل مطران الذى كان ينعت أحمد محرم «**بشاعر العربية الفحل وأديبها الكبير**» .[1] .

كما يقـول ولى الـدين يكن : «أحمـد محرم فى شعـره نسيـج وحده ، وهو أقرب الشعراء المعـاصـرين ديبـاجـة من شعـراء العرب ، وما زال يعانى ذلك فى أول أمره معاناة حتى ملكه اليوم ، وصار ملكة فى طبعه ، وليس فى طبع الشعراء طبع أدل من طبعه وطبع حافظ إبراهيم على جودة الألفاظ ، وكما أن خليل مطران فاق النظراء ، بل فاق كثيرا من القدماء فى معانيه ، فكـذلـك أحمـد محرم وحافظ فاقا النظراء ، بل فاقا كثيرا من القدماء فى ألفاظهما وتراكيبهما . . وأقرب وصف فى هذا الباب أن يقال : أن خليلا أبلغ شعراء زماننا ، وأن محرماً وحافظ أفصحهم»[2] .

أمـا رأى (أحمـد زكى أبـو شادى) فى الشـاعـر أحمـد محرم فيأتى من خلال تعقيبه على الكـلام السـابق لولى الـدين يكن فيقول : «بيد أن الشعر ليس مسألة فصاحة ألفاظ ، ومهما يكن الجـرس المـوسيقى رائعـا فى شعـر محرم ، ومهـما تكن فصـاحته ناصعة وديباجته مشرقة ، فليس شىء من هذا بالـذى يكفى وحـده ليخلق له منـزلـة فنيـة ، وإنـما الـذى خلق له تلك المنـزلـة ـ قبـل كل اعتبار آخر ـ حرارة عاطفته ، وحرارة إيمانه القوى ، وتذوقه الجمال ، وتحليق خياله ، وذكاؤه الخارق الذى يجعل تأملاته عميقة نافذة»[3] .

ثم يعود (أبو شادى) بعد تعقيب على بعض أشعار أحمد محرم فيقول : وشاعرنا المعلم الحكيم المربى لأمته ، المدافع عن بيضة الإسلام . . والمتصرف فى فنون البلاغة تصرفاً أجله أمثال الرافعى وعبد المطلب والجارم ، كما تأثر به جيل لاحق من أمثال أحمد رامى وعلى محمود طه وعزيز أباظه ـ هو هو عينه الشاعر المستقل الرومانطيقى ، المفصح عن شخصيته النبيلة فى جميـع شعـره ، شأن الشـاعـر الحـر المطبوع ، وقد نوه الشاعر الجهير حسن كامل الصير فى فى عبقـريتـه فقـال : «إنى لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدى أنغام عذبة تطوف على خاطـرى فى حلم جميـل ، وإلى جانب هذه المـوسيقى التى يتساءل عنها فى قصيدة (وجودى) والتى يلمس تأثيرها فى أنفس قرائه فيقول :

---

(١) شعراء العرب المعاصرون : أحمد زكى أبو شادى ص٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص٤٩ .

(٣) شعراء العرب المعاصرون ص٤٩ ـ ٥٠ .

أمن أدبى تبيت الطير تبكى فما أدبى : أَشَدْوٌ أم رنين ؟

تتجلى تلك الديباجة العالية وتلك الجزالة السامية التى يقدرها فيه أدباؤنا ولن أكون إلا محقا حين أقول أنه كان يمتاز على حافظ إبراهيم فى الرنين العذب الذى صحب شعره الناضج ولازمه، إلا أن مرض الشرق الذى يظمىء الفنان الموهوب، والالتفات الدائم إلى صوتٍ أو صوتين دون أن يلتفت إلى بقية الأوتار الجميلة التى تؤلف أنشودة الخلود حالاً دون التقدير الكافى لشاعرية أحمد محرم»[1] .

ولعل **الشاعر الناقد حسن كامل الصيرفى** يثير فى قوله السابق إلى بعض الآراء الأخرى التى تغمط الشاعر أحمد محرم حقه ولا تقدره قدره ولا تنظر إلى شعره عامة أو إلى شعره فى ديوانه (**مجد الإسلام**) خاصة نظرة عدل وإنصاف .

ولقد كان **الدكتور شوقى ضيف** من الذين لا يرون فى ديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم ما يستحق أن يقدّر له من حيث الشاعرية . . . وكان أن عرض نماذج لبعض أشعاره ثم عقب عليها فى النهاية بقوله :[2] «وأكبر الظن أنه وقد اتضح لنا الآن صوت «محرم» فى هذه الإلياذه بكل سماته وخصائصه ، فهو لا يكتب ملحمة كالملحمة التى كتب فيها «هوميروس» الياذته ، إنما يكتب أو قل ينظم سيرة الرسول ، وفرق بين نظم السير والشعر القصصى ، ذلك لأن الأول عمل آلى ، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعراً ، أو قل : يحوله نظماً ، وهو لذلك لا يعالج حرباً ولا ملحمةً يعيشها وإنما يعالج سيرةً مطولة فيها الحرب وفيها غير الحرب .

ثم هذه الإلياذة الإسلامية كما سماها «محرم» لا تتناول حرباً واحدة من حروب الرسول ، وإنما تتناول مجموعة كبيرة من حروبه ، وهى تقف عند كل حرب فتعرضها علينا عرضاً تاريخياً صادقاً ما أمكن ، فيكون تاريخ ولا يكون شعر ، ولا يكون شاعر له انطلاقاته الواسعة ، ومن أين يكون الشعر والشاعر وقد حدد نفسه بحقائق التاريخ يحصيها فى إيجاز بالغ ، حتى لكأنه يؤلف متنا من متون التاريخ ، فلا شرح ولا حاشية من خيال وحلم يمثل لنا مشاهد الموقعة وكأنها تبعث من جديد بتفاصيلها ، إنما هى المشاهد نفسها تصاغ من جديد» .

---

(١) شعراء العرب المعاصرون أحمد زكى أبو شادى ص٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) دراسات فى الشعر العربى المعاصر. د. شوقى ضيف ص٥٤ ـ الطبعة السادسة .

ثم فى معرض المقارنة بين «الإلياذة» لهوميروس، وديوان مجد الإسلام للشاعر أحمد محرم يقول الدكتور شوقى ضيف: «وهذا هوميروس لم ينظم الآلاف المؤلفة من إلياذته فى حرب طروادة كلها التى ظلت عشر سنوات طوالا، وإنما نظمها فى حوادث سنتها الأخيرة، وأفسح لخياله فى العدو والانطلاق، فإذا هو يعطينا هذا العمل الخالد، ولست أقصد الحقيقة التاريخية كما هى، وإنما أقصد حقيقة فنه التى لا تنحرف بالتاريخ ولا تختلف معه، ومع ذلك فهى أروع منه ومن حقائقه الجافة.. وهل من شك فى أن «إلياذة» محرم جافة جفافاً شديداً وأنه لم يستطع أن يدخل على التاريخ المرقم فى سيرة الرسول الزكية حياة وجمالا؟.. أنها لا تزال كما هى فى كتب السيرة، لولا أن خصائصه كشاعر غنائى تظهر من حين إلى حين، ولكن الكثرة يظل فيها التاريخ ويظل فيها الإحصاء، وتظل الأرقام، يظل كل ذلك كما هو بدون أى تعديل أو اختلاف» (١).

ثم يعود الدكتور شوق ضيف ليضيف: «والخلاصة أن إلياذة (محرم) ليست كما يظن حدثاً جديداً فى أدبنا بل هى عمل مسبوق، وأن من الخطأ أن نسميها أو يسميها صاحبها إلياذة، وإنما هى مجموعة من القصائد فى سيرة الرسول وغزواته، وهى أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة إذ ليس فيها مشاعر مثيرة ولا صور حية ناضرة، فلا تقرؤها حتى تحس أنها زاخرة بالفتور، وسرعان ما يملؤك السأم والملل، وهى لذلك شىء بين الشعر الغنائى والشعر التعليمى الجاف»(٢).

تلك بعض أقوال الدكتور شوقى ضيف فى نقده لشعر أحمد محرم وبخاصة ما جاء فى ديوان (مجد الإسلام).. ولى فى هذا النقد ملاحظات. وأولى هذه الملاحظات أن الشاعر أحمد محرم لم يدّع أن شعره فى ديوانه من الشعر القصصى ولم ير فيه أحد ذلك حتى ينقده الدكتور شوقى ضيف على أنه من الشعر القصصى.. وواضح أن شعر محرم من ذلك النوع الغنائى الذى يبعث الشاعر فيه مشاعره وإحساساته إزاء ما تأثر به من مواقف وأحداث تستدعى الوقوف والتأمل ثم التعبير بما تجود به القريحة وما تفيض به الشاعرية ثم إنه لم تكن هناك فى شعر محرم تلك الآلية التى تحول التاريخ شعراً كما يقول الدكتور ضيف، وأين تلك الآلية عندما يقف الشاعر أحمد محرم ـ مثلا ـ عندما تهزه من أعماقه تلك البطولات الفذة التى تجلت فى مواقف شهداء بدر حيث يقول فيهم: (٣)

(١) دراسات فى الشعر العربى المعاصر ص٥٥ .
(٢) المرجع السابق ص٥٦ ـ ٥٧ .
(٣) ديوان مجد الإسلام ص٥٤ .

طف بالمصارع واستمع نجواها | والثم بأفياء الجنان ثراها
ضاع الشذى القدسى فى جنباتها | فانشق وصف للمؤمنين شذاها[1]
حلل يروع جلالها ومنازل | من نور رب العالمين سناها
ضمت حماة الحق ما عرف امرؤ | عزا لهم من دونه أو جاها
الطالعين به على أعدائه | موتا إذا نشروا البنود طواها
الخائضين من الخطوب غمارها | المصطلين من الحروب لظاها
الباذلين لدى الفداء نفوسهم | يبغون عند إلههم محياها
ما آثروا فى الأرض إلا دينه | دينا ولا عبدوا سواه إلها
قوم هم اتخذوا الشهادة بغية | لا يبتغون لدى الجهاد سواها

هم فى حمى الإيمان أول صخرة | فسل الصخور: أما عرفن قواها؟
حملت جبال الحق فى دنيا الهوى | بيضا شواهق ما تنال ذراها
تؤتى الممالك والشعوب حياتها | وتقيم من أمجادها وعلاها

* * *

شهداء بدر أنتم المثل الذى | بلغ المدى بعد المدى فتناهى
علمتم الناس الكفاح فأقبلوا | ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الفداء فقد قضيتم حقه | وجعلتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه | فدم الشهيد يبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم نر أمة | بلغت من المجد العريض مناها

* * *

ولئن كنت قد أطلت فى ذكر هذا النموذج الفذ من شعر أحمد محرم فى ديوانه مجد الإسلام، فإنما لأتحسس ما لاحظه الدكتور شوقى ضيف من تلك الآلية التى تحول التاريخ إلى نظم حتى لكأنه يؤلف متناً من متون التاريخ، أوكما وصف هذا الشعر فى مكان آخر بأنه جاف جفافاً شديداً، وأن إلياذة «هومير وس» أروع منه ومن حقائقه الجافة !!! .

لم أجد تلك الآلية وقد تتبعت ديوان مجد الإسلام ولم أجد ذلك الجفاف الشديد وإنما وجدت الشعور المتدفق الفياض وجدت تلك الصور الحية النابضة ووجدت تلك العبارة

(١) ضاع : فاح وانتشر .

القوية المؤثرة والألفاظ الجزلة الآسرة ووجدت الفكرة المثلى والحقيقة السامية . . كل أولئك فى إطار شعرى إمتزج بإحساس الشاعر فأبرزه صادقاً فى عاطفته حاراً فى إيهانه مؤثراً فى تعبيره رائعاً فى تصويره . . ولنستمد مثل قوله فى شهداء بدر:

هم فى حمى الإيمان أول صخرة ... فسل الصخور أما عرفن قواها؟

أو فى قوله:

من رام تفسير الحياة لقومه ... فدم الشهيد يبين عن معناها
لولا الدماء تراق لم نر أمة ... بلغت من المجد العريض مناها

* * *

فهل تخلو حقا تلك الأبيات وغيرها كثير - والديوان كله حافل بمثل تلك العاطفة القوية وذلك الشعور المتدفق - هل تخلو تلك الأبيات وأمثالها من المشاعر المثيرة والصور الحية الناضرة كما يقول الدكتور شوقى ضيف . . ؟ .

وهل حقا يحس القارىء لديوان أحمد محرم (مجد الإسلام) أن هذا الشعر زاخر بالفتور وسرعان ما يملؤه السأم والملل من هذا الشعر التعليمى الجاف؟ .

أرى أن هذا النقد لم يضع الشاعر أحمد محرم فى وضعه الصحيح وكأنى بالشاعر محرم وقد أحس بأنه لم يوضع فى موضعه ولم يقدر حق تقديره كأنى به أسمعه وهو يقول قبل وفاته فى عام ١٩٤٥م :

ظمئت، وفى فَنِّ الأدبْ المصفّى ... وضعت وفى يدى الكنز الثمين
ظلمت أبى ونفسى، أن مثلى ... لغال فى النوابغ لا يهون
كريم تدفع الأخلاق عنه ... ويمنع ركنه الأدب الحصين
أقول فيفزع الشعراء صوتى ... وما أنا فى بنى وطنى ظنين
لربى ما علمت وعند قومى ... ديونى حين تلتمس الديون

* * *

وأذكر ما قاله أحمد زكى أبو شادى فى تقديره لشاعرية أحمد محرم ضمن الذين قدروه: «إن أحمد محرم بنظمه ونثره عاطفة وتصويراً ونقداً . . لثروة غالية للأدب العربى الحديث جديرة بأن تدرس من جميع جوانبها وبأن ينوه بنفائسها تنويها أجل فى أقطار الضاد جميعها»(١) .

(١) قضايا الشعر المعاصر ص ٥٩ .

وَصِيَّة لِمُتَخَرِّج

للشيخ محمد بن عبد الله زربان الغامدي
وكيل عمادة شئون الطلاب بالجامعة الإسلامية

هذه القصيدة القاها الشاعر فى حفل التخرج الذى اقامته الجامعه الإسلامية بالمدينه المنوره فى نهاية العام الدراسى الماضى ١٤٠٢-١٤٠٣هـ

هبت رياح القوافى بعدما سكنت ... وبشرت أن فى طياتها مطرا
فلك المعانى ببحر العلم يدفعها ... موج المحبة لا يرضى لها ضررا
رست على شاطئ العرفان يعرفها ... أهل البيان وحذاق من الشعرا
ألفت بضاعتها، فالسابقون شروا ... من كل فن، ولم يظفر بها الفقرا
فقدم النثر ألواناً منوعة ... وأورد الشعر عذباً بعدما صدرا
والمزن بالخير قد هلت سحائبها ... وأخرجت ودقها هتانة دررا
وأينعت من ثمار العلم أطيبها ... تنبي بطيب الذى يسقى ومن بذرا
اليوم تجنى ثمار العلم يانعة ... ويفرح اليوم من ضحى ومن صبرا
يوم بجامعة الإسلام فى بلد ... قد ضم خير الورى أكرم به بشرا
يوم بجامعة الإسلام يشهده ... ضيف أجاب لداعى العلم قد حضرا
مواكب من بنى الإسلام قد حملت ... من مهبط الوحى علماً نفعه انتشرا
فى كل أرض بدت آثاره وغدت ... تعيد من تالد الإسلام ما انحسرا
العلم ما جاء فى آى الكتاب وما ... فى سنة المصطفى، فاعلم وكن حذرا
وطالب العلم محتاج لأربعة ... من الشروط وإن لم يوفها خسرا
ومن تفته فقد بانت خسارته ... يلقى الذى قد مضى من سعيه هدرا
تقوى الإله أساس العلم فاحض بها ... من يتخذها سبيلاً يدرك الظفرا
كذاك إخلاص علم فى متابعة ... لأكرم الخلق كنز للذى ادخرا

كذا التواضع شرط للتعلم من   حاز التواضع نال الخير واشتهرا

وآية العلم فى فعل يصدقه   يبقى لصاحبه من بعده أثرا

إن ضل قوم بما نالوا وأدركهم   من وزره بين طيات الثرى وسرى

فطالب العلم فى رضوان خالقه   يثاب حياً وميتاً بعدما قبرا

كلاهما عاش فى الدنيا وسار بها   ونال مما بها ـ فى عمره ـ وطرا

والفرق شتان بين السالكين فذا   يسير فى دربه ناجٍ وذا عثرا

وكم من الهالكين اليوم يقذفه   هواه نحو الردى يوماً وما شعرا

يظن من جهله أن السعادة فى   ما يشتهيه من الدنيا ولو حظر

وأن لذاتها تبقى له أبدا   ولا مرد إلى المولى ولا وزرا

حتى إذا ما تمادى فى غوايته   وغره ما يرى من صحة وثرى

وسره كثرة الأصحاب تصحبه   وإن تذكره بالرحمن ما ادكرا

أتته من ربه عقبى ضلالته   تبدل الصفو من لذاته كدرا

والمال مال به نحو الهلاك له   وقد رأى منه من قبل اللظى شررا

وخانه المال والأصحاب ما ثبتوا   كبيرهم ـ حين حل الخطب ـ قد صغرا

تحول العز ذُلاً ، والرضى سخطاً   وصار فى الناس من بعد الثنا خبرا

فياسعادة من رام النجاة غدا   فما توانى عن الخيرات أو قصرا

ويا شقاوة من ضل الطريق وقد   بانت له عبر كبرى فما اعتبرا

ياطالب العلم ، بعض الناس قدزهدوا   علم الشريعة ، قالوا : علم اندثرا

ولو وعوها تمام الوعى لاطلعوا   فيها من العلم مافى غيرها ندرا

من كل نافع علم للورى جمعت   وبينت سره لكن لمن بصرا

وللعلوم رجال لا يصدهم   عن نيلها عائق عنها ولو عسرا

يستسهل الصعب من رام الوصول إلى   أوج المعالى ويمشى السهل والوعرا

فاصبر وشمر لنيل العلم مدكرا   ماقيل من شاعر ماضى وقد اثرا

(لاتحسب المجد ثمراً أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا)

ويبتلى المرء كي تقوى عزيمته   ويذبل الزهر حتى يخرج الثمرا

فاصــدق مع الله فى قول وفى عمــل — وكــن شكــوراً إذا أعطـى له شكــرا
واعــمــل بعـلـمـك فى سر وفى علن — وألجأ إلــى الله فيــما قل أو كثـرا
نعـم الـتجـارة لا تخشى خســارتهــا — ما خاب من عامــل الــرحمن واتجــرا
لا خير فى الـعلم إن لم ينــج صاحبــه — من المهــالــك أو ما يوجب الضــررا
لا خير فى الـعـلم إن لم يدر صاحبــه — بما نهى الله عنــه أو به أمــرا
فيــما يراه الـفتـى من دهــره عجب — وان فيــه لأصـحــاب الـحـجــا عبرا
يكــاد قلب الغيــور اليـوم يصـدعـه — ما حل بالـنــاس مما أفســد الفطــرا
لكن يعــزيــه ماقــد لاح من رشــد — بين الشبــاب الـذى قد حقق النظـرا
على الطـريق استقـامـوا لا تزعزعهم — ريــح المعـاصى ولـو أعصـارهـا كبرا
للحــق ساروا رســول الله قدوتهــم — يحيــون من سنــة الإســلام ما فترا
فليـحـفــظ الله فيـهــم دينهم لنــرى — فى جيـلهم سيرة الصــديق أوعمــرا
أزكى الصــلاة على خير الـبر يـة من — قد ضمــه الــروح لما جاءه بحــرا

❋ ❋ ❋

فى الشدائد يعرف الاخوان

قيل : خير الاخوان من أقبل عليك إذا أدبر الزمان .

وقيل لبعض الولاة : كم صديقا لك؟

قال : لا أدرى، الدنيا مقبلة على، والناس كلهم أصدقائى، وإنما أعرف ذلك إذا أدبرت عنى .

وقال الشاعر :

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة — ولدى الشدائد تعرف الاخوان

قال غيره :

فإن أولى الموالى من تواليه — عند السرور لمن واساك فى الحزن
إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا — من كان يألفهم فى المنزل الخشن

من تراثنا الشعرى

مناسبة القصيدة :

لما استوزر باديس بن حيوس الصنهاجى صاحب غرناطة اليهودى يوسفَ بن إسماعيل المعروف بابن تغزالة ، استغل هذا اليهودى منصبه فى الدولة فقرب إخوانه اليهود ومكنهم من مناصب الدولة ، وأطلق أيديَهم فى الأموال فاستغلوا خيراتِ البلاد ، واستخفوا بالمسلمين وأذلّوهم ، فأحفظ هذا المَسْلَكُ مِن اليَهُودِىِّ ابْنِ تغزالة واخوانه الشَّاعرَ الزاهدَ أبا إسحاق إبراهيم بن مسعود التجيبى الإلبيرى الأندلسى فأنشأ هذه القصيده يخاطب فيها صنهاجة ويغريها باليهود ويُحَرِّضُ على ذبحهم والضغط عليهم لقاء ما اقترفوا من ذنب وما نكثوا من عهد ، وما أذلوا من نفوس .

وقد كان لهذه القصيدة ما أراد صاحبها ، فقد وَثَبَتْ صنهاجةُ على اليهود يومئذٍ واعملتْ فيهم سُيُوفَها وفيهم الوزير يوسف بن تغزالة .

وفيما يلى نص القصيدة :

ألا قُلْ لِصَنْهَاجَةٍ أجْمَعِين	بدورِ النَّدى وأُسْدِ العرينْ
لقد زَلَّ سيدُكم زلّةً	تَقِرُّ بها أعينُ الشامتينْ
تخيَّرَ كاتبَه كافراً	ولَوْ شَآءَ كان مِن المسْلمينْ
فعَزَّ اليهودُ به وانتخَوْا	وتَاهُوا وكانُوا مِنَ الأرْذَلِينْ
ونَالُوا مُنَاهُمْ وجَازُوا المَدَىٰ	فحَانَ الهلاكُ ومَا يشعُرونْ
فكم مُسْلِمٍ فاضلٍ قانتٍ	لأرْذَلِ قِرْدٍ مِنَ المشركينْ
ومَا كان ذلك من سَعْيِهِم	ولٰكِنَّ مِنَّا يَقُومُ المُعِينْ
فَهلَّا اقْتَدَىٰ فيهِمْ بالأُلَىٰ	مِنَ القَادَةِ الخِيرَةِ المتقينْ
وأَنْزَلهُمْ حيثُ يَسْتَأْهِلُونَ	ورَدَّهُمُ أسْفَلَ السَّافلينْ
وطافُوا لدَيْنَا بأَخْرَاجِهِمْ	عليهم صَغَارٌ وذُلٌّ وَهُونْ
وقَمُّوا المزابِلَ عَن خِرْقَةٍ	مُلَوَّنَةٍ لِدِثَارِ الدَّفينْ
ولمْ يَسْتَخِفُّوا بأَعْلامِنَا	ولم يَسْتَطِيلُوا عَلى الصَّالحِينْ

وَلا جَالسُوهُم وَهُم هُجْنَةٌ ... وَلا واكَبُوهُم مَعَ الأَقْرَبِينْ
أَبادِيسُ أنت امْرُؤٌ حاذِقٌ ... تُصِيبُ بظَنِّكَ نَفْسَ اليَقِينْ
فكَيْفَ اخْتَفَتْ عَنْك أعْيَانُهُمْ ... وفى الأرض تُضْرَبُ مِنْهَا القُرُونْ
وكَيْفَ تُحِبُّ فِراخَ الزِّنَا ... وَهُمْ بَغَّضُوكَ إِلَى العَالمينْ
وكيفَ يَتِمُّ لَكَ المُرْتَقَى ... إِذَا كُنْتَ تبْنِى وهُمْ يَهْدِمُونْ
وكيفَ اسْتَنَمْتَ إِلَى فاسِقٍ ... وَقَارنْتَهُ وهْوَ بِيسَ القَرِينْ
وقَد أَنْزَلَ اللهُ فِى وَحْيِهِ ... يُحَذِّرُ عَن صُحْبَةِ الفَاسِقِينْ
فلا تَتَّخِذْ مِنْهُمُ خَادِماً ... وذرْهُمْ إِلى لعْنَةِ اللاعِنِينْ
فَقَدْ ضَجَّتِ الأرضُ من فِسْقِهِمْ ... وكادَت تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينْ
تأمَّلْ بعيْنيك أقطارَهَا ... تجدْهُمْ كِلاباً بِهَا خاسِئِينْ
وكَيْفَ انفرَدْتَ بتَقْرِيبِهِمْ ... وَهُمْ فى البلادِ مِنَ المُبْعَدِينْ
عَلَى أَنَّكَ المَلِكُ المُرْتَضَى ... سَليلُ المُلوكِ مِنَ المَاجِدِينْ
وأَنَّ لَكَ السَّبْقَ بَيْنَ الوَرَى ... كَمَا أنتَ مِنْ جِلَّةِ السَّابِقِينْ
وَإِنِّى احْتَلَلْتُ بغَرْنَاطَةٍ ... فكُنْتُ أراهُمْ بِهَا عَابِثِينْ
وقَدْ قَسَّمُوهَا وأعْمَالَهَا ... فَمِنْهُمْ بكُلِّ مَكَانٍ لَعِينْ
وهُمْ يَقْبِضُون جِبَايَاتِهَا ... وهُمْ يَخْضِمُونَ وهُمْ يقْضِمُونْ
وهُمْ يلْبَسُونَ رَفِيعَ الكِسَا ... وأَنْتُمْ لِأَوْضَعِهَا لابِسُونْ
وهُمْ أُمَنَاكُمْ عَلَى سِرِّكُمْ ... وكَيفَ يَكُونُ خَؤُونٌ أمِينْ؟
ويأكُلُ غيرُهُمُ دِرهَماً ... فَيُقْصَى ويُدْنَوْنَ إِذْ يأكلونْ
وقَدْ ناهَضُوكُمْ إِلى رَبِّكُمْ ... فما تَمْنَعُونَ وَلا تُنْكِرُونْ
وقَدْ لابَسُوكُمْ بأسْحَارِهِمْ ... فَمَا تَسْمَعُون ولا تُبْصِرُونْ
وهُمْ يَذبَحُون بأسْواقِهَا ... وأَنْتُمْ لأطْرَافِهَا آكِلُونْ
ورَخَّمَ قِرْدُهُمُ دَارَهُ ... وأجْرَى إِلَيْهَا نَمِيرَ العُيُونْ
فصَارت حَوائجُنَا عِنْدَهُ ... ونَحْنُ على بَابِه قائمُونْ
ويَضْحَكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا ... فإنَّا إِلى رَبِّنَا راجِعُونْ
ولَوْ قُلْتَ فى مَالِهِ إِنَّهُ ... كَمَا لَكَ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينْ

فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً ... وَضَحِّ بِهِ فَهْوَ كَبْشٌ سَمِينْ
وَلا تَرْفَعِ الضَّغْطَ عن رَهْطِهِ ... فقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينْ

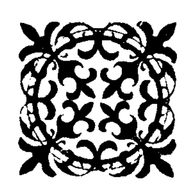
وَفَرِّقْ عِدَاهُم وخُذْ مَالَهُمْ ... فأَنْتَ أَحَقُّ بما يَجْمَعُونْ
وَلَا تَحْسَبَنْ قَتْلَهُمْ غَدْرَةً ... بَلِ الغَدْرُ فى تَرْكِهِم يَعْبَثُونْ
وقَدْ نكثُوا عَهْدَنَا عندَهُمْ ... فكَيْفَ تُلامُ عَلَى النَّاكِثِينْ
وكيفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ ... وَنَحْنُ خُمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونْ
ونَحْنُ الأَذِلَّةُ مِنْ بَيْنِهِمْ ... كَأَنَّا أَسَأْنَا وَهُمْ مُحْسِنُونْ
فلا تَرْضَ فِينَا بأفْعَالِهِمْ ... فأَنْتَ رَهِينٌ بِمَا يَفْعَلُونْ
وَرَاقِبْ إِلَهَكَ فِى حِزْبِهِ ... فَحِزْبُ الإِلَهِ هُمُ الغَالِبُونْ

●●●●●●●●●●●●●●

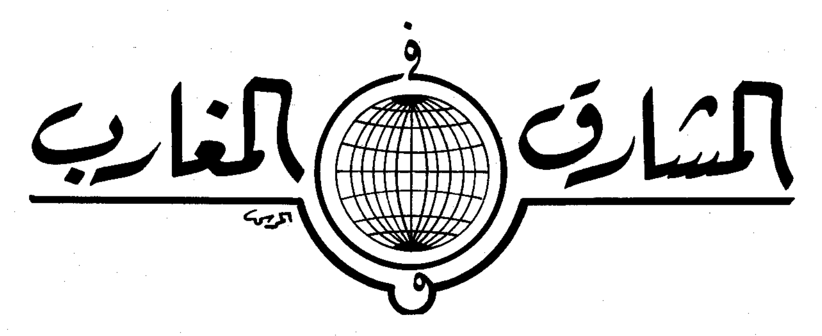
وصيــــة

أوصى عمر بن حبيب رضى الله عنه بنيه فقال :

يا بَنىّ إياكم ومخالطة السفهاء، فإن مجالستهم داء، وإن من يحلم عن السفيه يُسَرّ بحلمه، ومن يُجُبْهُ يندم، ومن يَقرّ بقليل ما يأتى به السفيه يقر بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه قبل ذلك على الأذى، وليوقن بالثواب من الله عز وجل، ومن يوقن بالثواب من الله عز وجل فلا يجد مَسّ الأذى!!!




مع جولات عالمية



الدكتور عبدالله بن أحمد قادري
رئيس شعبة الفقه بالدراسات العليا

إلى جاكرتـــــا :

الدنيا سجن المؤمن وجنـة الكافر :

اعتدنا أن نأخذ بطاقة الركوب بالأرقام وكل واحد منا بجانب صاحبه أما هذه المرة فكانت بطاقاتنا بدون أرقام وقال لنا عبد الله : إننا أحرار نختار المقاعد التى نريد ، هكذا فهم ، وعندما صعدنا إلى الطائرة وجدناها قد ملئت بالحمر الإنسية من الأوربيين والأمريكيين والإستراليين ، فأخذنا ننظر فى الصفوف لعلنا نحصل على مقعدين متجاورين أنا والشيخ عبد القوى ، فوجدنا مقعدين أحدهما أمام الآخر، فقال لى أى المقعدين تريد قلت هذا ، ولم أدقق النظر فى الجيران إذ ظننت أنهم كلهم رجال ، فلما قعدت بدت مجاورتى التى عن اليمين امرأة ، وبدأت الحمر تحتك ببعضها مع سوء أدب فكنا بينهم كأننا على شوك السعدان أوفى سجن ضاق بناؤ ه وجاء المضيفون بالطعام والشراب فأخذوا يأكلون ويشربون ولما لم أتناول أنا شيئا التفتت إلى الجارة قائلة : رمدان ـ أى رمضان ـ قلت : يس وكانت تلعب مع جارها والله أعلم ما صلتها به بأوراق القمار .

وهنا ذكرت صورة مصغرة لقول الرسول ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» . وأنشأت هذه الأبيات :

بشر عبد الله بالمقاعد	بأنها حسب اختيار القاعد
فقلت فى نفسى أريد النافذة	كعادتى مع الأيادى الآخذة[1]
لكن رأينا بصعود الطائرة	أن ملئت بفاجر وفاجرة
واخترت مقعدا ظننت أنه	بين رجال لا نساء حوله

(١) أى كما اعتدت مع الكون الذى هو من نعم الله انظر إليه متفكرا .

وبعد الاستقرار صارت واحدة ـ لا واحدا ـ عن اليمين قاعدة
وظهرت أمامى المعاكسة بلا حيا كعادة الأبالسة
فقلت ياربى إنى صائم وقد غدت تحيط بى البهائم
وجاء بعد ذلك الغداء فما التفت نحو من قد جاؤا
فسألت شيطانة اليمين أرمضان؟ قلت: «يس» دعينى
ثم التفت لزميلى القارى مبتسما وقد وقاه البارى
من الخبيثات فقلت: إننا بين العدا فى الجو ضاق سجننا
وقد جعلت ذكر ربى حاليا ودفترى وقلمى وقائيا

وكان إقلاع الطائرة من مطار دمباسار فى الساعة الثالثة إلا ربعا وهبطت بنا فى مطار جاكرتا فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة .

ونزلنا فى فندق: سبنج الذى يسمى بالاسلامى . وكانت مظاهره الإسلامية وجود المصحف المترجم والسجادة والإشارة إلى جهة القبلة بسهم على الباب من الداخل هكذا ===>> ولكنه مثل غيره فى بيع الخمر، ولا أدرى عن لحم الخنزير؟! .

زيارة بعض المسئولين فى المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الإسلامية :

١٧/ ٩/ ١٤٠٠ هـ :

زرنا الدكتور محمد ناصر رئيس المجلس ومساعده الدكتور رشيدى وقد كان الأول رئيس وزراء سابقا، وكان الثانى وزيرا للشئون الدينية سابقا، وللرجلين جهود مشهورة فى محاولة ربط الشعب الأندونيسى فى منطلقاته السياسية والاقتصادية بالإسلام وشعبيتهما تبدو واضحة فى الجمعيات الاسلامية والشباب .

وأهدى لنا الدكتور محمد ناصر سلسلة من الكتب الاسلامية التى وضعت لتربية الأطفال وربط العلوم الكونية بالآيات القرآنية موضحة بالصور وهدفها تقوية الإيمان بالله وتثبيته فى نفوس الشباب عن طريق العلوم الكونية التى يتلقونها فى المدارس مجردة عن ذكر مصدرها الذى أوجدها بنظامها العجيب المدهش .

والمسلمون هناك فى قلق من نشاط النصارى فى كل المجالات لأنهم يحاولون أن يستولوا على المراكز الحساسة فى الأمن والتعليم والاقتصاد والطب وغيرها، يساعدهم فى ذلك عملاء علمانيون من المسلمين الذين ابتعثوا للدراسة فى الخارج ـ فى أوربا وأمريكا

وفرنسا ـ فحملوا مؤهلات وأُسندت إليهم وظائف حساسة فى الدولة وهم يحاربون الاسلام ـ علنا ـ أكثر من محاربة النصارى ـ وإن كان النصارى هم الموجهين والمحركين ومن ذلك محاولة إلغاء المساجد فى الجامعات وحرمان أبناء المدارس الحكومية من الاجازة فى رمضان وقد كانوا يستفيدون من هذه الأجازة التعليم فى المدارس الإسلامية والمساجد حيث يتعلمون أمور دينهم التى لا يجدونها فى المدارس الحكومية .

وهكذا نجد الشكاوى من العلمانيين الذين رباهم أهل الغرب فى أغلب الشعوب الاسلامية حيث يكونون معاول هدم سافرة بأيدى أسيادهم الذين نصبوهم فى شعوبهم لهدم أركان العقيدة ومقومات الأمة .

مع سفير المملكة العربية السعودية فى جاكرتا

فى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، كنا فى سفارة المملكة العربية السعودية حيث كنا على موعد مع سعادة السفير الأستاذ/ بكر عباس خميس الذى استقبلنا ببشاشة وكان الحديث معه ممتعا ورأينا فى الرجل حماسا لنشر الدعوة الاسلامية وايجاد وسائل ذلك كترجمة الكتب الاسلامية وطبعها وطبع المصحف الشريف .

وأطلعناه على ما قمنا به فى زياراتنا للمؤسسات الإسلامية فى جاوة الشرقية وجزيرة بالى ونقلنا إليه شكر بعض تلك المؤسسات التى تلقت إعانات عن طريقه من المملكة العربية السعودية .

كما نقلنا له رغبة مؤسسات أخرى فى أن تحظى بمثل تلك المساعدات .

وطلب منا ابلاغ فضيلة نائب رئيس الجامعة رسالة شفوية تتضمن عرض التعاون فى المجالات التى تحقق أهداف الجامعة الاسلامية فى الدعوة إلى الله فى أندونيسيا وأبدى استعداده بالاشراف على ترجمة بعض الكتب الإسلامية وطبعها وتوزيعها فى أندونيسيا من الكتب المفيدة التى تختارها الجامعة الإسلامية. وذكرت له كتاب الدكتور محمد على البار: خلق الانسان بين الطب والقرآن وأنه مجهود علمى مفيد فى بابه ويمكن أن يستفيد منه المثقفون ويهديهم إلى الإسلام فطلب منى سعادته بعث الكتاب إليه ليتولى الاشراف على ترجمته وطبعه وتوزيعه فى أندونيسيا وكانت معى نسخة فبعثتها له فى اليوم الثانى .

ثم شكرناه على حسن استقباله وما يقوم به من أعمال طيبة وودعناه .

سراب بقيعـــــــة :

ذهبنـا ـ بعـد ذلـك ـ إلى برج الاستقـلال الـذى يشـرف على المدينة وهو قريب من مسجد الاستقلال وكانت تذاكر الطلوع معنا من قبل إذ وجدناه مزحوما فأجلنا الطلوع إلى وقت آخر وعندما اقتربنا من البرج رأينا الساحة المحيطة به فارغة وكذلك الأبواب والممرات المؤدية إليه فسررنا بذلك وقلنا هذه فرصتنا حتى لا نجد أولئك الأجانب يزاحموننا وكنا نظن أن النـاس فى هذا الـوقت بعـد الظهـر فى راحة وعندما وصلنا إلى قرب المصعد وجدنا جنديا حارسا قال: إلى أين قلنا إلى المصعد للطلوع فقال: إن المصعد تحت الاصلاح ولا يمكن الصعود الآن فعرفنا أن الفرصة التى ظنناها سنحت كانت سرابا خادعا .

الجهود موجودة والتخطيط مفقــود :

زارنا بعد صلاة العشاء فى الفندق فضيلة الشيخ محمد المجذوب وفضيلة الشيخ ناصر الطـريفى وهما مبعـوثـان من قبـل الـرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشـاد للاطـلاع على أحـوال الـدعـاة الـذين أوفـدتهم الرئاسة للدعوة إلى الله وهـم من خريجى الجامعة الاسلامية وتقديم تقارير عنهم للاستفادة منها .

وجـرى نقـاش بيننـا فى أمـور الـدعـوة واختلفت وجهات النظر فى بعضها والذى بقى عنـدى هو أن المؤسسـات الاسـلاميـة تبـذل جهـوداً تحتـاج إلى المضاعفة والتعاون فيما بينها والتنسيق لأن الدعوة الاسلامية تواجه تيارات وأحزابا ومؤسسات عقائدية ومخططات عظيمة وذلـك يقتضى التخطيـط السليم والتنظيم والتنسيق والجهود المضاعفة وما دامت المؤسسات الاسلامية لا تبذل جهودا فى التخطيط العلمى الدقيق والتنسيق فيما بينها فإن الجهود القليلة ستبقى مبعثرة قليلة الجدوى بالنسبة لما ينبغى أن يكون .

وزارنا كذلك بعض طلبة الجامعة الاسلامية الأندونيسيين الذين تخرجوا فيها وتذاكرنا معهم ما بقى لنا من الزيارات .

١٨/ ٩ إلى بانـــدونج :

كنـا قد طلبنـا من الأخ حلمى أمين الدين ـ وهو من مبعوثى إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، ويعمل فى مكتب الملحق الدينى وقد تخرج فى الجامعة الاسلامية بالمـدينـة المنـورة ـ أن يحجـز لنا على الخطوط الأندونيسية إلى باندونج فاتصل بالأخ عبد الله

باهرمز وأخبره بأن الطائرة تقلع من جاكرتا إلى باندونج فى الساعة الثانية عشرة والنصف وأن علينا أن نغادر الفندق إلى المطار فى الساعة الحادية عشرة والنصف .

ولكن عبد الله خرج لحاجة وتأخر كثيرا فعاتبناه على ذلك واستأجر لنا سيارة وعندما ركبنا قال للسائق : جلن جلن ، يأمره بالسرعة وكان وصولنا إلى المطار - وهو داخل - فى الساعة الثانية عشرة ودقائق .

وأدركنا الطائرة التى أقلعت فى الساعة الواحدة إلا عشرين دقيقة .

مع الشيخ المكى وابنه المدنى :

وكان فى استقبالنا فضيلة الشيخ الحاج أنور مسدد وابنه عبد الحليم الذى تخرج هذا العام فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . والشيخ أنور مسدد يبلغ من العمر اثنين وسبعين عاماً قضى منها فى مكة المكرمة أحد عشر عاما ، قال : وأنا مشهور فى مكة بمسدد قارود ، درست فى مدرسة الفلاح سنة ١٩٣٠م . وكان يديرها السيد الطيب المراكشى ، ثم السيد أبو بكر الجيشى وكانت فى القشاشية وتخرجت فى هذه المدرسة عام ١٩٣٤م وعملت بها مدرسا إلى عام ١٩٤١م حيث رجعت إلى بلدى أندونيسيا عند نشوب الحرب العالمية الثانية .

وأخذ الشيخ يسرد لنا شيئا من تاريخ حياته والأحداث التى عايشها فقال :

فى سنة ١٩٤٢م جاء اليابانيون إلى أندونيسيا فاستعمروها مدة ثلاث سنوات ، استقلت سنة ١٩٤٥م وكنت مع سوكارنو وفى وزارة الشئون الدينية رئيسا لقسم شئون المساجد ، ثم عينت أستاذا فى الجامعة فى جوك جاكرتا إلى سنة ١٩٦٧م ، ثم مديرا للجامعة الاسلامية الحكومية فى باندونج وقمت أنا بإنشائها ، إلى سنة ١٩٧٣م ، ثم صرت مدرسا فيها وفى عام ١٩٧٥م أحلت إلى التقاعد وكنت عضوا فى البرلمان لمدة عشرة أعوام عن حزب نهضة العلماء ، وعينت وكيلا للرئيس العام لنهضة العلماء وبعد أن توفى الرئيس العام أصبحت أنا الآن رئيسا لنهضة العلماء وكان الرئيس الذى قبلى هو الحاج نصرى سنشورى .

وذكر لنا أعماله : أنه أحد أعضاء اللجنة التى تولت ترجمة القرآن الكريم التى طبعتها وزارة الشئون الدينية ، وأحد أعضاء اللجنة التى تولت تفسير القرآن الكريم باللغة الأندونيسية وقد تم هذا التفسير الذى طبع منه أربعة مجلدات فى كل مجلد ثلاثة أجزاء والباقى تحت الطبع .

وسألناه عن مراجع هذا التفسير فقال: المراجع منها القديم مثل تفسير ابن كثير والقرطبى والبيضاوى وتفسير الزمخشرى ومنها الحديث كتفسير المراغى وتفسير القاسمى والتفسير الواضح قال وقد ترجمنا القرآن أيضا إلى لغة جاوة الغربية المعروفة بالسنداوية وقد طبع فى أربعة مجلدات .

قلت له: ما دمتم قد وفقتم لترجمة كتاب الله وتفسيره فينبغى أن تجتهدوا فى ادخال بعض أجزاء هذا التفسير فى الجامعات، فقال: أدعو الله لنا أن يعيننا وأشار إلى أننا فى حاجة إلى الامكانات لطبع كمية كبيرة وتوزيعها على الجامعات والمكتبات. قال: وكنت فى سنة ١٩٥٥م مطوفاً لسوكارنو .

وسألته هل ترددت على مكة كثيرا قال: نعم وكان آخرها هذا العام المنصرم وكنت فى اليوم الأول من شهر محرم فى داخل الحرم عندما قام الذين ادعوا أن المهدى قد ظهر بحادثة الحرم قلت له كيف خرجت وكيف كان شعورك فى هذه الحادثة قال: أما خروجى فقد كنت فى الطابق العلوى ورأيت الباب مفتوحا والناس يخرجون منه فخرجت. وأما الحالة التى حصلت فقد آلمتنا وأنزلت الحسرة فى نفوسنا عندما كنا نرى الرصاص يطلق فى داخل الحرم الذى جعله الله أمنا والحمد لله الذى قضى على أولئك المعتدين .

قلت له: ما الفرق بين مكة الآن وبينها فى الأيام التى كنت فيها طالبا ومدرسا من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٤١م فقال: الفرق كبير أصبحت الآن متقدمة فى كل شىء .

هل كانا من أولى الأحلام والنهى ؟

قال الحاج أنور وقد كنت مع سوكارنو فى القاهرة عندما زارها فى عهد عبد الناصر وصليت إماما فى الجامع الأزهر وهما ورائى، قلت: وهل كانا من أولى الأحلام والنهى؟ قال: لا .

أساتذة الشيخ فى مكة :

سألناه عن أساتذته فى مكة فقال: قرأت على السيد علوى مالكى رياض الصالحين وشمائل الترمذى وألفية ابن مالك، ومن أساتذتى الشيخ عمر حمدان التونسى والشيخ محمد العربى، وقرأت على الشيخ أمين الكتبى الجوهر المكنون فى البلاغة، وحفظت عليه القرآن الكريم . وعلى الشيخ على حسن السنارى التوحيد .

إلى م يعود الضمير؟

من نكات الشيخ المكى فى المسجد الحرام أنه كان يقرأ مع زملائه على الشيخ علوى مالكى باب «كم» فى ألفية ابن مالك، وكانت تلك الليلة ليلة زفاف الشيخ علوى مالكى مدرس الألفية، فقال الشيخ علوى إلى م يعود الضمير فى قول ابن مالك : «واستعملنها». ونص البيت كما يلى :

واستعملنها مخبرا كعشره   أو مائة ككم رجال أو مره

فقال الطالب أنور الضمير ياسيدى يعود إلى مرة فى آخر البيت، هناك قال وكنت أقصد بالبيت بيت أستاذنا، لأنه فى ليلة زفافه وهو يدرسنا ونحن كنا نحب أن يتفرغ فى هذه الليلة التى تعتبر ليلة سرور لعدة أسر ولزملاء الشيخ وتلاميذه. قال ففهم الشيخ المقصود وضحك كثيرا وبعض الحاضرين لم يفهم(١) .

وذكر الشيخ المكى من زملائه فى الدراسة فى مكة السيد عبد الرحيم الأهدل الذى يعمل فى الزراعة فى المدينة المنورة، قال كنت أنا وهو فى فصل واحد قلت له : أنا وعبد الرحيم من قبيلة واحدة وهو صديقى .

إلى جايمس :

وكلف الشيخ أنور سائق سيارته أن يوصلنا إلى بلدة جايمس التى تقع شرق باندونج على بعد ٢٥٠ كيلو .

وكان الطلبة الأندونيسيون قد طلبوا منا زيارة هذه البلدة التى يقع بها معهد دار السلام وبه تقام دورة لمدرسى اللغة العربية والمواد الإسلامية وعددهم يقارب الخمسين، ونفقات الدورة كانت إعانة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد التقينا بأحد طلبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فى باندونج وهو فى طريقه لزيارة الدورة .

قل له : إننا نحب هذه المنظر ونريد التمتع بها :

كان السائق يحب السرعة التى كنا نحن نكرهها فكان يحاول تجاوز أى سيارة تسير أمامه، وكان يخالف قواعد المرور فتجاوز فى المنحنى الذى لايرى فيه السيارة المقابلة وكان

(١) وذكرتنى هذه النكتة بنكتة بعض علماء السودان مع الشيخ محمد الأمين الشنقيطى فى رحلته من موريتانيا إلى المملكة العربية السعودية عندما نظر إلى ثيابه المطوية فظن العالم السودانى أنه يريد أن يغير ثيابه، فقال : ولسراويل بهذا الجمع شبه أقتضى عموم المنع .

الشيخ عبد القوى ذو الخبرة بحوادث السيارات يئن كلما رأى مخالفة ويطلب من عبد الله باهرمز أن يكلم السائق ليخفف من السرعة ويلتزم بقواعد المرور، وفجاة وقفت السيارة فى الطريق ، فنزل السائق ونظر إلى آلة التحريك فوجد مكان الخلل فرجع إلى صندوق السيارة وأخذ ما يسمى : «بوجى» وركبه وواصل السير على عادته وكان عبد الله باهرمز ـ هداه الله ـ لا يصارحه كما نريد فقلت له : قل للسائق إن هذه المناظر أعجبتنا ونحب أن نستمتع بها فليخفف السرعة ففعل وكان قصدى أننا نريد أن نحافظ على أرواحنا لأن التمتع بالمنظر لا يمكن إلا إذا بقيت أرواحنا فى أجسادنا .

عظــــة وذكرى :

وبعد قليل مررنا بسيارة على يميننا فى الشارع مقلوبة على ظهرها رافعة عجلاتها إلى السماء كأنها تستغيث وكنا نود أن نقف لنرى ماذا جرى لأن الحادث جديد ولكن المكان لا يصلح للوقوف فكانت عظة وذكرى لسائقنا .

وجــــاء الليل عصرا :

وكانت السحب السوداء المتراكمة قد غطت الأفق وحالت بيننا وبين السماء واجتمع ذلك مع ارتفاع الجبال وكثرة الغابات فى القمم والوديان والسفوح وبدأ المطر ينزل قليلا قليلا ثم انهمر بغزارة حتى غشينا الليل ونحن فى النهار وحتى نسيت أننا لازلنا فى وقت العصر فقلت للإخوة انظروا فى هذه القرية لعلنا نجد ما نفطر به فنظر الأخ عبد الله فى ساعته وقال بقى من الوقت إلى المغرب ساعتان ونحن سنصل إلى معهد دار السلام قبل ذلك إن شاء الله ـ وكان هذا ما حصل فعلا فقد وصلنا إلى مقر المعهد وبقينا ما يزيد على نصف ساعة ولما يؤذن أذان المغرب ـ ولكن الذى لا يدرى عن الوقت عن طريق الساعة يظن أنه قد صلى الناس المغرب ودخل وقت العشاء .

إزالة غابات لزرع غابـــات :

وكنا نرى قبل هذه الظلمة قطعا من الأرض قد أُزيلت عنها الغابات فى الوديان والجبال وبدأ الأهالى بزراعة بعض الأشجار المثمرة مكانها وهكذا يفعلون فى تلك البلدان يقدرون زمنا معينا تزال فيه غابات تدريجيا من الأشجار التى لا تثمرأ وأن ثمرها غير مفيد كثيرا ويزرع مكانها غابات من الأشجار المثمرة فتصبح غابة مثمرة بدل غابة غير مثمرة .

فساعدنى اذا على بقـــاء سيارتى :

قال عبـد الـبر سائـلا السـائق كم سنة لهذه السيارة معكم؟ فقال السائق ـ عن طريق الترجمة ـ هى عندنا من عام ١٩٦٢م فقال عبد البر ثمانى عشرة سنة!؟ وهل غيرتم مكنتها قال: لا فتعجب من ذلـك فقلت له ما رأيـك ياعبـد الـبر فى سيارتنا التى مضى عليها عندنا خمس سنوات فقط قال: تعتبر من صنع عام ١٩٨٠م قلت: الحمد لله فساعدنى على بقاء سيارتى .

وكان هو وإخوانه يسمعون بعض زملائى ينتقدون بقاء سيارتى هذه معى لمضى هذه المـدة عليهـا، لأن التغيـير أصبـح عنـدنـا مرضا للسيارات والعمارات والأثاث والملابس لأن المقياس الذى نسير عليه هو الهوى والتقليد الأعمى ولو أن المقياس هو الاسلام لما جمع الغرب أمـوالنـا فأوعى وإخـواننا فى كثير من الشعوب الاسلامية يموتون جوعا أو بردا أو حرا أو حربا فلا يجدون القوت. وكان وصولنا إلى بلدة جايمس فى الساعة السادسة إلا ربعا .

وأسالت نخيل المدينة المنورة اللعاب فى جايمس :

عنـدمـا أذن المؤذن لصـلاة المغـرب أخـرج أحـد طلبـة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الذى كان يرافقنا فى هذا السفر اليوم علبة تمر من حقيبته وقال: هذا من تمر المدينة فتسـابقت الأيـدى وسـال اللعـاب لتمـر المـدينة المنورة فأفطرنا وصلينا المغرب ثم رجعنا إلى الغرفة التى أعدت لنا لنرتاح من التعب. وحدد لنا الأخوة الساعة التاسعة بعد صلاة العشاء لنلتقى بأعضاء هذه الدورة لالقاء كلمة فيهم .

كيف نتعلم اللغة العربيـــة :

فى السـاعـة التاسعة جاء الاخوة يطلبون منا أن نحضر إلى قاعة المحاضرات فحضرنا وقـرأ الشيـخ عبـد القـوى بعض الآيـات القرآنية ثم طلب منى أن ألقى كلمة تتضمن رسم الطريق لتعلم اللغة العربية. فكانت كما يلى :

١ — بينت أن من أهم الأسباب التى يعـين على أى أمر من الأمور ـ بعد الاستعانة بالله ـ هو قوة الإرادة .

٢ — شـــدة الرغبـــــة .

ويجب أن تكون الرغبة موجودة وشديدة كما يجب أن تكون إرادتكم قوية لأن هذه اللغة بالنسبة لكم لغة دينكم وكتاب ربكم فتعليمها يعتبر عبادة وهذا ما يقوى الإرادة والرغبة فى تعلمها .

٣ — الإكثار من قراءة القرآن الكريم وحفظه أو حفظ كثير منه مع تعلم مفرداته من كتب المفردات القرآنية أو كتب التفسير أو القواميس العربية ، وهكذا إذا قرأ الطالب فى كتاب حديث أو فقه أو تاريخ أو أدب أو غيرها من العلوم العربية فإن عليه ألا يمر بكلمة لا يعرفها دون أن يبحث فى معناها ويفهمها وهذا قد يكون صعباً وبطيئا ولكنه مفيد جدا .

٤ — حفـظ نصـوص كثـيرة من النثـر والشعـر الجـاهليين مع فهم مفرداتها وتراكيبها والإكثار من قراءة كتب الأدب المفيدة كالعقد الفريد .

٥ — حفظ متون فى علوم اللغة العربية (النحو والصرف والبلاغة والعروض) وفهمها فهما جيدا لأن حفظ القواعد يذكر الانسان ويعصمه من الخطأ .

٦ — التطبيق العملى لما تعلمـه الطـالب ، كرفـع الفـاعـل ونصب المفعـول وضبـط الأوزان ومعرفة التشبيه وأنواعه .

معلومات عن معهـــد دار الســـلام :

وبعـد إلقـاء المحـاضـرة جاء الأخ وحى الـدين ابن مدير المعهد الحالى الشيخ عرفان حلمى يعتذر لأبيه الذى كان على موعد مهم مع العلماء ـ كما قال ـ قلت له : لا بأس ولكن يجب أن تعطينا نيابة عن أبيك معلومات فأعطانا المعلومات الآتية : وكانت إجابة عن أسئلتى له : ـ

— فى معهد دار السلام توجد المراحل الخمس التالية :

روضـة الأطفـال ، إبتـدائى ، ثانـوى ، العـالية ، كلية الشريعة . وعدد طلاب المعهد كلهم سبعمائة .

— الساكنون فى المعهد أربعمائة والباقون يسكنون فى منازل أسرهم .

— أسس هذا المعهـد عام ١٩٣٥م أسسـه الشيـخ أحمـد فاضل ، وقد توفى رحمه الله ، وخلفـه فى إدارتـه الشيـخ عرفان حلمى ، قال : وسنقدم للجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة منهج المعهد لمعادلته وإعانته بمنح دراسية وغيرها .

— وعدد الأساتذة فى الروضة اثنان ـ وفى الابتدائى عشرة . وفى الثانوى سبعة عشر ،

وفى العالية خمسة وعشرون. وفى الشريعة عشرون، والجملة أربعة وخمسون مدرسا .

— ويدرس فى المعهد أيضا طالبات من الثانوية إلى كلية الشريعة وعددهن يزيد على مائة طالبة .

— وقد ساعدت الحكومة الأندونيسية فى بناء المعهد .

— ويقوم المعهد بنشاطات إجتماعية وثقافية. منها: الكشافة، والتدريب المهنى كالخياطة والزراعة والنجارة والتطريز والصحف الحائطية، والمحاضرات التى تقام كل يوم سبت .

ويحضر المجتمع - يعنى أهل البلدة من أولياء أمور الطلبة وغيرهم. كل يوم الجمعة إلى المعهد من الساعة السابعة صباحا إلى الساعة الحادية عشرة للاستماع إلى محاضرة عامة فى المسجد .

وينتشر الطلاب فى أيام الأجازات للدعوة بتخطيط من المعهد ويدير هذه النشاطات كلها هيئة من الطلاب تحت إشراف المدير .

محاضرة الصباح :

وبعد أن صلينا الفجر مرة أخرى فى قاعة المحاضرات وكانت المحاضرة بعنوان «صفقة أولياء الله مع الله» وكان محور المحاضرة قواه سبحانه وتعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾ .

إلى معهد مانجاية :

طلب منا أن نزور معهد مانجاية، وهو يبعد عن معهد دار السلام مسافة مقدارها إثنا عشرة كيلو متر تقريبا، وهكذا تجد فى أندونيسيا كثرة المعاهد والمدارس وبعضها بجوار بعض وصلنا إلى مقر المعهد فى الساعة السادسة والنصف، وكنا نظن أن المسئولين فى المعهد قد بلغوا بزيارتنا ولكنا عندما وصلنا لم نجد إلا ثلاثة أو أربعة من الطلبة قاعدين قرب باب المعهد بملابس نومهم، وكنا ماشين لأن السيارة لا تصل إلى مقر المعهد بسبب المزارع فلما رأونا بلباس عربى اضطربوا وأسرعوا لإخبار بعض المسئولين فخرج وكيل المعهد - بعد أن أيقظوه من نومه - فلما رآنا ورحب بنا ذهب هو أيضا ليوقظ مدير المعهد على رغم محاولتنا صده

عن ذلك وطلبنا منه أن يجلس معنا قليلا دون حاجة إلى إزعاج المدير أو غيره لأنا على سفر فلم يجبه المدير فى أول الأمر لأنه كان مستغرقا فى نومه فرجع إلينا وكنا نؤكد عليه عدم إيقاظ أحد وهو لا يزيد على الابتسامة. وسمعنا مكبر الصوت ينادى من المسجد ويذكر المملكة العربية السعودية والمدينة المنورة وأصبح المعهد فى حالة طوارىء فأنكرنا ما حصل، وصاحبنا لا يزيد على الابتسامة شيئا وهذه عادة الأندونيسيين إذا أرادوا شيئا نفذوه وهم يبتسمون أردته أم لم ترده دون أن يجادلوك أو يثير وا ضجيجا أو ايهانا وعليك أن تتحمل نتائج إبتساماتهم أنت كذلك دون جدال لأنه لا ينفع كثيرا.

ولم يقدر على بقاء المدير نائما فذهب يطرق عليه الباب مرة أخرى حتى جاء به من نومه مبتسما مثله، خرج المدير لابسا ثوباً وعمامة ملونة (شال) ملتحفا بأخرى على كتفه على هيئة لباس علماء الحضارم، وهو ملتح يميل لونه إلى السمرة يتهادى فى مشيته مع وقار واعتزاز بنفسه فسلم علينا ورحب بنا وأخذ يشرح لنا حالتهم وحالة هذا المعهد فقال: أسسنا هذا المعهد سنة ١٩٦٧م وكنا قبل ذلك مع قومنا فى الجبال والغابات نجاهد الشيوعيين والجمهورية - كما قال -.

وعندما أسسنا هذا المعهد أقبل عليه الطلاب إقبالا شديداً وبلغ عددهم ألفا ومائتى طالب وطالبة، والمبانى الموجودة لا تتحمل فى الأصل إلا خمسمائة ولكن لشدة الحاجة سكن فى هذه المبانى هذا العدد الكبير.

الأمير السعودى:

وقال: ان الأمير السعودى - هكذا كانت عبارته - وهو يقصد جلالة الملك - رجل كريم يساعد كل المؤسسات الاسلامية وأنا كتبت له عن طريق البريد ثم كتبت له عن طريق السفير فى جاكرتا (وأعطانا صورة الخطاب) ولكنى لم أتلق منه شيئا منذ ست سنوات وطلب منا إبلاغ الأمير السعودى رغبته فى المساعدة.

والدراسة فى المعهد ست سنوات على طريق حلقات المساجد وطلب منا أن نجتمع بالطلبة الموجودين الذى يبلغ عددهم ثلثمائة وهم الذين بقوا ولم يذهبوا فى الاجازة إلى أسرهم، فذهبنا إلى المسجد ووجدناهم قد اجتمعوا مبتسمين مسرورين على الرغم أنهم قاموا لتوهم من النوم وقد كانوا سهرانين طول الليل فقرأ الشيخ عبد القوى ما تيسر من القرآن وهم يرددون عند مقاطع الآيات: الله.. الله بعاطفة يبدو عليها الصدق وطلب منى أن ألقى

خطابا ـ كما قال ـ فاعتذرت لأنى كنت متعباً فقال الشيخ عبد القوى جزاه الله خيرا وكانت أول مبادرة منه : أنا أنوب عنك قلت نعم فقال للطلبة يجب عليكم أن تؤدوا واجبكم لأنكم جيل المستقبل ودعا لهم وهم يؤمنون ثم خرجنا وهم ملتفون حولنا يودعوننا وكان المطر نازلاً ـ خفيفاً ـ فقال لا تذهبوا حتى نغطيكم بستائر من المطر فقلنا لا حاجة لأنه خفيف والسيارة قريبة فأصر على عدم خروجنا لأن المطر يورث المرض ـ أى الزكام ـ لاسيما عندما يكون موسم الأمطار فى أوله ثم واصلنا السير إلى باندونج ، وكنت مع شدة التعب وقلة النوم أحاول أن أغمض عينى لأنعس ولكن مفاجآت وقوف السيارة عدة مرات كانت تطرد النوم عنى ، كان خروجنا من المعهد فى الساعة الثامنة والنصف تقريبا ووصولنا إلى باندونج فى الساعة الثانية عشرة وعندما وصلنا إلى باندونج كنا نرغب فى مواصلة السفر إلى جاكرتا إذا وجدنا طائرة ، ولكن لم نجد فحجزنا لنسافر غدا ونزلنا فى فندق «هومان» وهو من الفنادق الممتازة ، حجرة واسعة ويلحق بكل حجرة قاعة واسعة وشرفة واسعة ، وأثاث الفندق فاخر وهو فى غاية النظافة ويمتاز بالهدوء التام والخدمة السريعة .

وهو يقع بجانب المبنى الذى عقد فيه مؤتمر باندونج الشهير وهو المؤتمر الآسيوى الأفريقى الذى عقد عام ١٩٥٥م وحضر عن المملكة جلالة الملك فيصل رحمه الله ، ويسمى هذا المبنى : مبنى الاستقلال .

قال فى القاموس السياسى : واشتركت فيه ٢٧ دولة مستقلة هى : جمهوريات الهند وسيلان وأندونيسيا ومصر والصين الشعبية وكمبوديا ولبنان ولاوس والفلبين وسوريا وتايلاند وتركيا وفيتنام الجنوبية والسودان وساحل الذهب (غانا) والدول الملكية الآتية : أفغانستان وأثيوبيا وإيران والعراق والأردن وليبيا ونيبال والمملكة العربية السعودية واليمن . .)[1] .

وفى المساء تجولنا فى بعض الأسواق فى باندونج لشراء بعض الأغراض .

٩/٢٠ *صاحب العـــزة* :

دعانا الشيخ أنور مسدد لتناول طعام السحور عنده وطلب منى أن ألقى محاضرة الصباح فى المسجد الجامع الذى يصلى بالناس فيه وهو من مؤسسات نهضة العلماء وقال : إن هذا الجامع يجتمع فيه خمسة آلاف فلبيت رغبته .

---

(١) القاموس السياسى : أحمد عطية الله ص١٨٠ . وقد أصبحت هذه الدول كلها جمهوريات ماعدا المملكة العربية السعودية ومملكة نيبال .

وذهبنا إلى المسجد قبل أذان الفجر مع الشيخ أنور، وكان أبناء المدارس من بنين وبنات فى أعمار متفاوتة ينتظرونه قرب المحراب وعدد كبير وعندما وصل أخذ يكتب لهم دروسا فى اللوح المسند إلى جوار المسجد باللغة العربية فى الأعلى وباللغة الأندونيسية فى الأسفل وهم يتزاحمون ليكتبوا الدرس وذكرنا أن هؤلاء الأولاد يكتبون الدرس ويحفظونه ويشرح لهم فى وقت آخر .

وبعد صلاة الفجر قرأ الشيخ عبد القوى ما تيسر من القرآن ثم أعلن الشيخ المكى أن فلانا سيلقى محاضرة فتقدمت وكان الشيخ هو المترجم وكان عنوان المحاضرة «من أين تطلب العزة» . وعناصرها كما يلى :

١ — ما من أمة إلا وهى تدعى أنها تريد العزة والمجد .

٢ — مالك العزة هو الله «من كان يريد العزة فإن العزة لله جميعا» فمن طلبها من مالكها أعطيها . «قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير» .

٣ — قد يغتر بعض الأغبياء بِمُلكٍ أو مال فيظن أنه يستطيع أن يعز غيره أو يذله وهو غرور خادع جعل رئيس طغاة المنافقين يهدد رسول الله ﷺ وأصحابه بالاذلال والافقار ﴿**هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لايفقهون يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾ .

٤ — وسيلة العزة هى الأمر بالعروف والنهى عن المنكر بمعناها العام الشامل ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ . وكذلك الوفاء بصفقة البيع والشراء التى تضمنتها الآية الكريمة : ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**﴾ إلى قوله : ﴿**وذلك هو الفوز العظيم**﴾ .

٥ — وفقدنا العزة عندما طلبناها من غير الله من اليهود والنصارى فى الغرب أو الشرق : ﴿**أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**﴾ .

والذين طلبنا منهم العزة يتعاونون علينا اليهود والنصارى والشيوعيون ، كما هو الحال فى إيران ولبنان وقبرص وتشاد وأوغندا وإثيوبيا والصومال وأفغانستان والفلبين وقبل ذلك فلسطين .

٦ — وهـذه القـدس يعلن رسميـا أنهـا عاصمة إسرائيل الخالدة بين المسلمين الذين يبلغ عددهم ألف مليون تقريبا .

(وكان هذا بعد يوم أو يومين من إعلان إسرائيل ذلك) .

ومن المصادر المذلة التى يطلب المسلمون الآن فيها العزة هيئة الأمم ومجلس الأمن .

وبعـد أن انتهت المحـاضـرة التى استغـرقت أكثـر من ساعـة طلب الشيخ المكى من النـاس الـذين ينتظـرون لمصافحتنا أن ينظموا أنفسهـم صفوفا ففعلوا ذلك ووقفنا نصافحهم حتى تعبنا من الوقوف .

أنـــا قلت : كأنــــه :

وقال الشيخ المكى والناس يصافحوننا : من صافح أحداً من أهل المدينة فكأنه صافح الـرسـول ﷺ قلت له : استغفـر الله فقـال أنا قلت : كأنه قلت ولولا تجوز هذه المبالغات . ثم ودعناه وودعنا وذهبنا نحن إلى الفندق للاستعداد للسفر .

إلى جاكرتـــــا :

وجـاءنـا فى السـاعـة الثـامنـة والنصف الأخ عبد الحليم ولد الشيخ المكى ـ وهو أحد الطلبة الأندونيسيين الذين تخرجوا هذا العام فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو شاب صالح يرجى له الخير إن شاء الله (ولا أزكى على الله أحدا) فنقلنا إلى مطار باندونج للسفر إلى جاكـرتـا، وأقلعت الطـائـرة فى السـاعـة التاسعة والنصف . وهبطت فى مطار جاكرتا فى الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين .

ويشكو المثقفون من وجود الفساد الادارى على مستويات عليا وهم لذلك يخشون من كوارث تهددالبلاد .

غادرنا المطار إلى فندق «سبنج» الذى كنا فيه قبل السفر إلى باندونج .

إلى الفضـــــاء :

فى السـاعـة السـابعة والنصف مساء ذهبنا إلى القبة السماوية لمشاهدة فيلم عن بعض الكـواكب المشهـورة وبـدأ العرض فى الساعة الثامنة وكان غالبه فى حركة الشمس والكواكب

حولها واستغرق العرض ساعة كاملة، وكان المتحدث إذا وجد فرصة ألقى نكتة يضحك بها الحاضرين الذين اشتدت أبصارهم إلى السماء وطال إنصاتهم للشرح في الظلمة التي لا تخففها إلا أنوار الكواكب المصورة .

فعندما عرض حركة القمر وهو يسير إلى الغرب، قال المتحدث: نحن الآن في الساعة الرابعة - أي صباحا، مع إنا كنا في الساعة الثامنة والنصف مساء - هذا هو وقت السحر فمن شاء منكم أن يدرك السحور فليتسحر .

وكذلك عندما عرض نزول الشهب قال: إن بعض الناس يعتقدون أن الدعاء يستجاب عند نزولها فادعو (وهذه النكتة ما كان ينبغي أن تقال ولكن الأستاذ جاهل وكان ينبغي تنبيهه. ولكن عند الانتهاء يشعل الأنوار ويبدأ الناس في الخروج ولا يعرف المتحدث من غيره) .

محطة الهبوط :

وكان هبوطنا من القضاء في فندق يقيم فيه فضيلة الشيخ محمد المجذوب المدرس بالجامعة الاسلامية والشيخ ناصر الطريفي المدرس بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية وهما منتدبان من قبل الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد للاتصال بمبعوثي الرئاسة للدعوة في أندونيسيا ووجدنا عندهما بعض هؤلاء المبتعثين ممن تخرجوا في الجامعة الإسلامية كما إلتقينا عندهما بالأخ الشيخ عبد العزيز عمار مدير المركز العربي السعودي لتدريس اللغة العربية في جاكرتا ودارت مناقشات في شئون الدعوة الاسلامية اجتمعت الآراء بعدها في أنه يجب التنسيق بين المؤسسات الاسلامية والتعاون في هذا الصدد حتى لا تبعثر الجهود، وحتى يمكن الوقوف ضد مخططات أعداء الإسلام من الشيوعيين واليهود والنصارى بأساليب علمية قوية. وطلب منا الأخ عبد العزيز عمار زيارة المركز فوعدنا بالزيارة مساء غد ثم عدنا إلى الفندق .

٢١/ ٩ - عبث وتواضع :

في الساعة العاشرة تجولنا في بعض أسواق جاكرتا ثم ذهبنا إلى برج الاستقلال الذي يرتفع - كما قال لنا باهرمز - مائة وخمسة وأربعين مترا، وقد توج أعلاه بما يشبه الشعلة قال عبد الله وغيره من الطلبة الأندونيسيين أنها من الذهب، قلت وإلى أمثال هذا البرج الذي تنفق فيه أموال المسلمين في كثير من الشعوب الإسلامية - مع شدة حاجة المسلمين إلى

الأمـوال التى تنفق فى ذلـك ـ أشـار البـارى سبحـانـه بقوله : ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾ فكم من آيات عبث شيدت فى الشعـوب الإسـلاميـة ولم يكتف فى تشييـدها بمواد البناء العادية بل أضيف الذهب الذى يكون وبالاً على كانزه فكيف بالعابث به؟! .

ويحيـط بالـبرج فى أسفله بهو واسـع وحجـرات فيها صور مجسمة تمثل تاريخ أندونيسيا القديم والحديث : صور مجسمة للناس : الشعب والزعماء والرؤساء وأعضاء البرلمان والوقت الذى يستغرقه المسافر فى هذا المصعد من أسفل البرج إلى أعلاه دقيقة ونصف الدقيقة .

وألقينـا نظـرات على مسـاكن الأنـدونيسيـين فى العاصمة (جاكرتا) التى تشبه ظهور الجـمال ـ لكن بدون أسنمـة ـ مكسـوة بالأجـر الأحمـر الـداكن الهادى ـ مثل هدوء ساكنيها ـ قصيرة غير مرتفعة ـ كذلك ـ إلا بعض العمارات التابعة لبعض الشركات كالفنادق ونحوها تنتشـر هنـا وهنـاك شبيهة بالأشباح التى يقيمها الزراع فى مزارعهم لتخويف الحيوانات التى تعبث بالمزارع لإيهامها بأنها حراس .

فلفل الهندى وفنجـان النجـــدى :

إتصل بنا الأخ الشيخ عبد العزيز عمار وأصر على أن يضيفنا على طعام العشاء وجاءنا فى السـاعـة السـابعـة والنصف مسـاء وذهب بنا إلى مطعم هندى يديره مسلمون ويسمى : مطعم عمر الخيام فتناولنا طعام العشاء بفلافله وذهبنا بعد ذلك إلى مكتب الأخ عبد العزيز فقـدم لنـا الشـاهى الـذى كنا نتمنى أن نذوقه فى رحلتنا هذه فلم نذقه إلا عنده وعند الشيخ ناصـر الطـريفى فى الليلة المـاضيـة وزادنا الشيخ العمار القهوة العربية التى صنعها الشيخ[1] القصيمى بعـد أن كفكف كُميـه عن ذراعيـه وأزال طاقيتـه عن رأسه وأخذ يصب واقفا تلك الـوقفـة النجـديـة الكـريمة وبعد أن شربت حتى رويت حاولت إقناعه بالكف عن الصب فقال : فنجان واحد بس وخرج النجدى هنا عن عادته فصب حتى إمتلأ الفنجان بدلا من صب القليـل فى أسفله فشـربت ودعـوت له . قلت : لقـد جمع الله لنـا هذه الليلة بيـد فلفل الهندى وفنجان النجدى ، ثم تجولنا فى المعهد الذى نظم تنظيما جيداً ولازال إعداده مستمرا .

---

(١) أحد أساتذة المركز .

والشيخ العمار متفائل كثيراً بهذا المركز بعد تجربة المدة الماضية التى لاتزيد عن سنة دراسية حقق الله له تفاءله وبارك فى جهوده وجهود كل العاملين لنشر الدعوة الإسلامية ووسائله .

وقد طلب منا الأخ العمار تزويد مكتبة المعهد بمجلة الجامعة وما يستجد من الكتب النافعة .

•••••••••••••••

العلم وفضيلته

روى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال :

تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة . . .

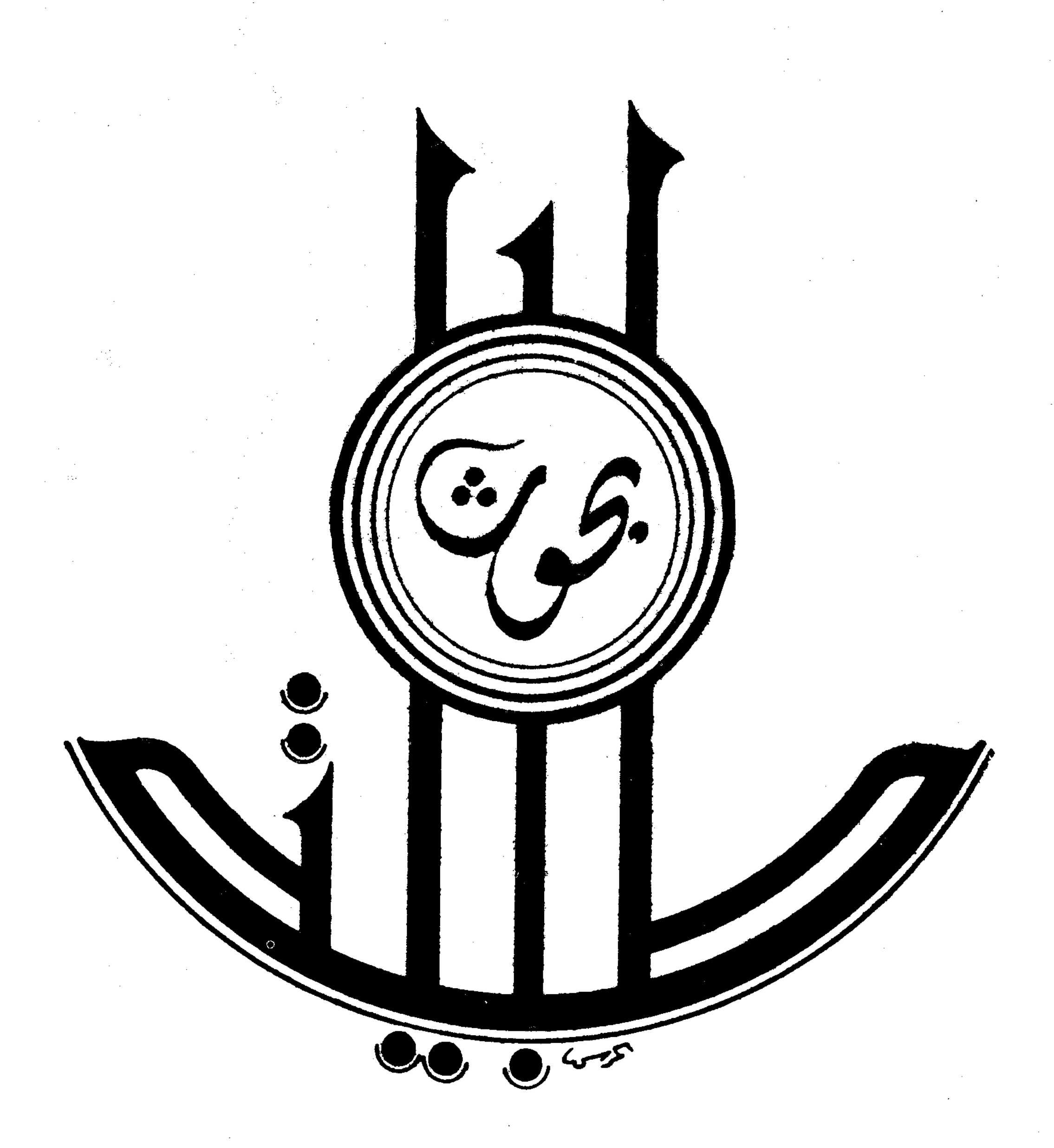
وهو الأنيس فى الوحدة، والصاحب فى الخلوة، والدليل على الدين والمصبر على البساء والضراء .

يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم، أدلة فى الخير، تقتفى آثارهم، وترمق افعالهم .

يبلغ العبد به منازل الأبرار، والدرجات العلا، والتفكر فيه يُعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام .

به يطاع الله عز وجل، وبه يُعبد، وبه يوحد ويمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام .

وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .


بحوث



استعمال الأدوية

د . فوزي أحمد سلام
أخصائي الأذن والأنف والحنجرة بمستشفى الجامعة

هنــاك علاقــة مترابطــة بين كل من الــدواء ، والطبيب ، والمـريض ، والمـرض . والطبيب والمـريض يقفـان صفـا ضد المـرض بسـلاح الـدواء ، وهـذه حقيقة لا تحتاج إلى تفسـير . ولـو بدأنـا بالطبيب لوجـدنا أنه الذي أعطاه الله ميزة لم تعط لغيره ، كما فرض عليه التزام لم يُفرض على سواه ، وهو معالجة المريض ، وهذا يحتاج إلى علم ومعرفة في العلاج وأساليبه فهو يصف الدواء ضد المرض محاولا علاج المريض وتخليصه من آلامه .

ويجب علينـــا أن نعــرف استعـمالات الـدواء حتى لا تنتـج نتـائج عكسيـة من سوء استعماله . والدواء يستعمل فى المجالات الآتية :

١ ــ مجالات تشخيصية .

٢ ــ مجالات وقائية .

٣ ــ مجالات علاجية .

والـدواء أصبـح سببـا فى إحـداث أنواع من الأمراض إذا أسيء استعماله . وتأثيرات الدواء الضارة يمكن أن تصيب كل عضو وجهاز في جسم الإنسان .

ذلـك لأن الـدواء الـذى يُستعمـل دون توجيه طبى يكون خطراً ، إذ أن مستعمله قد لايدرى إن كان هذا الدواء مخدراً أو مهبطاً أو حتى قاتلا ، فربّ مريض عالج نفسه من زكام بالسلفوناميد أو البنسلين فيموت من الدواء لا الداء .

وقـد عرفت بالتجـربـة الشخصيـة أن أغلب أسـاتذتي لا يستعمل أكثر من أربعين أو خمسـين مركبـا ، يعـرفـون فاعليتهـا وأمـانهـا فيصفونها لمرضاهم فيأتى الشفاء بإذن الله على أيديهم بسبب هذه الأدوية . إلا أن كثرة التردد على الأطباء يجعل المريض يستعمل أكثر من دواء ، وكل دواء به أكثر من مركب .

وبملاحظة أحد المرضى تردد على خمس عيادات فى دورة واحدة ، وجد أنه وصفت له خمس وصفات بها أكثر من اثنى عشرة صنفاً من الدواء يحتوى على ما لايقل عن ثلاثين مركباً . وهذه المركبات لها آثارها لاشك فى جسم الإنسان .

وقد لوحظ أكثر من ٢٥ ـ ٤٥٪ من المرضى يخطئون فى استعمال الأدوية الموصوفة لهم مما يؤدى إلى حدوث تأثيرات عكسية بسبب سوء استعمال الدواء ، وهناك صنف من المرضى يبلغون حوالى ٣٠٪ من مجموع المرضى لا يتناولون الأدوية التى توصف لهم ولكنها هواية العرض على الطبيب أو عدم الاقتناع أساساً بالدواء الموصوف ، وهناك صنف آخر يرجون من الدواء أن يفعل فعل السحر بتناول جرعة واحدة أملاً فى الشفاء العاجل وإلا كان مصير باقى الدواء صناديق القمامة .

وهناك صنف من المرضى يخطئون فى تناول ما يشترونه من الدواء بدون إرشاد الطبيب فضلا عن أنهم لا يقرأون ما كتب من تعليمات لتناول الدواء ، بل إن بعضهم لا يهتم بما كتب الطبيب أصلاً .

وهناك صنف آخر أشد خطراً وهم الذين يتركون الدواء بعد الجرعات الأولى عندما يحسون بمظاهر التحسن .

وسوء استعمال الدواء ينجم عنه ما يأتى :

١ ـ نقص فى مفعول الدواء ذاته .

٢ ـ حدوث تفاعلات عكسية من الدواء .

٣ ـ تفاعلات مضادة باستعمال عدة أدوية فى نفس الوقت .

ولابد من القول بأنه لا يمكن بحال من الأحوال مراقبة المريض خارج المستشفى أو العيادة فى أخذ جرعات الدواء المناسبة .

فالأدوية مواد كيميائية غريبة ، يمكنها أن تُحدث استجابات مناعية معينة ، لكن بعض المرضى يكونون مستعدين للإصابة بتفاعلات عكسية ، لذلك فمن الجرعة الأولى يحدث التفاعل الدوائى المعاكس ، ووجود مرض الكلى أو الكبد أو الأمعاء يزيد من تفاعلات الدواء المعاكس .

ونتيجة لتعدد الأدوية ، تزيد مشكلة المرض الناتج عن استعمال الدواء باطراد . والتفاعلات أو الآثار الجانبية للدواء تنقسم إلى ما يلى :

١ ــ منها ما يقرب من ٣٠٪ ـ مظاهر مَعدية ومعوية خاصة القىء والإسهال .
٢ ــ ومنها حوالى الخمس ـ آثار عصبية ونفسية .
٣ ــ ومنها العشر تقريبا ـ عوارض قلبية .
٤ ــ ومنها ٥٪ ـ تغيرات دموية وتأثيرات أخرى .

والآثار المعوية والمعدية تعادل فى النساء ضعف ما يحدث للرجال ، ونسبة الوفيات بسبب الدواء من العلاج ببعض المستشفيات تتراوح بين ١ ـ ١٠٪ . وأكثرها نتيجة لاستعمال « البنسلين » و« الديجتالس » .

وهنا يتبادر للذهن سؤال هام ، ألا وهو :

ما هى الأسباب لهذه التفاعلات الدوائية ؟

وهذا الموضوع فى الحقيقة لُب البحوث الطبية فى أنحاء البشرية ، ذلك أن التفاعلات الدوائية تعود لسببين : إما فى الدواء نفسه ، وإما فى المريض ذاته .

أو أن الشخص تبدو لديه حساسية غير عادية لتأثيرات الدواء .

وربما يكون عند المريض مناعة لهذه المركبات من الأصل خلقياً .

والتفاعلات بصورها الثلاث هى :
(١) **مُسهّلة** : إذا التهبت الأمعاء .
(٢) **مُشّوهة** : إذا أحدثت تشوهات لأجنة الحوامل .
(٣) **سُمّية** .

فإذا كان تفاعل العلاج يعود للدواء ذاته ، فعلاجه يكون بإنقاص الجرعة ، وإذا كان السبب لنقص فى المناعة ، فهذه هى المشكلة ، ذلك أن الخلل يكون عادة فى الامتصاص أو التركيز فى الدم أو الإفراز ، أو لوراثة شاذة كما عند بعض الأطفال الذين تعوزهم « خميرة جلوكوز ـ ٦ ـ فوسفات »

تفاعل الدواء مع الدواء :

إن الطريقة الشائعة باستعمال أدوية عديدة ، تزيد من التفاعل القوى على المرض أو تزيد من خطر التسمم ، وربما تمنع الفائدة الكلية أو الجزئية للدواء .

وفى هذا المجال نضرب أربعة أمثلة لأدوية متداولة :

١ ــ **مثال التفاعل لإحداث أثر قوى** : لو أعطى مركب السلفاميد مع مريض يأخذ «تولبوتاميد» فإن هذا يزيد من نقص السكر بالدم .

٢ ــ **أما التسمم** : فلو تعاطى مريض مركب «الجانتاميسين» ومعه «حمض الأتاكرين» لعلاج الأذن ، لفقدت الأذن حاسة السمع .

٣ ــ **ولو تناول مريض شراباً ضد الحموضة** : «به مركبات الألومنيوم» وتناول مركب «التتراسيكلين» . . لأدى هذا إلى اضطراب فى الامتصاص المعدي المعوي .

٤ ــ **ولـو أعطى مركب الحـديـد** وهـو أصلاً يعالج «بالتتراسيكلين» لتوقف امتصاص الأخير تماما فى الجسم ولا مفعول له .

ظـواهر التفاعـلات الدوائيـة :

لابد لنا من جولة مع الآثار الجانبية للتفاعل الدوائى فى الجسم وما يترتب عليه من آثار على أجهـزة الجسم المختلفـة ، مع ذكـر بعض أسـماء من الأدويـة التى يعرفها الجميع وربما تناولها . ويمكن أن نبين الآثار الجانبية على كل عضو على حده فيما يلى :

أولا : الجـــلد :

الجلد هو أكثر أعضاء الجسم تأثراً بالتفاعل الدوائى بل إنه المرآة الصادقة للأثر الناجم عن أى دواء ، والعلامات التى يظهرها الجلد هى :

أ ــ **الطفح الجلدى** : ذات الشكل الحصبى وهو شائع بين معظم الأدوية .

ب ــ **الحكـــة** : كثيرة الحدوث مع الطفح أو بدونه .

جـ ــ **تغـير لون الجلد** : وهـذا ينتـج عن فرط استعمال فيتامين « أ » وكذلك استعمال مانعات الحمل الفمية .

د ــ **سقوط الشعر** : مع مركبات الهيبارين ــ والكلوشيسين .

ثانيا : الجهاز الهضمى :

أ ــ بدايـة من الغثيـان ـ القىء ـ الإسهال ـ آلام البطن ـ التهاب اللثة ـ قرحة المعدة

التى تحدث غالبا من كثرة تناول الأسبرين ومضادات التجلط .

ب ـ تليف الكبد ، هالوثان .

ثالثا : الـــــدم :

إن حدوث تغييرات فى عناصر الدم المكونة شائع الحدوث فى بعض الأدوية ، إلا أن منها ما لا تأثير له على الدم ، ولازال مركب البنسلين هو الدواء الذى لا يحدث تغيراً فى مكونات الدم :

أ ـ **نقص عناصر الدم** : يحدث مع الكلورامفينكول ، الفنيل بيوتازون .

ب ـ **انحلال الدم** : مع مركبات السلفا .

جـ ـ **فقر الدم** : مضادات حمض الفوليك .

د ـ **نقص الصفائح الدموية** : المسكنات والمهدئات .

رابعا : الحمى :

قد تكون حدوث الحمى ظاهرة منفردة للحساسية الدوائية ، وأغلب المستحضرات قد تُحِدث تفاعل حُمىٍّ مع الجرعات الأولى للدواء أوفى الأسبوع الثانى من العلاج . والحمى تترافق أحيانا مع زيادة كريات الدم البيضاء ، وتزول تدريجيا بعد إيقاف الدواء بفترة قصيرة .

خامسا : الاضطرابات العصبية :

هناك تظاهرات عصبية خلال المعالجات الدوائية ، وأكثرها شيوعاً حدوث تغييرات فى الوعى أو نعاس كما يحدث مع المهدئات والأتروبين والديجتالس . لكن أشد هذه خطورة الإدمان لمركبات المورفين والبيتدين .

سادسا : القلب :

أ ـ عدم انتظام ضربات القلب مع مركبات الديجتالس ، الأتروبين ، الكنينين .

ب ـ قصور القلب وضعف عضلة القلب مع مركب الإيمنين .

سابعا : الكلى :

أ ـ الخلل الكلوى أو القصور الكلوى وهذا ينتج عن مركبات الديالنتين ، السلفميد ، الكلوشيسين .

ب ـ حصيات الكلى : الكثرة فى تناول فيتامين « د » .

ثامنا : العين :

أ ـ اضطرابات عضلة العين مع مركبات بوليميكسين « ب » .

ب ـ اعتلال الشبكية .

جـ ـ التهاب العصب البصري مع ستر بتوميسين ، كلورامفنيكول ، مانعات الحمل الفمية .

تاسعا : الأذن :

بعض الأدوية يسبب صمما للعصب السمعى ، وأهم هذه الأدوية هى : الاستر بتومايسين ـ النيومايسين ـ الكاناميسين ـ الكلوربورمازين .

عاشرا : الجهاز التنفسى :

والاضطرابات الدوائية على صورة ربو ـ أو ضيق فى التنفس ، مع مركبات الأسبر ين والأندوسيد .

تشخيص التفاعل الدوائى :

هنا يكون الدور الرئيسى للطبيب ، الذي تتبين مهارته فى البحث عن هذه التظاهرات الناجمة ، هل هى من الدواء نفسه أم من مناعة المريض ، أم هى نسبة لمرض عضوي أصلاً .

على هذا فإن عدداً من الأمور لابد وأن تتبادر في ذهن الطبيب وهى :

١ ـ معرفة الدواء أو الأدوية المتعاطاة .

٢ ـ تقدير إمكان حدوث تفاعلات بين هذه الأدوية .

٣ ـ العلاقة الزمنية بين إعطاء الدواء وحدوث المرض .

٤ ـ المعرفة والإلمام بالظواهر التى تسببها بعض الأدوية .

فالتعرف على المرض الحادث نتيجة الخاصة الدوائية للعلاج أسهل بكثير من التعرف على المرض الناجم عن المناعة .

فعلى سبيل المثال : من السهل معرفة اضطراب القلب مع مريض يتناول الديجتالس ، أومعرفة السبب فى نقص السكر فى مريض علاجه الإنسولين أو النزيف فى مريض يُعطى مضادات التجلط . بينما لا يكون سهلا معرفة السبب فى حدوث الحمى والطفح الجلدي . فإذا أوقف العلاج عند حدوث التفاعل . وزال التفاعل ، كان هذا دليلا قاطعا على العلاقة بين العلاج والتفاعل الواضح . كذلك إذا خففت الجرعة ، يقل التفاعل ، لكن توجد صعوبة إذا كان المريض يتعاطى أكثر من صنف من الأدوية .

والجديد فى الطب الآن هو معرفة مستوى الدواء فى دم المريض وفى بوله أيضا لنعرف درجة التركيز بهما ، والحكم عليها بمعايير معينة للحكم عليها إن كانت الجرعة سمية أو غير سمية .

أما عن سؤال المريض وسرد قصته السريرية للمرض ، وهل عندك حساسية لأى نوع من الدواء ، فهذا هام فى التشخيص .

المعالجة والوقاية من الدواء :

مهما كان السبب فلابد أخي القارىء من أخذ مشورة الطبيب فى الدواء ، ولا تأخذْ وصفةً من صديق على أنها مجربة ، فإن ما يصلح لمريض لا يصلح لغيره ، ويجب الحذر من تعاطى أنواع كثيرة من الدواء ، منعاً للتفاعل . ولابد لك من سؤال : **هل مرضك يستحق** تعاطى هذه الأدوية كلها ؟

ليس من المعقول أن يخوض المريض حرباً مع المرض بدون القائد وهو الطبيب ، فربما كان السيف الذى يحمله وهو الدواء يصل إلى أن يغمد فى صدره لا فى مرضه .

أما لو حدثت تفاعلات دوائية ، فعلاجها وقف العلاج فوراً . وينصح بإعطاء مضادات الهستامين ، وفى بعض الأحيان مركبات الكورتيزون .

أما إزالة الحساسية الناجمة عن دواء ما ، فهذا يتأتى بإعطاء جرعات صغيرة متدرجة تدرجاً تصاعديا فى الكمية ، لحث الجسم على بناء مناعة ضد هذه الحساسية المعينة .

وفى نهاية هذا البحث أؤكد أننى أردت منه أن نأخذ جانب الحذر عند استعمال الأدوية ، ولابد من استشارة الطبيب فى استعمالها ، ومع ذلك يجب أن نقلل من الدواء بقدر ما نستطيع ، ذلك أن بعضها يقتل ، وبعضها يؤذي .

ولقد منّ الله سبحانه وتعالى علينا بجنود داخل أجسامنا تقاوم الأمراض وتصارعها ، فلا تقلل من قوتها بكثرة الدواء .

اسأل الله العافية والصحة للجميع .

التفضيل بين المنطق والصمت

قال الذين يذهبون إلى تفضيل المنطق :

إنما بعثت الأنبياء متكلمين، ولم يبعثوا صامتين. وبالكلام وصف فضل الصمت، ولم يوصف القول بالصمت. وبالكلام يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والبيان من الكلام هو الذى منّ الله به على عباده، فقال: ﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ .

والعلم كله لا يؤديه إلى أوعية القلوب إلا اللسان، فنفع المنطق عام لقائله وسامعه، ونفع الصمت خاص لفاعله .

قالوا : وأعدل شيء قيل فى الصمت والمنطق قولهم :

الكلام فى الخير كله أفضل من الصمت، والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام .

قال عبد الله بن المبارك يرثى الإمام مالك بن أنس :

صموت إذا ما الصمت زين أهله
وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما وعى القرآن من كل حكمة
ونيطت له الآداب باللحم والدم

من أجل سلامة عينيك

د. فكري السيد عوض
اخصائي العيون بمستشفى الجامعة

لقد أنعم الله على الإنسان بنعمه الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى ، ومن بين هذه النعم نعمة الإبصار . ولا ينكر إنسان أهمية الإبصار وقيمته فى الحياة ، ولذلك كان ولا يزال الاهتمام بالعين عظيما .

ولكى نحافظ على سلامة هذا الجهاز الرباني الدقيق فإنه يجب معرفة بعض الأشياء الضرورية المتعلقة بسلامة العين ، فالوقاية دائما خير من العلاج ، ولذلك فإن الطب الوقائي يعتبر جزءا هاما من فروع الطب .

وسنتعرض في بحثنا هذا بعون الله وتوفيقه للنقاط الأساسية الآتية :

** متى تبدأ العناية بالعين ؟
** كيفية الوقاية من أمراض العيون ؟
** بعض الأمراض التى تؤثر على قوة الإبصار ؟
** ماذا يعنى احمرار العين ؟ ونزف العين ؟
** ماذا تفعل إذا دخل جسم غريب فى عينك ؟
** ما هو تفسير ما يسمى « بالذبابة الطائرة » وهل لها علاج ؟
** فيتامينات تتعلق بسلامة العين .
** ما يتعلق بالنظارات بجميع أنواعها .

** متى تبدأ العناية بالعين ؟

أولاً : قبل الزواج :

وهو يتعلق باختيار الزوج لزوجته حيث يجب مراعاة عوامل الوراثة فهناك بعض الأمراض التى تصيب العين تنتقل بالوراثة وتكون الإصابة بها أشد لو كان الزوجان من عائلة واحدة وكل منهما حامل لعامل الوراثة .

فمثلا إذا كان الأب مصاباً بقصر نظر **شديد** ، والأم مصابة **بنفس** المرض فالغالب أن يكـون الأطفـال مصـابين **بنفس** المرض وربما يكون بدرجة **أعلى كثيرا** من نفس النسبة لو أن كلًّا منهما تزوج بآخر سليم .

وكـذلـك حالات الضمـور الشبكي التلونى الـذى تبـدأ علاماته في وقت مبكر وتزداد الحـالـة سوءا حتى يفقـد الشخص بصـره فى أوائـل سن الشباب ، وليس لهذا المرض علاج حتى الآن .

ثانياً : بعـد الـزواج وأثناء الحمـل :

وهذا يتعلق بالرعاية الصحية للأم أثناء فترة الحمل ، وعدم إهمال علاجها ، والعناية بتغـذيتهـا وإعطـائهـا الكميات اللازمة من فيتامينات وأملاح كالكالسيوم . فالأم تحتاج إلى فيتـامـين « أ » أثنـاء الحمـل ، لأن الجنين يمتص هذا الفيتامين من الأم ، ولذلك فإن على الحوامل الإكثار من أكل الخضروات ، والجزر ، واللبن ، والبيض ، والكبد ، والزيوت الحيوانية .

ومعروف أن نقص فيتامين « أ » يؤدى إلى عدم الرؤ ية ليلا ، وإلى جفاف العين ، وكثرة التعرض لحدوث التقرح في القرنية .

وفي نفس الوقت نحذر من المبالغة في تناول فيتامين « أ » على هيئة حبوب أوحقن لأن ذلك قد يؤدى إلى حدوث مضاعفات في الجهاز العصبي ، والعظمي ، . . . . . . الخ .

وفي هذه الأيـام التى يكثـر فيهـا استعـمال أقراص منع الحمل ، لوحظ أنها تتسبب في بعض حالات داخل الجسم الزجاجي وفي الشبكية .

وبعض السيدات تحاول إجهاض أنفسهن بمركبات « الكينين » التى ربما تتسبب في فقد أبصارهن لتأثير هذه المركبات على الشبكية .

ثالثاً : بعـد الـولادة :

يجب على الأم والأب الانتباه إلى عيني وليدهما منذ اللحظة الأولى لولادته ، هل لون عينيـه غريب ؟ هل حجمهـا أكـبر من المعتاد ؟ هل تتحركان حركة بندولية باستمرار ؟ هل تساعدان الطفل في مشيته ؟ وإذا لاحظا شيئا من ذلك فلابد من عرضه على الطبيب قبل أن يفوت الأوان .

كذلك فإنه من المعروف أن عين الطفل لا تدمع قبل مرور عشرة أيام على الأقل بعد الولادة ، ومن هنا يجب التنبيه إلى أن أى **تدميع** من العين قبل هذا الوقت قد يكون أولى علامات **الرمد الصديدي** في الأطفال الحديثي الولادة ، وقد يتطور بعد ذلك ويظهر المرض في صورته الكاملة من إفراز صديدي من العين واحمرار للملتحمة ، وتورم للجفون . وخطورة هذا المرض تكمن في مضاعفاته مثل قرحة في القرنية أو سحابات بالقرنية . ولذلك يجب الوقاية من هذا المرض قبل حدوثه عند أقل اشتباه في حدوثه لأن الكثير من حالات العمى قد تنتج من هذا المرض .

رابعاً : المحافظة على نظافة العينين :

المحافظة على نظافة العينين بغسلهما مرتين على الأقل في اليوم وعدم لمسهما بالأيدى المتسخة أو المناديل الغير نظيفة .

ومن المعروف أن العين ترعى نفسها بنفسها ، ولا لزوم لاستعمال القطرات أو المراهم .

خامساً : راحة العينين :

ويتم ذلك عن طريق راحة البدن ، وتوفير الظروف الملائمة لقيام العينين بوظيفتهما مثل الإضاءة ، والغذاء الجيد ، والهواء الطلق .

سادساً : القراءة وعين الطفل :

تعتبر القراءة عملية مركبة تعتمد على عدة عوامل أهمها الإبصار ، والإضاءة ، وعمر الشخص ، ودرجة ذكائه ، وخبرته في القراءة ، واللغة ، ومدى إلمام القارىء بها ، وطريقة الطباعة ، وحجم الحروف ونوع الورق ، ولذا فإنه يجب عند طبع **كتب الأطفال** مراعاة الدقة ، فالحروف لابد أن تكون كبيرة ومطبوعة على ورق جيد ذات ألوان جذابة .

ويجب توفير الإضاءة المناسبة للطفل أثناء القراءة ، وعدم تقريب الكتاب من العينين .

وكذلك يجب مراعاة ظروف الإضاءة في الفصول الدراسية بالمدارس بحيث لا يكون الضوء مبهرا ولا خافتا ، وأن تكون المقاعد التى يجلس عليها الأطفال بحيث لا يضطر الطفل إلى الانثناء بجسمه أو رقبته على مكتبه .

والقــراءة فى ظروف إضــاءة مناسبــة لا تسبب أى إجهـاد للعينـين أو احمـرار فيهـما أو صداع . فإذا حدث شيء من ذلـك فيجب استشـارة الطبيب لأنـه قد يكـون الطفل مصابا بطول نظر أو قصره أو بحول ظاهر أو بحول غير ظاهر .

سابعاً : *التليفزيون والعـين* :

إذا كانت العين سليمة فإنه يمكن مشاهدة التليفزيون بدون تعب إذا توافرت الشروط السليمة لذلك .

ولا أساس لما يقال إن مشاهدة التليفزيون تستهلك العينين .

كذلـك فإن التليفـزيـون لا يسبب انكسـار العين (من طول أو قصر النظر) ولكن قد يحدث أن شخصا ما عنده **بالأصل قصر نظر** وعندما يشاهد التلفزيون يكتشف أن الصورة لا تتضح له إلا إذا اقـترب من الشاشة ، فقصر النظر موجود فعلا بالعين ومشاهدته للتلفزيون جعلته يشعر بهذا القصر .

ويجب اتباع الشروط التالية أثناء المشاهدة :

١ ـ *وضـوح الصـورة* :

فإذا كانت الصورة غير واضحة ، أو كانت مهزوزة فإن العين تبذل جهداً مضاعفاً في سبيل رؤ يتها .

٢ ـ *إضـاءة الحجـرة* :

فإذا كانت الشاشة مضيئة ، وبقية الغرفة مظلمة ، فإن ذلك يجهد العين . فيجب أن تكون الحجرة محتوية على إضاءة بسيطة وغير مباشرة .

٣ ـ *وضـع الجهـاز* :

وأفضـل مكـان هو أن تكـون الشـاشة في مستوى النظر ، وتكون أمامها مباشرة وليس على أحد جوانبها .

٤ ـ *المسـافة الصحيحـة* :

وهذا يتوقف على حجم الجهاز ، فإذا كان الجهاز كبيرا ، وضع على مسافة بعيدة . وعلى العمـوم فإنـه لا يجب أن تقـل المسـافة في حالة الجهاز الصغير عن متر ين . وكذلك لا يصح وضع جهاز كبير في غرفة صغيرة .

ولا شك أنه بعد ساعات من المشاهدة تشعر العين بالإجهاد ، وهذا شيء طبيعى ، ولذا ينبغى أن تريح العين بعض الوقت على فترات أثناء المشاهدة .

وبعد اتباع كل هذه الشروط ومراعاة هذه الأوضاع السليمة ، إذا حدث إجهاد للعين فإن المشكلة إذن تكون في العين ، ويجب استشارة الطبيب .

** وماذا عن الغذاء والعين ؟

والتغذية لا تعنى الشبع والارتواء ، ولكنها تعنى الغذاء الشامل المحتوى لجميع العناصر اللازمة لقيام جميع أجهزة الجسم بوظائفها وتمكنه من الوقاية من الأمراض ، والاستغناء عن الدواء .

والعين من أهم الأعضاء التى تتأثر بالطعام ، وهناك فيتامينات تتعلق بسلامة العين ومن أمثلتها :

١ ــ فيتامين « أ » :

وهو يمتص عن طريق الأمعاء ويدخل الدورة الدموية ويقوم الكبد بتخزينه ويحتوى كبد الإنسان على مخزون كبير من فيتامين « أ » يكفى لعدة شهور .

وتزداد حاجة الجسم إلى الفيتامينات خلال سنوات النمو ، أوعند القيام بمجهود عضلى ، أوعند الإصابة بالمرض .

وفيتامين « أ » يلعب دورا هاما في حماية سطح القرنية والملتحمة ، والرؤ ية ليلا . وهو موجود فى مصادر نباتية مثل الجزر والأوراق الخضراء . وكذلك فى مصادر حيوانية مثل اللبن والبيض والزيوت الحيوانية .

ملحوظة : يجب معرفة أن الطعام العادى يوفر للجسم احتياجاته من المواد المختلفة وأن زيادة بعض المواد عن احتياجات الجسم لا تكون ذات فائدة بل تسبب أضرارا في بعض الأحيان .

٢ ــ فيتامين « ب » المركب :

نقص هذا الفيتامين يؤدى إلى التهاب في الأعصاب وخاصة العصب البصري . وهو موجود فى البقول واللحوم الحمراء ، وخميرة البيرة ، والكبد ، والبيض ، واللبن ، والفواكه ، والسمك . وهويساعد على بقاء القرنية شفافة .

٣ ـ فيتامين « ج » :

يوجد في الخضروات والفواكه الطازجة (يفقد مفعوله بالتسخين) وخصوصا الليمون ، والجوافة ، والطماطم ، والموالح .

ونقصه يؤدى إلى حدوث أنزفة في بياض العين (تحت الملتحمة) والتهابات في القرنية .

٤ ـ فيتامين « د » :

وهو موجود في الزيوت الحيوانية ـ ويعمل الجسم على إيجاده عند التعرض للشمس ـ ونقصه يؤدى إلى الكتاركتا وقصر النظر .

** بعض الأمراض التى تؤثر على قوة الإبصار :

أولاً : مرض البول السكري :

في بداية مراحل هذا المرض تحدث أنزفة دقيقة وارتشاحات في الشبكية ، ومع ضبط السكر بالعلاج تختفى هذه الظاهرة تماما .

ومع مرور السنين وعدم الانتظام في العلاج : تحدث تغيرات كبيرة في جدران الأوعية الدموية وفي الدم نفسه يؤدى إلى زيادة الارتشاحات والأنزفة في الشبكية ، وتتكون تورمات في الأوعية الدموية . وقد يؤدى ذلك إلى التأثير السيء على النظر .

وهناك حقيقة علمية تتعلق بهذا المرض وهى أن كمية الدم الشرياني الواصلة إلى الشبكية لا تكفى لتغذيتها ويترتب على ذلك **تكوين أوعية دموية جديدة** ذات جدران ضعيفة سهلة الإدماء ، ولذلك يحدث النزيف المتكرر الذى يؤدى إلى فقد البصر .

ويمكن تشخيص هذه الحالات في وقت مبكر بواسطة تصوير قاع العين بصبغة الفلوريسين .

ويمكن علاج هذه الحالات بأشعة الليزر التى توجه إلى **حرف** الشبكية فتدمره وبذلك يصبح الدم الشرياني الواصل للشبكية كافيا لتغذية المنطقة الهامة للبصر والقراءة .

ونسبة حدوث الكتاركتا (المياه البيضاء) أكثر حدوثا في مرضى السكر الذين لا يواظبون على العلاج .

وعدم ضبط السكر قد يؤدى كذلك إلى التهاب في الأعصاب وشلل في أعصاب وعضلات العين (ارتخاء الجفون . . . قلة أو عدم حركة العين نحو اتجاه معين . . .) لكن العلاج المبكر يؤدى إلى الشفاء .

ثانياً : ضغط الدم :

كثيرا ما ينتج عن ارتفاع ضغط الدم وتصلب الشرايين حالات من النزيف في قاع العين أو جلطة دموية في قاع العين .

ثالثاً : اليرقان :

حيث يلاحظ وجود اصفرار شديد بالعين الناشىء عن وجود مادة الصفراء في الدم وانتشارها في أغشية العين المختلفة ، ويصاحب ذلك زغللة في الإبصار .

رابعاً : الضعف الشديد :

في حالات الانيمياء الشديدة يلاحظ المريض وجود زغللة في النظر ، كما أنه يفقد الإبصار لفترة قصيرة وخاصة عندما يقف فجأة .

وفي هذه الحالة يكون قاع العين سليما ويكون العلاج بتعاطي الدواء اللازم لمعالجة الضعف العام .

خامساً : أمراض أخرى :

مثل : البولينا ـ تسمم الولادة ـ نقص فيتامينات ـ التهابات بالأسنان أو بالأذن أو بالجيوب الأنفية ـ وأورام المخ .

** ماذا عن احمرار العين ؟

إن إحمرار العين يعتبر بمثابة إنذار يدق ويعلن أن هناك خطراً يتربص بالعين ويجب معرفة مصدره والتغلب عليه (مثل ما إذا حدث ارتفاع في درجة حرارة الجسم فإن ذلك إنذار بأن هناك خطراً يهاجم الجسم ويجب اتخاذ الوسائل الكفيلة بالقضاء عليه) .

وأكثر حالات احمرار العين تعتبر بسيطة وعلاجها بسيط ، ولكن المشكلة تنحصر في كيفية التفريق بين الأسباب البسيطة والأسباب الخطيرة .

ومن هذه الحالات :

(أ) *حالات احمرار الملتحمة* : وهو يحدث نتيجة لأحد الأمراض الآتية :

١ ـ *التهابات الملتحمة نتيجة الإصابة بالميكروبات* :

حيث يكون احمرار العين داكنا وواضحا ، مع وجود **إفرازات** كثيرة من العين (مخاط أو صديد) .

ويكون علاجها بغسل العين بمحلول مطهر عدة مرات يوميا واستعمال القطرات والمراهم التى تحتوي على المضادات الحيوية . وإذا كانت الالتهابات شديدة فإنه يضاف إلى العلاج مضادات حيوية عن طريق الفم .

٢ ـ *نتيجة حساسية الملتحمة* :

حساسية لعوامل عدة في الجو من أشعة الشمس والأتربة أو بعض الروائح أو غير ذلك . الاحمرار يكون فاتح اللون مع الرغبة الشديدة في دعك العين لشعور المريض بأكلان شديد .

وعلاج ذلك باستعمال النظارات الشمسية ، وقطرات مسكنة وأحيانا مكمدات مياه مثلجة في الحالات الشديدة .

٣ ـ *أسباب عامة* :

مثل الإسراف في التدخين والمشروبات الكحولية .

مثل عدم النوم لفترة كافية والإجهاد الطويل .

يكون الاحمرار بدرجة بسيطة غير مصحوبة بأية إفرازات أو دموع ، وتظهر بوضوح عند الاستيقاظ من النوم صباحا .

وعلاجها بتلافي الأسباب التى أدت إلى ذلك .

(ب) *حالات الاحمرار الأكثر خطورة* :

وهى حالات الاحمرار الهدبي ، حيث يكون الاحمرار في بياض العين في الجزء المحيط بالقرنية وتخف درجته كلما بعدنا عن القرنية .

وهذا النوع يكون علامة رئيسية للأمراض الآتية :

(١) *التهاب القزحية* :

والقزحية هي الجزء الملون من العين والذى يعطي العين لونها .
يكـون مع احمـرار العين ألم شديد داخل العين مع صعوبة فتح العين في الضوء وربما يصحبه نقص في الإبصار ولكن بدرجة بسيطة .
ولابد من استشارة طبيب العيون على الفور .

(٢) *قرحة القرنية أو التهاب القرنية* :

ويكون مع احمرار العين ألم شديد ووخز شديد بالعين مع كثرة الدموع بدرجة كبيرة .
ولابد من استشارة الطبيب سريعا .

(٣) *ارتفاع ضغط العين الحاد* :

وهو ما يسمي بالمياه الزرقاء .
ويكون احمرار العين مصحوباً بصداع نصفي شديد يصل أحيانا إلى درجة القيء مع نقص كبير ومفاجيء في قوة الإبصار .
ويجب عرض الحالـة على الطبيب في أسـرع وقت لشـدة خطـورتها وتطورها السريع الذى قد يؤدي إلى فقد البصر .

**** وماذا عن الذبابة الطائرة ؟**

عبارة عن نقطة أو مجموعة من النقط أو الخيوط السوداء التى تتحرك أمام الإنسان مع حركة عينيه ، وقد تظهر بعض الوقت ثم تختفى .

ومعظم الحالات تكون العين سليمة تماما وقاع العين طبيعيا .

وفي بعض الأحيان تكون ناتجة عن وجود مرض في العين يظهر بعد ذلك بفحص قاع العين .

**** وماذا تفعل إذا دخل جسم غريب في عينك ؟**

(١) كثـيـرا ما يحدث أن تدخـل في العـين حبـة تراب صغـيرة . أو قطعـة (رايش) صغيرة من الحديد أو من نشارة الخشب . وعندما يحدث ذلك فإن الدموع تنسكب من العين بكميات كثيرة قد تكفى هذه الدموع في بعض الحالات لإزالة الجسم الغريب . . . ولكنها قد لا تفيد .

وأســوأ ما يعمل في هذا الوقت هو دعك العين لأن ذلك قد يؤدى إلى دفع الجسم الغريب إلى الداخل أكثر فأكثر ويزيد من احتمالات الإصابة بالميكروبات الضارة بالعين .

والواجب في هذه الحالة وضع قطرة مضادة للميكروبات وربط العين والإسراع للطبيب .

(٢) وقد تكون الإصابة بجسم غير حاد (مثل الكرة ، قبضة اليد) فيحدث تورم الجفون وكدمات بها .

ويساعد على سرعة الشفاء عمل كمادات باردة في أول يوم ثم كمادات ساخنة بعد ذلك لسرعة امتصاص النزيف تحت الجلد . ويختفى الدم فى خلال أسبوعين .

(٣) وقد تكون الاصابات بالكيماويات (الأحماض والقلويات أو الزيت الساخن) خاصة في المصانع والمعامل ، أو في المنازل (مساحيق الغسيل) .

وهى تسبب حرقا كيماويا في الجفون والعين .

وأهم شىء يمكن عمله هو تخفيف هذا الحامض بالماء فوراً ، أى غسل العين بالماء كثيرا حتى يتم العرض على الطبيب بأقصى سرعة .

(٤) الأشعة فوق البنفسجية :

يكثر التعرض للأشعة فوق البنفسجية في بعض المهن مثل اللحام بالكهرباء أو العاملين في قطاع الكهرباء **بدون استعمال النظارات الواقية** .

وهى تسبب التهاب القرنية المنقط .

وقد يشعر المريض بألم شديد في العين مع احمرارها وزيادة إفراز الدموع وعدم المقدرة على مواجهة الضوء .

(٥) التهاب الشبكية الناتج من كسوف الشمس :

بعض الناس ينظرون بعيونهم مباشرة إلى كسوف الشمس فينتج حرق في الشبكية يؤثر على قوة الإبصار ولذلك يجب استعمال النظارات الشمسية .

نسأل الله تعالى أن يمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ويجعله الوارث منا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بابُ الفتاوى



حول مشروعية نقل الحيوان من استراليا إلى بلادنا

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

الدكتور : (ت. عبد الهادى اسكينر). من استراليا وجه سؤالا حول نقل الحيوان من استراليا إلى الشرق الأوسط. . . وما يتعرض له من ظروف الشحن السيئة طالبا من فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز ان يجيبه على سؤاله. . . وكان جواب فضيلة الشيخ كما يلى :

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى جناب الأخ المكرم الدكتور: ت .ج . عبد الهادى اسكينر وفقنا الله واياه .

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فقد اطلعت على رسالتكم بخصوص ما رغبتم فى كتابته منا فى موضوع نقل الحيوان من بلادكم باستراليا إلى الشرق الأوسط وما يتعرض له من ظروف الشحن السيئة واحوال السفن التى ينقل عليها وما ينتج من الزحام وما إلى ذلك. وإذ ندعو الله ان يسلك بنا وبكم واخواننا المسلمين صراطه المستقيم لنشكركم على اهتمامكم بهذا الجانب المهم. كما تسرنا اجابتكم على ضوء نصوص الكتاب الكريم والسنة المطهرة الواردة بالحث على الاحسان الشامل للحيوان مأكول اللحم وغير مأكوله مع طائفة من الاحاديث مما صح فى الوعيد لمعذبه سواء كان ذلك نتيجة تجويع أو اهمال فى حالة نقل أو سواه .

فمما جاء فى الحث على الاحسان الشامل للحيوان وسواه قوله تعالى : ﴿**واحسنوا ان الله يحب المحسنين**﴾. وقوله تعالى : ﴿**ان الله يأمر بالعدل والاحسان**﴾ الآية وقول النبى ﷺ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن : «ان الله كتب الاحسان على كل شىء فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح وليحد احدكم شفرته فليرح ذبيحته»، وفى رواية : «فاحسنوا الذبحة وليحد احدكم شفرته وليرح ذبيحته» .

وفى اغاثة الملهوف منه صح الخبر بعظيم الأجر لمغيثه وغفران ذنبه وشكر صنيعه فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش.

فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. فقالوا يارسول الله ان لنا فى البهائم لاجرا. فقال فى كل كبد رطبة أجر».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ «بينما كلب يطيف بركبة قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغى من بغايا بنى اسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته اياه فغفر لها به». رواه مسلم فى صحيحه، وكما حث الإسلام على الاحسان وأوجبه لمن يستحقه نهى عن خلافه من الظلم والتعدى فقال: ﴿**ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين**﴾. وقال تعالى: ﴿**ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا**﴾. وفى صحيح مسلم: ان ابن عمر - رضى الله عنهما - مر بنفر قد نصبوا دجاجة يترامونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها. فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ ان رسول الله ﷺ لعن من فعل هذا. وفيه عن أنس - رضى الله عنه - «نهى رسول الله ﷺ ان تصبر البهائم: أى تحبس حتى تموت» وفى رواية عن النبى ﷺ انه قال: «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا». وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - ان النبى ﷺ نهى عن قتل اربع من الدواب: النحلة والنملة. والهدهد. والصرد. رواه ابن داود باسناد صحيح. وفى صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى اطعمتها وسقتها ان هى حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» ج١٦: ص١٧٢م/دار الفكر، وفى سنن أبى داود عن أبى واقد قال: قال رسول الله ﷺ «ما قطع من البهيمة وهى حية فهى ميتة». واخرج الترمذى ما قطع من الحى فهو ميت.

وعن أبى مسعود قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأيا حمرة معها فرخان فاخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرض فجاء النبى ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه. قلنا نحن. قال انه لا ينبغى ان يعذب بالنار إلا رب النار». أبى داود ص٤١٩-٤٢٠ المجلد: (٥).

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - ان رسول الله ﷺ قال: «ما من إنسان قتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عز وجل عنها. قيل يا رسول الله وما حقها. قال ان يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمى بها». رواه النسائى والحاكم وصححه. وهذا موجب لترك ذلك وهو عين الرحمة بهذه الأنعام وغيرها.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - ان النبى ﷺ مر على حمار قد وسم وجهه فقال: «لعن الله الذى وسمه». رواه مسلم، وفى رواية له (نهى رسول الله ﷺ عن الضرب فى الوجه وعن الوسم فى الوجه). وهذا شامل للإنسان وللحيوان.

فهـذه النصـوص ومـا جاء فى معنـاهـا دالة على تحريم تعذيب الحيوان بجميع انواعه حتى ما ورد الشـرع بقتله كالخمس الفـواسق : الغـراب والعقـرب والفـارة والحداة والكلب العقور. وعند البخارى والحية ومنطوق هذا ومفهومه عناية الإسلام بالحيوان سواء ما يجلب له النفع أو يدرأ عنه الأذى. فالواجب جعل ما ورد من ترغيب فى العناية به وما ورد من ترهيب فى تعذيبه فى أى جانب يتصل به ان يكون نصب الاعين وموضع الاهتمام ولاسيما النوع المشار إليـه من الأنعـام لكـونـه محترمـا فى حد ذاتـه اكـلا ومـالية ويتعلق به احكام شرعية فى وجوه الطلعـات والقـربـات من جهة ومن أخرى لكونه عرضة لأنواع كثيرة من المتاعب عند شحنه ونقله بكميـات كبـيرة خلال مسـافـات طويلة ربـما ينتج عنها تزاحم مهلك لضعيفها وجوع وعطش وتفشى امـراض فيـما بينهـا وحـالات أخرى مضرة تستوجب النظر السريع والدراسة الجـادة من أوليـاء الأمـور بوضـع ترتيبات مريحة شاملة لوسائل النقل والترحيل والاعاشة من الطعام والسقى وغير ذلك من تهوية وعلاج وفصل الضعيف عن القوى الخطر والسقيم عن الصحيـح فى كل المـراحـل حتى تسـويقهـا قدر المستطـاع وهو اليوم شىء ممكن للمؤسسات المستثمرة والافراد والشركات المصدرة والمستوردة وهو من واجب نفقتها على ملاكها ومن هى تحت يده بالمعروف .

ومـمـا يؤسف منـه ويستـوجب الانكـار وجاء البيان والتحذير منه : (الطرق المستخدمة اليوم فى ذبح الحيوان مأكول اللحم فى أكثر بلدان العالم الاجنبى وما يمهد له عند الذبح منه بأنـواع من التعـذيب كالصـدمـات الكهـربـائية فى مركز الدماغ لتخديره ثم مروره بكلاليب تخطفـه وتعلقـه منكسـا وهو حى مارا بسير كهربائى حتى موضع من يتولى ذبحه لدى بعض مصانع الذبح والتعليب ومنها نتف ريش الدجاج والطيور وهى حية أو تغطيسها فى ماء شديد الحـرارة وهى حيـة أو تسليـط بخار حار عليها لازالة الريش زاعمين انه اوفر بما يراد ذبحه من الحيـوان . حسبـما هو معلوم عن بعض تلك الطـرق للذبـح وهذا فيه من التعذيب مالا يخفى مخالفته لنصوص الأمر بالاحسان إليه والحث على ذلك فى الشريعة الإسلامية السمحاء وكل عمل مخالف لها يعتبر تعديا وظلما يحاسب عليه قاصده لما سلف ذكره ولما صح فى الحديث ان الله ليقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء . فكيف بمن يعقل الظلم ونتائجه السيئة!!!

وبنـاء على النصـوص الشـرعيـة ومقتضيـاتها بوب فقهاء التشريع الإسلامى ما يجب ويستحب أو يحرم ويكـره بخصـوص الحيـوان بوجـه عام وبما يتعلق بالزكاة لمباح الأكل بوجه تفصيلى خاص نسوق طائفة مما يتعلق بجانب الاحسان إليه عند تذكيته ومنه : المستحبات الآتية :

١ - عرض الماء على ما يراد ذبحه للحديث السابق : «ان الله كتب الاحسان على كل شيء» . الحديث .

٢ - ان تكون آلة الذبح حادة وجيدة وان يمرها الذابح على محل الذكاة بقوة وسرعة ومحلة اللبة من الابل والحلق من غيرها من المقدور على تزكيته .

٣ - ان تنحر الابل قائمة معقولة يدها اليسرى ان تيسر موجهة إلى القبلة .

٤ - وذبح غير الابل مضجعة على جنبها الأيسر إن كان ايسر للذابح ويضع رجله على حفة عنقها غير مشدودة الأيدى أو الارجل وبدون لى شيء منها أو كسره قبل زهوق روحها وسكون حركتها ويكره خلع رقبتها ذلك أو ان تذبح وأخر تنظر .

وهذه المذكورات مما يستحب عند التذكية للحيوان رحمة به واحسانا إليه ويكره خلافها مما لا احسان فيه كجره. فقد روى عبد الرزاق موقوفا ان ابن عمر رأى رجلا يجر شاة برجلها ليذبحها. فقال له: ويلك قدها إلى الموت قودا جميلا .

أو ان يحد الشفرة والحيوان يبصره وقت الذبح لما ثبت فى مسند الإمام أحمد عن ابن عمر- رضى الله عنهما - أمر رسول الله ﷺ ان تحد الشفار وان توارى عن البهائم . وما ثبت فى معجمى الطبرانى الكبير والاوسط ورجاله رجال الصحيح عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال مر رسول الله ﷺ على رجل واضع رجله على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهى تلحظ إليه ببصرها. قال: افلا قبل هذا؟ اتريد ان تميتها موتتين .

أما غير المقدور على تذكيته كالصيد الوحشى أو لمتوحش وكالبعير يند فلم يقدر عليه فيجوز رميه بسهم أو نحوه بعد التسمية عليه مما يسيل الدم غير عظم وظفر. ومتى قتله السهم جاز أكله لأن قتله بذلك فى حكم تذكية المقدور عليه تذكية شرعية ما لم يحتمل موته بغير السهم أو معه .

وهذا جرى ذكره منا على سبيل الافادة بمناسبة طلبكم لا على سبيل الحصر لما ورد وصح نقله بشأن الحيوان على اختلاف انواعه فالإسلام دين الرحمة وشريعة الاحسان ومنهاج الحياة المتكامل والطريق الموصلة إلى الله ودار كرامته فالواجب الدعوة له والتحاكم إليه والسعى فى نشره بين من لا يعرفه وتذكير عامة المسلمين بما يجهلون من احكامه ومقاصده ابتغاء وجه الله فمقاصد التشريع الإسلامى فى غاية العدل والحكمة فلا حرمان من كل نافع حيوان خلافا لما عليه البوذيون ولا اباحة لكل ضار منه خلافا لما عليه أكلة الخبائث من الخنزير والسباع المفترسة وما فى حكمها ولا ظلم ولا اهدار لحرمة كل محترم من نفس أو مال أو عرض فنشكر الله على نعمه التى اجلها نعمة الإسلام مع الابتهال إليه ان ينصر دينه ويعلى كلمته

وان لا يجعلنا بسبب تقصيرنا فتنة للقوم الكافرين وصلى الله وسلم على نبينا محمد المبلغ البلاغ المبين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

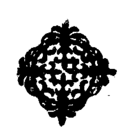
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأميـــــة

كثيرا ما نرى بعض الداعين إلى العلم يشجبون الأمية ويعدها من علامات التخلف ، والله تعالى وصف هذه الأمة بالأمية فقال : ﴿هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم﴾ . فأرجو أن توضحوا ذلك وشكرا . . .

وكانت اجابة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز كما يلى :

كانت أمة محمد ﷺ من العرب والعجم لا يقرؤ ون ولا يكتبون ولهذا سموا أميين وكان الذين يكتبون ويقرأون منهم قليلين جدا بالنسبة إلى غيرهم وكان نبينا محمد ﷺ لا يقرأ الكتابة ولا يكتب كما قال الله سبحانه **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾** . وكان ذلك من دلائل صدق رسالته ونبوته عليه الصلاة والسلام لأنه اتى إلى الناس بكتاب عظيم اعجز به العرب والعجم أوحاه الله إليه ونزل به عليه الروح الأمين جبرائيل عليه الصلاة والسلام وأوحى إليه سبحانه السنة المطهرة وعلوما كثيرة من علوم الأولين وأخبره سبحانه باشياء كثيرة مما كان فى غابر الزمان ومما يكون فى آخر الزمان ومما يكون فى يوم القيامة كما اخبره بأحوال الجنة والنار وأهلها وكان ذلك مما فضله الله به على غيره وارشد به الناس إلى منزلته العالية وصفة رسالته عليه الصلاة والسلام وليس وصف الأمة بالامية المقصود منه ترغيبهم فى البقاء عليها وإنما المقصود الاخبار عن واقعهم وحالهم حين بعث الله إليه محمدا ﷺ وقد دل الكتاب والسنة على الترغيب فى التعلم والكتابة والخروج من وصف الأمية فقال الله تعالى : **﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** وقال سبحانه : **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾** . الآية ، وقال سبحانه : **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** . الآية ، وقال النبى ﷺ «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة» . رواه الإمام مسلم فى صحيحه . وقال أيضا عليه الصلاة والسلام : «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين» متفق على صحته والآيات والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة وبالله التوفيق . . .



أتدرون من المفلس . . . ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
أتدرون من المفلس؟ . قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار .

(رواه مسلم والترمذى)



أشد الناس بلاء . . .

قال رسول الله ﷺ :
أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على حسب (وفى رواية : قدر) دينه فإن كان دينه صلباً أشتد بلاؤه وإن كان فى دينه رقة ابتلى على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة . . .

(رواه الترمذى)


مختارات
الصحف

رجعية التقدميين

ينادى بعض الكتاب (التقدميين) المعاصرين من خلال دراساتهم الإسلامية الشباب الدارسين إلى اعادة النظر فى مادة القدماء. وقد يتصور الناس أنهم اكتشفوا مفاهيم جديدة لم يطلع عليها القدماء فى مجال العلم والمعرفة لفقد الوسائل التى حصلت للإنسان بعد التطور العلمى والصناعى.

غير أن استعراض افكارهم يخيب الأمل حيث لا يجد الإنسان عندهم اكتشافاً جديداً أو موضوعاً طريفاً يستحق الاهتمام والتنويه وكل ما يجده فى افكارهم هى جاهلية العصور الأولى. عصور كثيرة الفرق وتضارب الاهواء فى الملل والنحل بسبب استيراد التصورات اليونانية الوثنية فى الإلهيات. ومباحث ما وراء الطبيعات.

والشىء الذى يبعث على الضحك والبكاء معاً هو نداء هؤلاء الكتاب إلى احياء الفكر الاعتزالى وقضايا: تعطيل الرب من الصفات. وايجاب الاصلح عليه. ومنح الإنسان حرية خلق افعاله. واستقلاله عن الوحى. والإيمان بمنزلة بين منزلتى الكفر والإيمان. وجعل المعاد، والجنة والنار. وكل ما يتعلق بالحياة الأخروية رموزاً. واشياء فنية - كل هذه الاراء اثيرت اثناء غزو الفكر اليونانى عن الكون والحياة، غير انها تبخرت امام الفكر الإسلامى الصحيح وبوقوف العلماء المخلصين فى وجه هذا التيار المنحرف.

ويندهش الإنسان أمام رجعية الكتاب المتنورين التقدميين اليوم. حينما ينادون - إلى احياء تلك الاضاليل من جديد حيث انهم رغم كل ادعاءاتهم عن تمجيد العقل. والبلوغ إلى مراتب الاجتهاد العليا لا يستطيعون إلا بنبش قبور الاولين من المعتزلة والخوارج والجهمية. والفرق المنحرفة الأخرى والتوقف عند ما توصلت إليه عقولهم قبل قرون من الزمان.

لذا لا نبالغ حينما نقول ان كتابات كافة ادعياء (التنور) و(العقلانية) والتقدم فى هذا العصر لا يؤكد إلا حقيقة واحدة وهى انهم اغبياء رغم دعاويهم عن الاجتهاد والتعقل، جبناء رغم تظاهرهم بالشجاعة، رجعيون رغم هتافاتهم عن (التنور) و(العقلانية).

اغبياء . . . لانهم ما استطاعوا زيادة شيء على ما يؤثر عن الفرق المنحرفة من الافكار والاراء بل ما استطاعوا استيعاب تلك الاراء وادراكها، ادراكا صحيحا، لاننا لا نجد عندهم شجاعة ادبية في نسبة الافكار إلى المصادر التي يأخذون منها من كتب الملل والنحل بواسطة المستشرقين من أئمتهم الذين اغترفوا ايضا من تلك المياه العكرة .

رجعيون . . . لانهم لا يقدرون على نقد افكار أئمة الضلال بل يقبلون كل ما ينزل عليهم من سحاب الاعتزال أوغيوم الاستشراق كالوحي المنزل من السماء . لا تؤكد كتاباتهم . ودراساتهم إلا هذه الحقيقة .

فهل يتنبه الشباب المسلمون إلى تضليل هذه الفئة من الناس التي تتفنن في الاساليب اثناء الحديث عن التراث . وأصول الدين . والتاريخ والأدب . . . ؟

ولا يحمل هؤلاء الناس على الكلام حول غياب الإنسان غياب الوعي من التراث إلا غياب الإيمان من نفوسهم ﴿**ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**﴾ . . .

«عن البلاغ ـ العدد ١٦٩٤ لسنة ١٤٠٣هـ»

تصحيح

ورد خطأ مطبعي في العدد الماضي «٥٩» في الآية القرآنية التي جاءت في صفحة رقم (١٤) حيث وردت كلمة : فسينسره ، والصحيح : ﴿**فسنيسره**﴾ .

وكذلك في الآية التي جاءت في صفحة رقم (٢٣) حيث وردت كلمة : تصغر، والصحيح : ﴿**تصعر**﴾ .



أضواء على نتائج الامتحانات بالجامعة

فى العام الجامعى ١٤٠٢-١٤٠٣هـ

فى مجال الدراسات العليا :

١ ـ **بلغ عدد الحاصلين على درجة الدكتوراه** عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ **خمسة عشر طالباً** منهم ستة طلاب سعوديون. والباقون ينتمون إلى الأردن، والسودان، وفولتا العليا والهند واليمن ولبنان .

وقد حصل أربعة عشر منهم على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى .

٢ ـ **وبلغ عدد الحاصلين على درجة الماجستير** فى نفس العام **خمسة وثلاثين طالباً** منهم سبعة عشر سعوديون. والباقون ينتمون إلى الأردن وأندونيسيا وباكستان وبورما وراوندى والسودان والصومال ومصر ونيبال والهند واليمن الجنوبى .

حصل أحد عشر منهم على درجة الماجستير بتقدير «ممتاز» وثلاثة وعشرون بتقدير «جيد جداً». وواحد فقط بتقدير «جيد» .

ثانيا : كليات الجامعة :

١ ـ **كلية الشريعة** : بلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على درجة الشهادة العالية «الليسانس» فى الدور الأول لعام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ **مائة وخمسة وأربعين طالباً**. منهم سبعة عشر طالباً بتقدير «ممتاز». وسبعة وخمسون بتقدير «جيد جدا». وستة وستون طالباً بتقدير «جيد». وخمسة طلاب بتقدير «مقبول». ومنهم ستة عشر سعوديا، والباقون ينتمون إلى تسع وثلاثين جنسية من أنحاء العالم الإسلامى وبلاد الأقليات الإسلامية .

وبلغ عدد الطلاب الذين دخلوا امتحان الدور الثانى ستين طالباً. نجح منهم اثنان وثلاثون. فيكون عدد الحاصلين على الليسانس من كلية الشريعة لعام **١٤٠٢/١٤٠٣هـ** سبعة وسبعين ومائة طالب .

٢ ـ **كلية الدعوة وأصول الدين** : بلغ عدد الطلاب الحاصلين على الشهادة العالية «الليسانس» من كلية الدعوة وأصول الدين فى امتحان الدور الأول **ستة ومائة طالب** ينتمون إلى ثلاث وثلاثين جنسية . حصل منهم اثنا عشر على تقدير «ممتاز» . **وتسعة وعشرون** على تقدير «جيد جدا» . وثمانية وخمسون على تقدير «جيد» . وسبعة طلاب فقط على تقدير «مقبول» .

هذا بالإضافة إلى خمسين طالباً كان لهم حق امتحان الدور الثانى كلهم غير سعوديين نجح منهم أربعة عشر طالبا . فيكون عدد الحاصلين على شهادة الليسانس من كلية الدعوة لهذا العام مائة وعشرين طالبا .

٣ ـ **كلية القرآن الكريم** : بلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على شهادة الليسانس فى الدور الأول **ستة عشر طالباً** ينتمون إلى خمس جنسيات منهم طالب سعودى . وحصل أربعة منهم على تقدير «ممتاز» وأربعة على تقدير «جيد جدا» وثمانية على تقدير «جيد» .

وكان أربعة عشر طالبا غير سعوديين لهم حق دخول الدور الثانى نجح منهم سبعة طلاب فى الدور الثانى .

٤ ـ **كلية الحديث الشريف** : بلغ عدد الحاصلين على شهادة الليسانس فى الدور الأول **خمسة وأربعين طالباً** . منهم ستة طلاب سعوديون ، والباقون ينتمون إلى سبع عشرة جنسية . وحصل أربعة منهم على تقدير «ممتاز» . وستة عشر على تقدير «جيد جدا» . وأربعة وعشرون على تقدير «جيد» ، وواحد فقط على تقدير «مقبول» . وكان خمسة وثلاثون طالبا يحق لهم دخول الدور الثانى منهم طالب سعودى واحد . نجح ممن دخلوا امتحان الدور الثانى منهم اثنا عشر طالبا .

٥ ـ **كلية اللغة العربية** : بلغ عدد الحاصلين على الليسانس **ستين طالباً** منهم اثنان سعوديان والباقون ينتمون إلى ثلاث وعشرين جنسية . حصل منهم واحد فقط على تقدير «ممتاز» وخمسة وعشرون على تقدير «جيد جدا» . والباقون وعددهم أربعة وثلاثون على تقدير «جيد» . وكان يوجد **٢٩** طالبا جميعهم غير سعوديين يحق لهم دخول امتحان الدور الثانى . نجح ممن دخلوا الامتحان منهم أحد عشر طالبا .

●●●●●●●●●●●●

أقامت الجامعة الإسلامية المخيم الصيفى التربوى ـ الذى تقيمه كل عام للطلاب فى اجازة الصيف لمدة شهر ـ وقد أقيم هذا المخيم فى الفترة من ٧ / ١٠ / إلى ٩ / ١١ / ١٤٠٣هـ بمدينة النماص . بمنطقة عسير «أبها» . وشارك فيه ثلاثة وسبعون طالبا من مختلف الجهات التعليمية بالجامعة يمثلون سبعا وعشرين جنسية .

اشتركت الجامعة الإسلامية بمائة طالب فى مخيم الحج الثالث من ٦ ذى الحجة إلى ١٤ ذى الحجة لطلاب جامعات الخليج . وقد بلغ عدد الطلاب المسجلين بالمخيم من طلاب الجامعات الخليجية حوالى ألف وخمسمائة طالب .

وقد أسهمت الجامعة بتقديم تسهيلات كبيرة للمشاركين فى هذا المخيم . إذ وفرت لأعمال المخيم ١٦ «ست عشرة» ناقلة لتنقلات طلاب الجامعات المشاركين . كما استضافت طلاب الجامعات الخليجية المشاركين بالمخيم أثناء زيارتهم للمدينة المنورة .

وكان لإسهام الجامعة ومشاركتها أثره ـ بفضل الله ـ فى إنجاح المخيم .

وقد تلقى معالى الدكتور : عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة برقية شكر من الدكتور: محمد الأحمد الرشيد مدير مكتب التربية العربى لدول الخليج . الذى كان مديرا للمخيم، على ما قامت به الجامعة من دور كان له أبرز الأثر فى إنجاحه .

●●●●●●●●●●●●

عقدت الأمانة العامة لندوة عمادات شئون الطلاب بجامعات المملكة اجتماعا بمقر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة يوم الأربعاء ٢٨ من شهر ذى الحجة ١٤٠٣هـ برئاسة فضيلة الشيخ عوض بن أحمد سلطان الشهرى عميد شئون الطلاب بالجامعة ـ والأمين العام للندوة .

ونوقش فى هذا الاجتماع الموضوعات والمقترحات التى أعدتها اللجان المتفرعة من الأمانة العامة للندوة الخامسة القادمة والتى من المقرر ـ إن شاء الله ـ أن تعقد فى رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

■■■■■■

توقيع عقد المخطط العام والتصميمات المعمارية للمشروع العام للجامعة

فى تمام الساعة العاشرة من صباح يوم الثلاثاء الموافق ٢٧/ ١٢/ ١٤٠٣هـ تم توقيع عقد إعداد المخطط العام والتصميمات المعمارية والهندسية للمشروع العام للجامعة

الإسلامية الذي يتضمن إنشاء مدينة جامعية متكاملة على أحدث المستويات العالمية تشتمل على كل ما تتطلبه المدينة الجامعية من وحدات للجهات التعليمية والاجهزة الإدارية والمرافق العامة، وسكن للطلبة والموظفين. . . الخ .

وقد وقع العقد عن الجامعة معالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة وعن شركة أرثر أريكسون ـ التى تشرف على تنفيذ المشروع ـ السير ديفيد جويس .

ويأتى هذا المشروع فى نطاق اهتمام حكومة جلالة الملك ـ أيدها الله ـ بالجامعة الإسلامية، والنهوض بها دوما إلى الامام .

وقد صرح معالى الدكتور عبد الله الصالح العبيد رئيس الجامعة بمناسبة توقيع العقد بقوله :

لقد تحقق بتوقيع عقد إعداد المخطط العام لمشروع الجامعة أمل منسوبى الجامعة الإسلامية فى النهوض بهذه الجامعة لتأخذ مكانتها اللائقة بين جامعات العالم حتى تؤدى رسالتها التى أقيمت من أجلها .

وقد وعد صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المعظم فى لقائه بأبنائه طلاب الجامعة فى شهر محرم من هذا العام بأن «هذه الجامعة سوف تقام بشكل مناسب وملائم فيما يتعلق بمبانيها وجميع أمورها التى تعود بالفائدة الكبرى . كما أكد جلالته بأن المملكة العربية السعودية ـ حكومة وشعبا ـ لا يمكن أن تبخل بأى شىء فيه دعم الجامعة حتى تأخذ مستواها اللائق بها» .

وهكذا ـ وقبل نهاية العام ـ تحقق توقيع هذا العقد الذى يترجم اهتمام حكومة جلالة الملك وفقها الله بالجامعة الإسلامية، وبه يبدأ عهد جديد من التقدم المرجولها . ***وبهذه المناسبة أتقدم بوافر الشكر لحضرة صاحب الجلالة وسمو ولى عهده . وأدعو الله أن يوفقهم لمزيد من عمل الخير فى سبيل دعم الأمة العربية والإسلامية ،*** *كما أقدم شكرى للاخوة العاملين فى الجامعة وعلى رأسهم المهندسون والعاملون بإدارة المشروع العام فى الجامعة لما بذلوه من جهد فى ابراز هذا المشروع . كما أقدم شكرى للاخوة فى وزارة المالية والاقتصاد الوطنى وعلى رأسهم معالى الشيخ محمد أبا الخيل وللاخوة فى وزارة التخطيط وعلى رأسهم معالى الشيخ هشام ناظر على الجهد الذى قاموا به من أجل استكمال الدراسات والإجراءات المالية والنظامية والقانونية لإخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود . وبصورة متكاملة . . . وأسال الله للجميع التوفيق والسداد .*

صياغة الشيخ محمود محمد سالم

محتويـــات العـــدد

محتويــــات العــــدد

الموضـــــوع		الصفحة

محتويـــات العـــدد

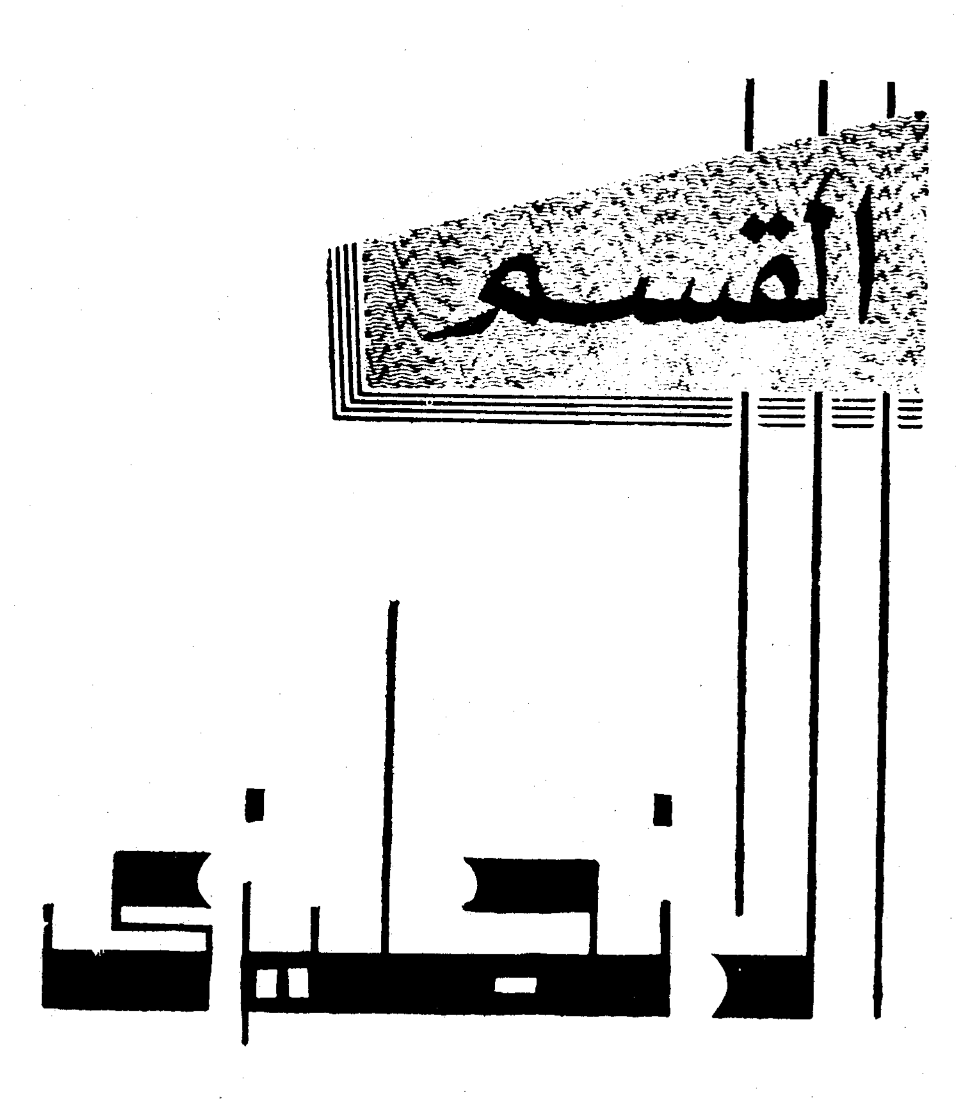
الموضـــــــوع	الصفحة

■ الفتـــــاوى ■

■ مختارات من الصحف ■

●●●●●●●●●●●●●●●


مجلة الجامعة الإسلامية
لا تلتزم
برد البحوث والمقالات التي لم تنشر
إلى كتابها ولا بإبداء أسباب عدم نشرها.


القسم
الانجليزى



The central point of the message of the prophet was the doctrine of 'Unity of God and equality of mankind'. Islam included this principle among people, and it allowed the widest scope to the human conscience. Islam brought to them practical equality in the eye of the law. Consequently, wherever the Muslim preacher appeared, he was hailed by the masses and the persecuted classes as the harbinger of freedom and emancipation .

The governmental system of the early Caliphates brings into view a clear idea of the latitude of human rights in the Islamic law .

The law was the same for the poor as for the labourer in the field. The tribunals were not dependent on the government, their decisions were supreme; the early Caliphs could not assume the power of pardening those whom the regular tribunals had condemned .

Islam gave to the world a code of laws which was capable of the greatest development in accordance with the progress of material civilisation based on a just appreciation of human duties and human rights .

,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,

the serfs or villains were either annexed to the manor, and were bought and sold with the land to wich they belonged or were annexed to the person of the lord, and were transferable from one owner to another. They could not leave their lord without his permission and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered by action, like beast or other chattles. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might dispossess them whenever he pleased. A villain could acquire no property, either in lands or goods: but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villain, and seize them to his own use .

"The best testimony to the toleration of the early Muslim government is furnished by the Christians themselves. In the reign of Osman (the third Caliph), the Christian patriarch of Merv, addressed the Bishop of Fars, named Simeon, in the following terms. "The Arabs who have been given by God the kingdom (of the earth) do not attack the Christian faith, on the contrary they help us in our religion; they respect our God and our Saints, and bestow gifts on our churches and monasteries".

"In order to avoid the least semblance of high-handedness no Muslim was allowed to acquire the land of 'Zimmi' even by purchase. Neither the Imam nor the sultan could dispossess a Zimmi of his property. The Muslims and the Zimmis were absolutely equal in the eyes of the law. "Their blood", said Ali the Caliph "was like our blood". Many modern governments, not excepting some of the most civilised, may take Muslim administration for their model. In the punishment of crimes there was no difference between the rulers and the ruled. Islam's law is that if a Zimmi is killed by a Muslim, the latter is liable to the same penalty reverse case .

"In their anxiety for the welfare of the non-Muslim subjects the Caliphs of Bagdad, like their rivals of Cordova, created a special department charged with protection of the Zimmis and safeguarding of their interests" (The Spirit of Islam, Ch. VII) .

The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human cooperation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed country for domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep away all artificial differences and fractions from the human community .

Examining the influence of Islam on humanity in general and on the destiny of mankind, the great scholar and the learned author, Amir Ali, explains the state of things existing in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broke the chains which had held in bond the nations of the earth to pieces. He abolished every privilege of caste and emancipated labour:

"In the West, as in the East, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of thesacerdotal classes. The law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the 'Dehkans', enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was concentrated in their hands. The peasants, and the poorer classes in general, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtezans and other nameless ministrants to the vices of Caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth, infuence and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barberic kingdoms — in fact, wherever feudalism had established itself — by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves .

"Villainage or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between preadial and domestic slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattles, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times

It means : " Would you compel people until they are believers". It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as a code of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic State, and guaranteed their liberties in all walks of life:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة ٨) .

It means: "Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo: Allah loves the just dealers" .

5 — Human Unity: By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity to believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the belief in One God and one human community is an essential part of Islamic faith. God Says:

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (المؤمنون ٥٢) .

It means: "Lo (O mankind): This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me" .

It means: "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and aggression" .

2 — Justice: Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. it is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people .

The Holy Quran has stressed this ideal principle in following Verse:

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة ٨) .

It means: "Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)". 5:8 .

3 — Human dignity: Islam through its principles and teachings, foster dignity and self-respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for man's humanity and not because of his colour, race, or social status. To make distinction between people according to their colour or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every Iand. The Quran declares this basic principle in the following Verse:

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الاسراء ٧٠) .

It means: "Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the Iand and sea, and have made provision of good things for them and, have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment". It is a common privilege for all people .

4 — Human freedom: Islam has totaly rejected any kind of compulsion as means for driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book:

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس ٩٩) .

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth) .

The difference of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of colours and tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the Universe and its aspects:

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ (الروم ٢٢) .

It means: "And of His signs is the Creation of heavens and earth and the difference of your languages and colours". This difference would not clash with the principle of unity of mankind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God Says:

﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات ١٣) .

It means: "And We have made you nations and tribes that you may know one another" .

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal principles:

1 — Human equality: The Holy Quran declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is their acquaintance with each other and promotion of understanding and cooperation among individuals and socities. This acquaintance and cooperation could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and cooperation among people in the following Words:

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة ٢) .

HUMAN RIGHTS IN ISLAM
BY

Dr. Mohiaddin Alwaye
Prof. Islamic University
Madinah

Islam organises the course of Human relations on the basis of the "Common Origin of all mankind. It condemns any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man and man. The Holy Quran, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Quran says :

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ (النساء ١) .

It means: "O mankind: Be careful of your duty to your Lord Who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women". The theory of common origin of mankind was stressed by the prophet:

﴿كلكم لآدم وآدم من تراب﴾ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى
لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى
وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا

الكهف ١٠٩

IN THE NAME OF GOD, THE COMPASSIONATE, THE MERCIFUL

Say, "If the ocean were an ink-well for the words of my Lord, the ocean would run out before the words of my Lord run out, even if twice as much ink were provided."

(Qur'an 18:109)



Journal of

THE ISLAMIC UNIVERSITY

OF

MADINAH MONAWWARAH

SHAWWAL— DHUL-KEIDAH— DHUL-HIJJAH 1403 H.

[QUARTERLY]

15th YEAR

60